بـــدو العـــراق
والجـــزيرة العربيـــة
بعيـــون غربيـــة



اسم الكتـــاب: بدو العراق والجزيرة العربية بعيون غربية

تـــأليـــف: د. علي عفيفي علي غازي

موضوع الكتاب: تاريخ

عدد الصفحات: 152 صفحة

عدد المـــلازم: 9.5 ملزمة

مقاس الكتـاب: 28 x 42

عدد الطبعـات: الطبعة الأولى

رقـم الإيـــداع:

الترقيم الدولي: ISBN:



التوزيع والنشر

6/11 شارع وحيد أفندي - حي توفيق بيك - كوجوك جكمجة - اسطنبول - تركيا - ت: 00905454886870

هاتف: 00201027013326 - 00201555566139

E-mail: info@arabhistorypublishing.com

Websit: www.arabhistorypublishing.com



د. علي عفيفي علي غازي

بدو العراق
والجزيرة العربية
بعيون غربية



بسم الله الرحمن الرحيم

«سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»

(الأية 53 من سورة فصلت)

إهداء

إلى من تحملوا إنشغالي عنهم

إلى ينابيع الحب والحنان والطيبة

إلى زوجتي وابنتي هاجر ونغم

إلى ابني يحيى

أهدي

المقدمة

يحفُل التاريخ الإنساني بالكثير من الكتابات في «أدب الرحلات»، التي تحمل الذكريات الندية المفعمة بالحياة والتجربة، إذ يلتقي التاريخ بالجغرافيا؛ لتبدأ رحلة الإنسان في الزمان والمكان؛ منذ اللحظة الأولى التي بدأ يدب فيها على الأرض، وانطلق يجوب أرجائها غير هياب ولا آبه بالأعباء. وتذخر مكتبة هذا الأدب برحلات الأثريين المنقبين الذين شغفتهم الآثار حبًا، فتعلقوا بشواهد الحضارات السالفة، التي تحكي للأجيال أعمالًا خالدة. وتميزت رحلات المستشرقين بأهداف وغايات متعددة؛ فمنهم السائح والباحث الأنثربولوجي والآثاري، وربما مُغامرًا لإكتشاف المجهول، إذ استهوى الشرق الكثير من الغربيين بسحره وروحانيته وحضارته وتاريخه العريق، كما أسالت ثروات المشرق العربي وموقعه الإستراتيجي لعُاب وأطماع الساسه الغربيين، وهو ما يجعل الكثير من الرحالة يحمل أغراضًا غير مُعلنة كشف التاريخ عنها، ومس أقطار الشرق أوارها، وتوالت الحملات الأوروبية بأطماعها وطغيانها. وكذلك دفع التنافس الدولي لأجل السيطرة على المنطقة بالكثير من الرحالة والمبعوثين والمغامرين والجواسيس إلى ارتياد الصعاب لوضع حجر أساس إمبراطوريات مموليهم، ولهذا كثرت الكتابات وزادت المشاهدات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث شهدا تدفق الرحالة والمبعوثين السياسيين والمبشرين، الذين نظروا للمنطقة من زاوية القيمة الدينية بوصفها مهد الديانات السماوية الثلاث؛ لذا جاء المبشرون إلى المنطقة وهم يحملون أيديولوجيا تهدف لتغيير مستقبل المنطقة. وإذا كان للمبشرين دورًا في المخططات الاستعمارية؛ فإن الكثير من الرحالة والمبعوثين كان لهم دورًا أكثر وضوحًا في هذه المخططات، إذ بعثت بهم دولهم باعتبارهم جواسيس لاستكشاف الأوضاع، ودراسة وضع الخصم أو المنافس، وخير مثال على ذلك؛ هو الألماني ماكس أوبنهايم، فقد أثار هذا الرحالة شكوك البريطانيين بأن رحلته ليست إلا محاولة ألمانية لتقويض السيادة البريطانية في المنطقة[1].

---

(1) عبيد علي بن بطي: **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور**، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996)، ص 10، 11؛ ماكس فون أوبنهايم: **من البحر المتوسط إلى الخليج: لبنان وسوريا**، محمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008).

يجتذب الشرق نتيجة لهذا كله الكثير من الرحالة الغربيين من سياح وتجار وجغرافيين وأدباء وشعراء ورسامين وجواسيس ومبعوثين سياسيين، هاموا به، وعشقوا حياته الرومانسية المفعمة بشاعرية القرون الوسطى، وعبق التاريخ، وعذرية صحرائه المثيرة المليئة بالأسرار. جُل هؤلاء تركوا نصوصًا أدبية تُعدُّ رافدًا مهمًا للكتابة التاريخية، بما قدموه من وصف للمناطق التي زاروها، فالرحالة «يقدم صورة اللحظة التاريخية التي عاشها باعتبارها لحظة معاصرة رآها بأم عينيه»[1].

تدفع النزعة الرومانتيكية الكثير من الرحالة إلى السفر بحثًا عن زاد جديد للخيال. في وقت كان الرحيل فيه لاستكشاف دهاليز الشرق، واستجلاء طلاسمه وسحره، مغامرة صعبة محفوفة بالمخاطر والصعاب، إذ كان الشرق في القرن التاسع عشر بمثابة «الحُلم» بالنسبة لمجتمع الصفوة الأوروبية. كان الحنين للخيال أحيانًا، وللحرية أحيانًا أخرى، كان يعني للبعض ليس فقط موطن الأسرار؛ بل موطن العواطف الجياشة أيضًا. فقد تعدى الانجذاب إلي الشرق، مع بداية هذا القرن، مرحلة الدهشة والانبهار بالأشياء الغربية، والحلم الرومانسي الذي أسهم في تدعيم أسطورة الشرق، وانطلقت الرغبة في معرفة أدق عن الآخرين، ترقب وترصد.

تصور كتابات الرحالة أماكن وأزمنة لم تكن لتتوافر من دون مغامرات هؤلاء الرحالة، فالرحالة يؤرخون للحالة الحاضرة، فهم يُشاهدون ما لم نُشاهده، ويقررون قيمة ما يكتبون، لما يفاجأون به من أوضاع لم يألفوها، وحالات لم يُدركوها فتأتي الكلمة عفوًا. وهؤلاء رواد أهليهم، وقد قيل «الرائد لا يكذب أهله»[2]. ولهذا قدموا معلومات مهمة، تشتمل على مشاهدات، وملاحظات، وانطباعات، سطروها إثر قيامهم بجولات متعددة، وليست هذه المشاهدات والملاحظات سوى جزء من التاريخ: السياسي، والحضاري، والثقافي، والاقتصادي، والاجتماعي، كتبه مؤرخون معاصرون لتعريف القارئ الغربي بهذه البلاد وحضارتها[3]. فالرحالة يكتب ليصف طريق رحلته ومشاهداته خلالها، الأمر الذي يُكسب كتاباته أهمية خاصة لفرادتها في تسجيل الكثير من التفاصيل المتعلقة ببلدان الشرق، ولاحتوائها على مشاهدات وشهادات مهمة يتمّ الرجوع إليها باعتبارها مصدرًا بارزًا، موثقًا ما لم يكن أهل تلك البلدان مولعين بتوثيقه[4].

---

(1) جمال محمود حجر: **الرحالة الغربيون في المشرق الإسلامي في العصر الحديث**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008)، ص 7.

(2) عباس العزاوي: **النخل في تاريخ العراق**، (بغداد: مطبعة أسعد، 1962) ص 88.

(3) روبن بدول: **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، عبد الله أدم نصيف (ترجمة)، (الرياض: المترجم، 1989)، ص 5.

(4) حسن ناصر: «سائح يطوف العراق بصحبة زوجته الميتة»، **جريدة الشرق الأوسط**، العدد 9028، (الأحد 18 جمادى الثاني 1424هـ/

تُشكل كتابات الرحالة ومذكراتهم جنسًا أدبيًا راقيًا وممتعًا في آن، إذ يكتبوا ويدونوا مشاهداتهم وانطباعاتهم في مؤلفات تُعدّ مراجع نفيسة عن الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المنطقة العربية؛ ترصد الأوضاع الثقافية والفكرية والحضارية السائدة، وتوثق المواقف والعادات والسلوكيات، التي تبدو عادية لدى السكان المحليين في حين أنها غاية في الأهمية في دراسة تطور الأنماط والأنساق الثقافية، وفي الدراسات المقارنة لعادات وقيم وتقاليد الشعوب وثقافاتها، وبهذا توفر كتابات الرحالة مادة علمية قيّمة للدراسات الاجتماعية، والأنثروبولوجية، والتاريخية، لأنها تُؤرخ الأنثروبولوجيا الثقافية للمجتمعات والحضارات التي يزورها من خلال رؤية الرحالة لها كشاهد عيان.

يُفترض في رؤية الرحالة ظنًا الحياد، ولكنها غالبًا ما تمتزج بمشاعر الرحالة، إلا أن كتابات الرحالة، مهما كان فيها من ذاتية كاتبيها، «تُعدّ مصدرًا تاريخيًا يعكس ما رأته العين، وسمعته الأذن، ولمسته اليد، أو القدم، فالرحالة الذي تصلنا أدبياته هو الشاهد الذي نجد عنده التاريخ حيًا، فشهادته إن صحت تُعدّ مرآة الزمن في اللحظة التاريخية التي زار فيها المكان، والتقى فيها السكان. ولا يُمكن أن يجد الباحث في الوثائق الرسمية ما يجده عند الرحالة من وصف للمشاعر والأحاسيس والانطباعات، وقراءة الوجوه، وهي من الجوانب الإنسانية الغائبة في كثير من الكتابات التاريخية. ومتى ما أُخضعت كتابات الرحالة للنقد التاريخي صارت آمنة الاستخدام، لأن المؤرخ في هذه الحالة يُجنب ذاتية الرحالة، ويستقي من موضوعيته ما يُفيد. ولعل أروع ما يُقدمه الرحالة هو إمساكه بالحدث التاريخي لحظة حدوثه ليبقى حيًا إلى أن يصل إلينا، تمامًا كما تفعل كاميرا المراسل الصحفي في هذه الأيام»[1].

يهتم الباحثون والمؤرخون بكتب الرحالة الغربيين؛ لكونها مصدرًا مُهمًا لتاريخ الوطن العربي، فنص الرحلة وثيقة تاريخية؛ لأن كاتبها يحرص على تسجيل تواريخها منذ انطلاقها ومراحلها، ويصور الجوانب العمرانية للبلدان التي يمر بها، أو يُقيم بها مدة من الزمن. وعادة ما تستهوي الرحالة جوانب دون أخرى من المجتمعات، ويتعرض للعادات والتقاليد التي يُعاينها. ولهذا تزخر كتب الرحلات بالمعلومات والأخبار والإفادات في شتى مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية والعمرانية والتاريخية، يعتمد

17 أغسطس 2003م)، ص الكتب.

(1) جمال محمود حجر: «الأرمن في رحلة نيبور»، **مجلة أريك**، العدد الثاني، (مايو 2010)، ص 13.

الرحالة في تسجيلها على ذاكرته عندما يدون ما عايشه عن قرب أو سمع عنه، وعلى المشاهدة والمعاينة حينما يتحدث عن المعالم التي يزورها، وأحيانًا على المصادر الدينية والتاريخية واللغوية؛ لتُشكل كتاباته في المحصلة مادة خصبة لدارسي التاريخ[1]. إلا أن إقامة الرحالة غالبًا ما تكون قصيرة، ومن ثم تأتي رؤيتهم غير دقيقة، وهو ما يُوجب إخضاع كتاباتهم للنقد الظاهري والباطني أولا قبل توظيفها في البحث التاريخي، و«من هنا لا يُمكن الاعتماد عليها بشكلٍ كامل في الكتابة التاريخية، ويجب فحص معلوماتها من خلال فحص المصادر الأخرى»[2].

تتعدد دوافع الترحال عند الرحالة الغربيين، ولم تسلم من التوظيف لأغراض استعمارية، وجُندت لتحقيق المصالح الإمبريالية والكولونيالية تمهيدًا للغزو العسكري أو الثقافي، حتى ما كان منها مُتشحًا بثوب البحث العلمي أو الأثري أو التاريخي. وبناء على ذلك يُمكن تصنيف الرحالة إلى مُغرضون، وآخرون مُنصفون، ونوع ثالث يستهدف السياحة والمتعة. ويسهل الوقوف على أغراضهم بتعقب كتاباتهم ومؤلفاتهم، واستظهار العبارات التي تكشف عن نواياهم بشكلٍ غير مباشر[3].

يُستخدم اصطلاح «الرحالة» للإشارة إلى فرد يرتحل من منطقة إلى أخرى، ثم يعود إلى وطنه بسجلات لمغامراته، وبملاحظات ودراسات وانطباعات عن الأراضي التي كان فيها، وقد تكون سجلات الرحالة في صورة يوميات، ودراسات جغرافية وخرائط، أو ملاحظات أنثروبولوجية، أو ملاحظات ثقافية أو شخصية، أو انطباعات بصرية، أو شكل من أشكال التعبير الفني مثل الرسم أو التصوير الفوتوغرافي، وبالتالي فإن الاهتمام بالأرض التي رحل إليها وبشعبها وثقافتها وطبيعتها، وكذلك الرغبة في تسجيل تجارب الرحيل هي أمور ضرورية لكي يكون أي فرد قائم بالرحيل «رحالة»[4].

---

(1) عبد الخالق المفضل أحمدون: «الرحلة الحجازية الصغرى لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت 1239هـ/ 1823م) قيمتها العلمية والتاريخية»، في كتاب دارة الملك عبد العزيز: **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2000)، ص 205، 206.

(2) علي عفيفي علي غازي: **بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة**، محجوب الزويري (تقديم)، (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2016)، ص 8.

(3) يحيى عبد الرؤوف جبر: «شمال شبه الجزيرة العربية في مصنفات الرحالة»، في كتاب دارة الملك عبد العزيز: **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2000)، ص 293، 294.

(4) حسام مهدي: «تحليل للمصالح النفطية وأعمال الرحالين الغربيين»، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور**، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996)، ص 335.

تعددت هُوّيات الرحالة وتباينت شخصياتهم، وطبقاتهم الاجتماعية، منذ مطلع القرن التاسع عشر، إذ وفد العديد الرحالة من جنسيات مختلفة إلى الشرق، فيُقيمون فيه ردحًا من الزمن، ويوردون عنه انطباعاتهم[1]، فكان من بينهم رجل الدين، والعالم، والطبيب، والسياسي، والأديب، والفنان، إلى جانب ذوي الألقاب من أفراد الطبقة الأرستقراطية، منهم الأمير، والكونت، والفيكونت، والبارون. وتعددت وتنوعت وظائفهم، فمنهم علماء الآثار، والعلماء، والأدباء، والقادة، والضباط العسكريين، وأصحاب الدعوات الإنسانية، وكذلك الرسامين. وأتى بعضهم في أعمال رسمية، وآخرون في أعمال خاصة، وبدأت أسماء الرحالة الجُدد والاستكشافات الجديدة تظهر للملأ[2].

يُحاول هذا الكتاب تسليط الضوء على مجموعة من قيم وعادات وتقاليد بدو العراق والجزيرة العربية من خلال كتابات الرحالة، إذ يتكون من مجموعة من المقالات، في المقال الأول «آلات الطرب البدوية»؛ نقرأ عن أغاني وأناشيد وأهازيج البدو، ومواضيعها، وأقسامها وأنواعها، والرقصات المصاحبة لها، وآلات الطرب البدوية، وخاصة الربابة والطبول والناي والمزمار والدفوف.

وفيما يخص موضوع وسائل الري عند الخليجي؛ فيتناوله المقال الثاني «الأفلاج وسيلة للري»، إذ يشير إلى أن الأفلاج أقدم وسيلة للري عرفها الإنسان الخليجي منذ عصور ما قبل التاريخ، ويستعرض أنواعها، واشتقاق أسمائها، والأساطير التي ارتبطت بها، وإشارات سريعة مما رصده الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية والخليج العربي عن الري والأفلاج.

وتحت عنوان «الجراد من المأكولات البدوية» يُسلِّط الضوء على جنس من الحشرات يأكله البدو، ويقدم وصفًا لحالات الابتهاج والسعادة الغامرة عند رؤية البدو لأسراب الجراد، ويرجع ذلك لأنها مصدر طعام رئيس عنده له ولحيواناته، ويرى كثير من الرحالة أنه كطعام مفيد إذ إن طعمه أقرب إلى طعم الخضروات، ويُشيرون إلى أن البدو يأكلونه مشوي ومقلي ومصلوق ومحمر، ويُقدم مع الملح والفلفل أو البصل المحمر في السمن،

---

(1) محمد محمود الصياد: «الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر»، **مجلة الدارة**، العدد 3، (شوال 1397هـ)، ص 112، 113.

(2) بيتر برنيث: **بلاد العرب القاصية، رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب**، خالد أسعد عيسى؛ أحمد غسان سبانو (ترجمة)، (بيروت: دار قتيبة للنشر والتوزيع، 1990)، ص 118.

ويفضلون الإناث منه، ويميزونها بلونها الأحمر. وأحيانًا يقومون بتجفيقه وطحنه وحفظه كمسحوق لوقت الحاجة، حيث يبقى صالح للأكل لمدة طويلة، كما يطعمونه للجمال والخيول، خاصة أنه يربي عضلات من دون أن يتسبب في سمنتها.

أما المقال الرابع فيتناول «مأكولات بدوية من الحليب»، حيث يحتل حليب الإبل والأغنام والماعز مكانة أساسية على مائدة البدو، فيُشكِّل مع ما يُستخرج منه طعام الأسرة البدوية، فيأكلون منه: الشنينة، أو اللبن المخيض، والبقل، أو اللبن المجفف، والمريس، أو اللبن المبخر، والزبدة، والسمن، واللبي والجبن وغيرها.

ويأتي مقال «الإبل سفينة الصحراء»؛ ليتناول أشهر سلالات الإبل لدى البدو، وأهمية الإبل للحياة البدوية، وأهم القبائل والعشائر المشهورة بتربية الإبل، وأجود أنواع الإبل، ومُسميات مراحلها العمرية، وكيف يحصلون على الأنواع الجيدة منها، وما هي الألوان والأنواع المفضلة عند كل قبيلة؟ وكيف يُقدِّر البدوي إبله، وينظر إليها باعتبارها هي ثروته، وبها يُقدر ثراءه.

ويُسلِّط المقال التالي الضوء على «الخيول العربية الأصيلة»، حيث يستعرض أنواعها، وأسمائها، ومسميات مراحلها العمرية، وسلالاتها، والقواعد والأعرف البدوية المرتبطة بها، ويُبين مدى اهتمام البدو بالخيل والفرس، وما تمثله من قيمة، وكيف يوردونها المرعى والماء، وطريقة إطعامها، وكيفية تملكها، ولماذا يرفضون بيعها، وكيف يتشاركون فيها، ومدى تقدير الرجل البدوي للأصيلة منها، وما هي أهم العشائر المشهورة بتربية الخيول، وأسباب تقلص أعداد الخيول في السنوات الأخيرة.

وفي المقال السابع «السباقات والمزاينات البدوية»، يستكمل مدى اهتمام البدو بالإبل والخيول، وحب الفروسية والمزاينات في نفوسهم، وأهمية الجمال والخيول لحياتهم، وما هي السباقات التي يجرونها، ومناسباتها، ولماذا تتم؟ وما يرافقها من غناء. والمواصفات التي يتمتع بها الحصان العربي الأصيل، ومواصفات الجمال التي تربى للسباق، أو ما يطلقون عليه الهجن، وأشهر القبائل التي تهتم بتربية الإبل والخيول المعدة للسباقات والمزاينات.

يستكمل المقال التالي «الفروسية وألعاب القتال» توضيح مدى حب البدو للفروسية وألعاب القتال، والصيد والغزو الإغارة، وترى المرأة البدوية أن الفروسية شرط مهم في الرجل البدوي، حيث يُربى منذ نعومة أظفاره على صفات الفروسية وحب الخيل، ويتعود

منذ الصغر على القتال والكر والفر، والصمود على ظهر الفرس، ويُعدد أهم العشائر العربية الشهيرة بالفروسية.

يتناول مقال «ألعاب أطفال البدو» رؤية الرحالة للأطفال عند البدو، حيث يذكرون أنهم ليس لديهم ألعاب كثيرة، ويقضون أوقات فراغهم في الغالب برعي الحملان، أو بمساعدة أبويهم إلا أنهم رغم ذلك لديهم مجموعة من الألعاب منها: مزمارة، دوداحة، خنينة أو «خريرة»، دسيسة، زقطة، الفنانة، الكعيب، «خيل وخيل»، البياتة، الحاجية، كما يعرف أطفال البدو بعض الألعاب الخطرة كالرمحة، المعكالة، الشارة، «مُذمح سارة». وتعرف الفتيات والبنات البدويات القليل من الألعاب، إذ ليس لهن ألعاب كألعاب الصبيان.

ولما كان لشهر رمضان الفضيل خصوصية مميزة عند البدو، فإن الأطفال لديهم ألعابهم الخاصة به، وهو ما يحاول المقال العاشر «ألعاب الأطفال الشعبية الرمضانية» تسليط الضوء عليه، فبدأ بتعريف مدلول كلمة الألعاب الشعبية، والخصائص التي تميزها، باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الموروث الثقافي والشعبي في الجزيرة العربية والخليج العربي، ويرتبط الكثير منها بشهر رمضان المبارك، ولا تزال الألعاب الشعبية حاضرة رغم الحداثة، وتعتبر جزءًا لا يتجزأ من المأثورات الشعبية، لدى أطفال الأردن ومصر والكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة.

يبين المقال التالي «المجالس» أهمية المجالس في الجزيرة العربية والخليج والعراق باعتبارها حاجة اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية، فهي ظاهرة لها جذورها التاريخية، وتلعب دورًا واضحًا وملموسًا في المجتمع الخليجي، فهي تربي الأجيال، وتعلم الصبية الصغار، وأشبه بالخانات التجارية، والندوات الاجتماعية، والصالونات والمنتديات الأدبية، والمجامع العلمية.

يطرح المقال المعنون «القهوة» باعتبارها أداة الضيافة البدوية، فيُعرف الأصل الاشتقاقي للكلمة، وبشجرة البن، وكيف انتبه الإنسان لأهميتها كمشروب منبه، وكيف دخلت العالم العربي والإسلامي، وموقف علماء الدين منها، وأخيرًا شيوعها لدى البدو، وللقهوة عند البدو منزلة خاصة، ومكانة متميزة، فهي شراب سمرهم، ورمز كرمهم، ومشروبهم الشعبي والرئيس. ويبين كيفية إعداد القهوة، موقد القهوة، وأدوات القهوة

النحاسية والبرونزية المستخدمة في تجهيزها، وهي المحماس، المهباج أو الهون، الدلال، البيز، الفناجين، الصينية، وكيفية إعداد القهوة، ومن يتولى مهمة إعدادها وتقديمها، وكيفية شربها، وعدد الفناجين المسموح لكل فرد شرابها، وعدد مرات شرابها، وأول من تقدم له القهوة، وأخيرًا يجيب على تساؤل: هل تشرب المرأة البدوية القهوة؟

يؤكد مقال «قواعد وأسس الزواج» على قيام الزواج عند بدو العراق والجزيرة العربية والخليج على قواعد وأسس، وتكافؤ، فيُعدد الصفات التي ترغب أن تجدها الفتاة في زوج المستقبل، وكذلك ما يريده الشاب من زوجة المستقبل، ويُوضح مدى أحقية ابن العم من الزواج من ابنة عمه، ومدى ثبوت قاعدة تزويج الكُبرى أولا، وأخيرًا يؤكد على أن الزواج ليس شأنًا فرديًا يخص الفرد في القبيلة أو العشيرة بقدر ما هو شأن جماعي يجب أن يناقش في المجلس.

ويستكمل المقال التالي «طقوس وعادات الأعراس»، حيث تبدأ بالخطبة، ثم اجتماع مجلس العشيرة والقبيلة لإقرار الخطبة والموافقة عليها، ثم تقدم الخاطب رسميًا، ليتم الاتفاق على المهر والجهاز، وهنا يأتي دور المطوع ليقوم بأداء الطقوس الدينية للزواج، وبعدها يقوم الزوج بذبح الذبائح، ونصب خيمة العرس، وتذهب الزوجة لإحدى المدن لشراء الجهاز والذهب، وما يتبع ذلك من الهدايا التي يُقدمها الزوج لزوجته وأهلها، وإعداد الولائم لأفراد عشيرته وقبيلته، وأخيرًا يتمّ الزفاف، وما يتبع ذلك من خلوة، وهدايا تقدمها الزوجة لمن يأتون لمباركتهم صبيحة يوم العرس، والذبائح التي يذبحها والد العروس في أعقاب الزفاف والأيام التالية.

يستعرض مقال «التحية البدوية» أشكال وتعابير التحية عند البدو، وعلامات الشوق والود وحسن اللقاء والترحيب، وعادات الضيافة والاستقبال، وما يتوجب على الضيف من التحية المعتادة، وما يتوجب على المضيف فعله بعد التحية، وكيف يحيى الرجل شيخه، والولد والده، والكبير الصغير، والقادم الجالس، وبين الأقارب، وما هي التحايا التي تتبادلها النسوة البدويات؟

وتحت عنوان «شهر رمضان في كتابات الرحالة تشارلز داوتي» يستعرض المقال ما رصده هذا الرحالة من عادات وتقاليد وقيم تخص شهر رمضان، وما تعرف عليه من مظاهر واحتفالات وابتهاجات بمناسبة هذا الشهر ذي الخصوصية عند المسلمين

عامة، وبدو العراق والجزيرة العربية والخليج خاصة، فيلاحظ داوتي الاستعداد المبكر لهذا الشهر، ويرصد الجدل الذي يثور عندما يشاهدون هلاله، وكيف يحيونه، وما يعانونه من محنة الصيام في الجو القائظ، وكيف يمارسون أعمالهم في ظل الصيام، وهم يتحملون الجوع والعطش بصبر وجلد وإناءة، وكيف ينتظرون عيد الفطر بشوق كبير، وعندما يحل تعم الفرحة كل المخيم، ويبدأ الاحتفال به من قبل غروب شمس اليوم الأخير من شهر الصيام، ويستمر لأيام، بالرغم من قيام البدو برعي أنعامهم، والقرويين باستئناف أعمال حصاد التمور منذ اليوم الثاني للفطر.

ينتقل الباحث بعد ذلك لتناول التطير (التفاؤل والتشاؤم) عند بدو العراق والجزيرة العربية من خلال كتابات الرحالة، إذ يتطيرون من العين والحسد، ولهذا يعلقون الخرز الأزرق، ويتشائمون باللون الأسود، ويتفاءلون إذا ما رأوا ثعلب في بداية الرحلة، بينما يتشائمون من رؤية الغراب، كما يعتقدون في النباتات، ويتشائمون من بعض الأيام، وخسوف القمر في شهر رمضان، ويعدونه من طوالع النحس.

أما تحت عنوان «الجن في مخيلة البدو»، فإن المخيلة البدوية تحفل بالكثير من الاعتقادات في الجن، ويعتقدون أن الصحراء آهلة بالجن والعفاريت وأهل الأرض، ويعرفون نوع من الجن يُسمى السعرة، يسرق الأطفال، وتعرف كل قبيلة بدوية الجن بمسمى يختلف عن الأخرى، فمثلا قحطان تسميه «سكن»، بينما تسميه عتيبة «الأرواح» أو «أهل الأرض»، كما ذكر بعض الرحالة نوع من الجن يسمى «الزار»، وينقلون أنها أرواح تسبب المتاعب للنساء خاصة، إذ يعتقد البدو أن الجن يغوي الإنسان، لتستحوذ عليه، بدخول جسده، وسرقة روحه، فإذا ما تلبست جسده تصيبه بالمرض، ولا تتركه حتى يموت.

ويؤكد مقال «دلائل التوقيت» على معرفة البدو لعلم الفلك، ويظهر براعتهم في معرفة التوقيت بالشمس نهارًا، والنجوم ليلا، وبناء على ذلك يقسِّمون النهار إلى عدد من المقاطع الزمنية حسب مواقع الشمس، ويعرفون عدد من النجوم، ومواعيد طلوعها، وأفولها، والظروف المناخية المرتبطة بها، وخاصة مواسم الأمطار، وبناء على ذلك يقسِّمون الأمطار على مدار العام إلى أربعة مواسم مطيرة: الشتوي، السماك، السهيلاوي، الجوزاوي.

ويستعرض مقال «خلخال المرأة البدوية» رؤية الرحالة لهذه الحلية من حلي المرأة البدوية، والتي ترتديها في الساق، فيقدم وصف الرحالة لها، ولكيفية استخدام المرأة إياها.

وأخيرًا يرصد مقال «مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف» مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة الدينية، في مكة المكرمة، وفق رؤية الرحالة الهولندي سنوك هيرجرونجي، وفي القاهرة وفق رؤية الرحالة المستكشف الفنلندي جورج أوغست والين.

وآمل أن يُشكِّل هذا الكتاب إضافة للمكتبة العربية عامة، ومكتبة تاريخ وتراث العراق والجزيرة العربية والخليج خاصة، وأقر بما فيه من تقصير ونقصان، فالكمال لله وحده، فإنني لا أدعي بلوغ الكمال، وحسبي في محاولتي المتواضعة هذه، بعض الإسهام في خدمة الفكر وتقدم الثقافة. وأتمنى أن أكون قد وقفت في تقديم هذه الدراسة، خدمة لتاريخ وتراث وحضارة وطني الأكبر، الوطن العربي.

وأرحب بالنقد البناء لتصحيح مسيرة هذا الجهد، فقد أكون قصرت عن غير عمد، أو أهملت شيئًا عن غير قصد، فأرحب بمن يُصحح المسار حتى يكون هذا العمل متكاملًا إن شاء الله.

وأخيرًا، فإنني أُزجي فائق الشكر والامتنان إلى زوجتي الغالية، التي لا تزال خير مرشد ورفيق يساعدني ويشجعني، ويدفعني لتقديم المزيد، ولن أنسى جميع الذين مدوا إليّ يد العون، فإلى جميع أولئك الذين آزروني من قريب أو من بعيد، كل حسب إمكاناته وطاقاته أتوجه بخالص شكري وعميق امتناني وتقديري.

وأدعو المولى عز وجل أن يتقبل مني هذه الدراسة خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعلها في ميزاني حسناتي، إنه نعم المولى ونعم القدير، وهو سميع مجيب. وأستميحكم عذرًا فيما يعتريها من عور ونقص، وأتمنى لكم قراءة ماتعة. والله ولي التوفيق.

د. علي عفيفي علي غازي

الدوحة في الأول من يناير 2019

آلات الطرب البدوية

يُغني البدو الأناشيد والأغاني والأهازيج، عند الترحال، وفي السهرات، وأثناء الرقصات، والتي يعود بعضها إلى شعراء مشهورين، وبعضها الآخر موروث قديم مجهول المنشأ. أما مواضيعها فتدور في معظمها حول القبائل وبطولاتها في الغزو والإغارة، وقصص الحب، وكرم الشيوخ ومدحهم، وما إلى ذلك، وهي غالبًا ذات مضمون مؤثر، وصياغة جميلة. إلا أن الأغنية البدوية بعيدة، شأن الشعر الشعبي، عن التجريد، وتعطي تعبيرًا محسوسًا يجب على المستمع إليها أن يكون على معرفة جيدة بحياة البدو ومفرداتهم وعاداتهم لكي يستطيع فهمه.

ينقسم الشعر والغناء عند البدو إلى أنواع، منها القصيد، وهو ديوان الشعر البدوي، ويُنشد بمرافقة أنغام الربابة الموسيقية الممتعة، ويتناول موضوعًا معينًا، إذ يبدأ الشاعر في الحديث مُتخذًا من أغراض الشعر العربي، من المدح والوصف والفخر وغيره، مطية له. ويختتم القصيدة بالحكمة أو بقيمة فاضلة[1]. ويغنون المواليا وحداء الإبل على ظهور الإبل بمصاحبة الربابة[2]. وفيه يبدأ المغني بشطر البيت ثم يقوم بتكراره أو بالبيت كله، فيجاوبه الآخرون، ثم يقوم بتكرار ما بدأ به ويشترك الآخرون معه في التكرار، ثم ينتقل إلى الشطر الثاني من البيت أو إلى البيت الثاني فيردد منفردًا، ثم يجاوبه الآخرون، وهكذا حتى نهاية القصيدة، في كلام موزون ومعقول في عبارة صريحة، ويُزخرف بضرب الأمثال، وبالتشبيهات التي تصدر عن رؤية ومعرفة. كل ذلك بصوت مرتفع شجي، ونغم جميل[3]. ويذكر جوهن جاكوب هيس من أنواع الأغاني البدوية: مجرور أو مجرورة، وهي أغنية طويلة تُغنى عند أداء ألعاب راقصة. والبدع، وهو مقطع واحد قصير. ونشيدة، أو تمثالة، وهي قصيدة طويلة تُعادل قصيدة الأدب الكلاسيكي. والشعر، وهي القصيدة، التي يقولها الشاعر، والحجية، وهي رواية أو «طرح» حكاية قديمة «سالفة»[4].

(1) حاتم عبد الهادي السيد: **ثقافة البادية: ملامح الشعر البدوي في بادية سيناء**، (القاهرة: مركز الحضارة العربية، 1998)، ص 31، 32

(2) رفعت الجوهري: **شريعة الصحراء عادات وتقاليد**، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،1961)، ص44، 45.

(3) شفيق عبد الجبار الكمالي: **الشعر عند البدو**، (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2002)، ص 84.

(4) جوهن جاكوب هيس: **بدو وسط الجزيرة (عادات- تقاليد- حكايات وأغان)**، محمود كبيبو (ترجمة)، محمد سلطان العتيبي (تقديم)، (بغداد: دار الوراق للنشر المحدودة، 2010)، ص 91، 265.

يُشاهد بيرتون الرقص المصحوب بالغناء في طريق عودته من منى إلى مكة المكرمة، فيقول: «استرعى انتباهنا تصفيق بالأكف، وغناء بصوت عالٍ. ووجدنا جمهورًا من البدو يُحيطون بمجموعة مشغولة بالرقص، وهو أمر مُفضل عندهم. وشارك المتفرجون في الغناء، وهو إلقاء ملحون مطول؛ يؤدى على مقام موسيقي قصير، وفي صوت واحد. بدأ المقطع المردد: لا يا يها لا يا يها *La Yayha La Yayha*، ولم يستطع أحد أن يعرف معنى هذا المقطع. وفي أوقات أخرى غنى المغنون غناءً مفهومًا مثل: نهار العيد في منى شفت سيده... غريب الدار عندكم فارحموني»[1]. ويقول ماكس أوبنهايم إن «جميع القصائد الطويلة، باستثناء قصائد الحرب والفروسية، تُغنى من الشاعر أو من الذي يُلقيها برفقة الربابة، وهي آلة وترية بوتر واحد معروفة من قديم الزمان»[2]. والربابة آلة موسيقية عربية قديمة نشأت في الجزائر وتونس ومراكش وانتشرت في سائر البلاد العربية، وخاصة العراق[3]. ويغني بدو سيناء بمرافقة الربابة، المعروفة بينهم بالصفارة، أو الشبابة أو المقرون أو الزمارة.[4]. وموسيقى الربابة، وفق توصيف بيرتون «رتيبة لكنها ساحرة»[5].

تُستخدم الربابة لمرافقة الراقصين عند أداء الرقص، وفي قضاء الليالي عندما يجتمع الناس حول وجار القهوة، ويحكي شاعر الربابة وعازفها بعض حكايات الحرب والغزو والإغارة بين القبائل، كما يقص قصص الشُجعان والمحبين من القبائل، ويروي روايات الكرم والسخاء من الشيوخ. كما تؤدى الأغاني البدوية مع العزف على الربابة، التي يقول عنها بيرتون إنها «آلة الصحراء الموسيقية الساحرة»، أو بدونها. والربابة هي الآلة الموسيقية الوحيدة الموجودة لدى عتيبة وقحطان، والجمع «رباب». وهي آلة موسيقية ذات وتر واحد من شعر الخيل، وجسمها الرنان غالبًا من جلد الغنم، لها إطار من خشب يُشد عليه من الجانبين جلد مبشور يترك فراغًا يُضاعف ذبذبات الصوت، ويضخمها حتى إذا ما سحب القوس فوق الوتر ترك النوحة المعروفة لصوت الربابة. وينقل جوهن هيس عن أحد القحاطين أن أفضل الجلود لهذا الغرض هي جرب الماء القديمة، بينما أكد له أحد العتبان أن جلد الذئب هو الأفضل[6].

---

(1) أحمد عبد الرحيم نصر: **التراث الشعبي في أدب الرحلات**، (الدوحة: مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1995)، ص 57.

(2) ماكس فرايهر فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الرابع: خوزستان- إيران «عربستان»**، محمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2007)، ص 193.

(3) الليدي درور: **على ضفاف دجلة والفرات**، فؤاد جميل (ترجمة)، (لندن: شركة الوراق للنشر المحدودة، 2008)، ص 70.

(4) حاتم عبد الهادي السيد: **مرجع سابق**، ص 24.

(5) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 56.

(6) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 265.

يجتهد تشارلز داوتي في تقديم تفسير للاشتقاق اللغوي لكلمة الربابة، فيذكر أنها ربما «استمدت اسمها من الكلمة الأسبانية «رابيل *Rabrl*»، وهي في اللغة الإنجليزية القديمة «رافيل *Revel*» و«ريبل *Rebibel*»، ويُشير إلى أن البدو يصنعون هذه الآلة الموسيقية من أي صندوق يتحصلون عليه، ويخرقون جزأه الأعلى بعصا، ويشدون عليه جلد سخلة، ويثبتون عليه فرعًا صغيرًا يكون جسرًا. أما الوتر فمن ذيل الفرس[1]. والباحث لا يتفق مع ما ذهب إليه داوتي إذ إن الأقرب للتصديق أن تكون الكلمة انتقلت من اللغة العربية إلى الإسبانية خلال الوجود العربي في الأندلس ذلك أن هذه الآلة الموسيقية ترتبط بمنطقة الشرق ولا يوجد شبيه لها في الآلات الموسيقية الغربية، ويميل إلى أن لها أصول فرعونية قديمة مما يبدو من الرسوم على جدران معابد ومقابر المصريين القدماء. ويذكر ديكسون أن الربابة قيثارة البدو، وتستخدم كآلة للطرب ويرافقها الغناء، لدى معظم القبائل البدوية، في جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية، خاصة قبائل الرشايدة والهرشان والعوازم، إلا أن المغنين والعازفين على الربابة ينتمون عادة إلى القبائل المتواضعة، أو إلى الصلبة أو النّور أو الزّط، أو إلى العبيد والخدم، إذ تنظر قبائل العرب الأقحاح إلى عازف الربابة نظرة دونية[2].

يسمر البدو طوال الليل على صوت الربابة، ويستمعون ويصغون في السهرات، لما يقصه الراوي أو الشاعر عن سير الأبطال والفرسان، وتترنح أعطاف البدوي طربًا حينما تُنشد أمامه أغنية بصوت مطرد الأوزان ترافقه دقات الربابة التي تتلاشى رناتها في الصمت الواسع للمخيم في الليل البهيم[3]. ويذكر يوليوس أويتنج أن المخيم ظل يغني ويرقص على أنغام الربابة، التي «لم تصمت ويصمت الجميع معها إلا عند الفجر»[4]. وقد استمع داوتي إلى قصص البدو التي اعتبرها دروسًا للمسافرين، ومدرسة للحياة، لكنه وجد أن موسيقاهم ليست جذابة، مثل أحاديثهم، فصوت الربابة مع صوت المغني مزعج[5]. ويذكر أوغست والن أنه نادرًا ما قضى ليلة واحدة من دون رفقة بعض الشباب، الذين يُغنون بصحبة الربابة، «تلك الألة الموسيقية البدوية، الوحيدة في الصحراء، الرتيبة والساحرة في نفس الوقت». ويقول يوليوس أويتنج «في المساء جلسنا طويلًا تحت ضوء القمر، وجرى تبادل الحديث مطولًا إلى أن أخذ أحدهم ربابته، وهي آلة ذات وتر واحد، يتمّ العزف عليها بأربعة أصابع، ويجري عليها بالقوس، ومع رنين النغمات، ألقى رجل عجوز قصيدة»[6].

---

(1) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 114.

(2) ديكسون: **عرب الصحراء**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1996)، ص 477.

(3) عمار السنجري: **البدو بعيون غربية**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2008)، ص 23، 24.

(4) عوض البادي: **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية (منطقة الجوف ووادي السرحان) 1845-1922**، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2002)، ص 229.

(5) روبن بدول: **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، عبد الله أدم نصيف (ترجمة)، (الرياض: المترجم، 1989)، ص 81.

(6) عوض البادي: **مرجع سابق**،ص 35، 188.

تستمع جيرتروود بيل إلى أغنيات على صوت الربابة، فتقول «تناول أعرابي أسود الجبين يرتدي رداء أبيض ربابة، وهي آلة موسيقية ذات وتر واحد ولها قوس، وغنى، بينما كان يعزف عليها، أغنيات طويلة حزينة ورتيبة، وكل سطر من الشعر كان قد وضع ليناسب الوقت نفسه، وينتهي بانخفاض في الصوت يُشبه الأنين، وكان همس الربابة يسير مع هذا كله، غريب وحزين وجميل في طريقته...، وكنت أرى المغني منحنيًا فوق الربابة، أو ناظرًا إليّ بينما كان يُطلق السطر النائح من أغنيته في الظلام»[1].

يؤدي انتشار المذهب السلفي بين قبائل البدو على يدي أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلى اعتبار الربابة نوعًا من الإثم، ويتمّ تحريمها، لكن قبائل شمر والضفير وعنزة استمرت في استخدامها كآلة للطرب والمتعة. ويذكر تشارلز داوتي أنه عندما زار منطقة تيماء، لم يسمع في دورها غناء على أنغام الربابة، «فأنغامها الحزينة مكروهة دينيًا عند أنصار الدعوة السلفية، وقد تسلم أهل تيماء رسالة خطية من ابن رشيد تمنع عزفها»[2]. ويذكر ماكس أوبنهايم أن قبائل الصلبة رغم ذلك الحظر والمنع، تمسكوا بالغناء بالربابة، وحافظوا عليه، وظل الأمر كذلك إلى أن أوقفت، في عام 1929، الموجه الثانية من التعصب الوهابي، بعد ذلك عادت بقية القبائل إلى العزف على الربابة أيضًا[3].

يعرف البدو، بالإضافة إلى الربابة، آلة موسيقية رئيسة هي الطبل، وهو نوعان: صغير ويستعمل في الاحتفالات، ونحاسي ضخم للأغراض الحربية، وهو مُغطى بجلد، ويضرب بقبضة اليد لا بالعصا. والطبول عبارة عن آلات أسطوانية الشكل ذات وجه جلدي واحد، يقرع عليها بعصا من سعف النخيل أو بأنبوب من المطاط، بالإضافة لضربات خفيفة براحة اليد الأحرى[4]. ويذكر جوهن هيس أنه لا توجد عند قبائل عتيبة وقحطان آلات موسيقية تعمل بالنفخ[5]. وقد عرف المجتمع البدوي بعد ذلك آلات طرب أخرى، فيذكر مكي الجميل أنهم «في الأفراح يُقيمون الهوسة، ويكثرون الغناء، ويطلقون البارود، ويرقصون ويطربون، وليس عندهم من آلات الطرب إلا الربابة، وهي أشبه بالكمنجة، ونوع من المزمار، والدفوف»[6].

---

(1) ليدي بيل: **رسائل جيرتروود بيل 1899–1914**، رزق الله بطرس (ترجمة)، (بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008)، ص 117

(2) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 137.

(3) ماكس فرايهير فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الرابع**، ص 193.

(4) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 266.

(5) مادة وثائقية: «موسيقى الطنبورة في الخليج»، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 53، 54، (يناير – أبريل 1999)، ص 165.

(6) مكي الجميل: **البدو والقبائل الرحالة في العراق**، (بيروت: دار الرافدين للطباعة و النشر والتوزيع، 2005)، ص 102

الأفلاج وسيلة للري

يعرف الإنسان الخليجي القديم، في سبيل إيصال الماء من مصدرها للمناطق البعيدة، التي لا يوجد بها عيون، نظام شامل للري متطور، بحفر قنوات ضخمة على سطح الأرض، مغطاة أو مكشوفة، أو بحفرها في باطن الأرض بشكل انحداري يسمح بجريان الماء من بئر رئيسة، تُسمى بأم الفلج، وتُعرف الفتحات التي تتصل بالقناة، باسم الثقبة أو الفرضة، أما أول مكان خروج الماء إلى سطح الأرض فهو الشريعة. وذلك بهدف تجميع المياه الجوفية أو مياه العيون والينابيع الطبيعية أو المياه السطحية، أو السيول بحيث تنتقل المياه المتجمعة من مواردها في الفلج دون استعمال الآلات لرفعها. وتُعرف هذه الطريقة لتوزيع الماء في البحرين باسم «الفقب» أي الثقب. وفي سلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة باسم الأفلاج، ومفردها «فلج». والتي تعني لغويًا «شق في الأرض»، والجدول المائي الصغير، والقناة التي تروي الأرض. وقيل هو الماء الجاري، والجمع فلاليج وأفلاج[1]. والكلمة مُستمدة من جذور سامية قديمة، تعني «تقسيم»، ويُمكن إطلاق الكلمة على نظام تقسيم المياه بين المساهمين، إذ إنه عبارة عن تنظيم مُعين لتوزيع المياه بين من لهم حقوق فيها.

يُرجع بعض الباحثين الآثاريين والمؤرخين منشأ نظام الأفلاج إلى مصر الفرعونية، إذ مارس المصري القديم الزراعة المروية، وفي حوالي عام 3000 قبل الميلاد شق القنوات؛ لنقل الماء إلى الأراضي المرتفعة في موسم الفيضان[2]. وتذكر المصادر التاريخية أن «نينوى»، وهي من أقدم حضارات العراق القديم، كانت تحصل على الماء بواسطة نظام القنوات، وقد نصت شريعة الملك البابلي حمورابي (1810–1750 ق. م.) على صيانة الماء وأقنية الري وتنظيفها سنويًا، واعتبرت الاعتداء عليها جُرمًا يُعاقب عليه[3]. وقد تمخضت الدراسات والأبحاث عن الكثير من المكتشفات الأثرية، التي تؤكد معرفة مجتمعات شرقي الجزيرة

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، عبد الله علي الكبير وآخرون (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، د. ت.)، ص 3456، 3457.

(2) حسين محمد حسين: «نظام الأفلاج والثقب أو قنوات الري تحت الأرضية»، **صحيفة الوسط**، العدد 2631، (19 نوفمبر 2009م).

(3) محمود الأمين: شريعة حمورابي، (بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، 2007)، ص 25، 26؛ مجموعة من المؤلفين: **شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق الأدنى القديم**، أسامة سراس (ترجمة)، (دمشق: دار علاء الدين، 1993)، ص 103، 104.

العربية لنظم الري منذ عام 2500 قبل الميلاد. وقد اشتهرت إمارات ساحل عمان المتصالح بانتشار الأفلاج في: العين والفجيرة ورأس الخيمة. وخاصة منطقة «هيلي» بمدينة العين، التي تُعدّ من أهم المواقع التاريخية المشهورة بالأفلاج[1].

تتعدد أنواع الأفلاج، ومنها: الفلج الداؤودي الذي يُنسب إلى النبي داود، عليه السلام، إذ ينقل ولكنسون أسطورة تقول إن النبي سليمان بن داود، عليه السلام، في رحلته اليومية على بساط الريح إلى بيت المقدس، وفي طريقه إلى عُمان رأى قلعة «سلوت»، فأمر الجن أن تبحث الموضوع، وأخبره رسوله الهُدهد، أحد الطيور، أن القلعة غير مسكونة، فدخل النبي سليمان عُمان، وظل بها عشرة أيام، كان يأمر الجن المُسخرة له أن تبني ألف فلج في كل يوم من أيام إقامته، ومن يومها أصبح في عمان عشرة آلاف فلج، يُعرف بالداؤودي[2]، وهو ذلك الفلج الذي يستمد مياهه من عمق بعيد عن سطح الأرض. أما الفلج الغيلي، فإنه يستمد مياهه من غيول السيول والأودية، أو من ينبوع أو عين طبيعية، أو مجموعة عيون تتدفق منها المياه وتنساب على سطح الأرض مخالفًا بذلك الأنواع الأخرى، التي تعتمد على المياه الجوفية، وتعني كلمة غيل في الاستخدام المحلي الماء على السطح الحصوي للوادي[3].

يلفت نظام الري بالأفلاج جُلّ رحالتنا الذين زاروا الجزيرة العربية والخليج، وبالتالي من الصعوبة الإحاطة بكل ما ذكروه، ولهذا سوف نستعرض في اقتضاب إشارات سريعة. بداية يذكر الضابط البحري البريطاني جيمس ريموند ولستد *James R. Welsted*، الذي قام برحلاته في شبه الجزيرة العربية والعراق (1830-1835) أنه «توجد في عمان بعض الأودية الجافة التي تجري تحت الأرض، وهي ذات قيمة كبيرة في هذه المناطق، كما توجد بعض الخيران الصغيرة التي يتضاءل حجم بعضها كثيرًا في مواسم الجفاف». ويُشير إلى قيام العمانيون بسحب «المياه من الآبار العميقة بأسلوب فريد، حيث يثبتون خشبتين في منتصف قطر فوهة البئر...، وحين يمتلئ الإناء يُسحب ويُسكب في مستودع صغير ليتمّ توزيعه عبر جداول مستحدثة على وجه الأرض... ثم يُجرى توزيعه... بالنجوم التي يعرفون المواقيت الثابتة لخروج بعضها وغيابه». وفي واحة مأدبة أدهشته جداول المياه تنساب من جميع الاتجاهات، وتجلب الراحة للنفس[4].

---

(1) «يعود تاريخه إلى ما قبل الميلاد، والهيلي أهم مواقعه، الأفلاج.. نظام ذكي للري»، **صحيفة البيان**، (23 نوفمبر 2013).

(2) جي. رسي. ولكنسون: **الأفلاج ووسائل الري في عمان**، محمد أمين عبد الله (ترجمة)، (مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2003)، ص 68.

(3) «نظام الري في عُمان ما زال يعتمد على الأفلاج القديمة»، **صحيفة الوسط**، العدد 2002، (29 فبراير 2008م/ 21 صفر 1429هـ).

(4) جيمس ريموند ولستد: **تاريخ عمان رحلة في شبه الجزيرة العربية**، عبد العزيز عبد الغني إبراهيم (ترجمة)، (بيروت: دار الساقي، 2002)،

يصف الرحالة الإيطالي كارلو جوارماني *Carlo Guarmani*، الذي ارتحل في شمال ووسط الجزيرة العربية في عام 1851، واحة تيماء بأنها عبارة عن «متاهة من الشوارع الصغيرة التي تظللها أشجار النخيل، وأشجار الكروم التي تتدلى فوق هذه الشوارع، كما تظل هذه الشوارع أيضًا أفرع أشجار التين البارزة، وأشجار الخوخ والرمان التي جرى جلبها من دمشق قبل سنوات قليلة، وثبت نجاحها. هذه الأشجار يجرى ريها في قنوات، الكثير منها يُصنع من جذوع النخيل، تحمل الماء إلى المزارع من بئر عامة، في حال عدم وجود أبيار، أو من أبيار أُخرى قريبة، غالبًا ما تكون ملكًا لصاحب البيارة»[1].

يُشير الرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف *William Gifford Palgrave*، (1826-1888)، والذي قام برحلته في شرق ووسط الجزيرة العربية (1862-1863) إلى أن الري في واحة الجوف «يعتمد على القنوات الجارية التي تحمل الماء العذب الصافي... وما أجمل تلك المناظر لو تذكرنا الصحراء القاحلة»[2].

يرى الرحالة والسياسي البريطاني صموئيل مايلز *Samuel Miles*، الذي استطاع أن يتجول في سلطنة عُمان بين عامي (1874-1885)، أن القناة أو فلج المطارد هو أحد علامات الرخاء السابق في صحار، حيث كان هذا الفلج يمد المدينة بالمياه في العصور القديمة. وفي وصفه للفلج يقول «إنه عبارة عن بناء صخري جيد يصله بسطح الأرض وادي الجزى القريب من حورا برجه، أو هضبة صحار كما نُسميها، إلى الشاطئ بمسافة تبلغ من أربعة إلى خمسة عشر ميلًا، وآثاره ما زالت موجودة إلى الآن». وقد لاحظ مايلز مثل هذا لبناء بجوار جبل غرابة[3].

يؤكد جون جوردن لوريمر (1870-1914) *John Gordon Lorimer*، وهو واحد من أبرز الرحالة والمؤرخين والمبعوثين السياسيين، ومن الشخصيات التي لعبت دورًا في إرساء قواعد الإمبراطورية البريطانية في الشرق الأوسط، وأحد رجال حكومة الهند البريطانية، وقام بجولته في الخليج العربي مطلع القرن العشرين بهدف إعداد سفره الضخم المسمى السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، على أن أغلب

ص 180-182.

(1) كارلو جوارماني: **شمال نجد، رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم في العام 1864**، صبري محمد حسن (ترجمة)، (القاهرة: دار الهلال، 2010)، ص 210.

(2) عوض البادي: **مرجع سابق**، ص 74، 83.

(3) س. ب. مايلز: **الخليج بلدانه وقبائله**، محمد أمين عبد الله (ترجمة)، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، 1983)، ص 444.

سكان سلطنة عمان يعيشون على الزراعة، وخاصة زراعة النخيل، وزراعة الحبوب اللتين تعتمدان على الري، ففي التلال، وحيث توجد الينابيع، وتستجلب المياه للحقول بواسطة قنوات مبنية بعناية، وأحيانًا من قنوات تحت الأرض، وتُسمى هذه الحالة «أفلاج»، والقناة المكشوفة تُسمى «ساقية»، وعندما يكون الري من الآبار كما هو الحال في الباطنة، فإن المياه ترفع من الآبار بقرب جلدية كما هو الحال في بعض أجزاء الهند[1].

يقوم الشاعر والرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي (1843-1926) *Charles Doughty*، برحلته في الجزيرة العربية، ويقضي بها سنتين (1876-1877) متجولًا في صحرائها،ويُشير إلى الأفلاج في وادي الدواسر، بقوله: «وتقع الأفلاج، جمع فلج، وتعني الصدع في الجبل، في جبل طويق وسكانها من الدواسر»[2].

تقوم الرحالة البريطانية آن بلنت (1837 -1917 *Ann Blunt*) في شتاء عام 1878-1879 برحلة برفقة زوجها من دمشق إلى حائل، في شمال نجد، ومنطقة جبل شمر، وتكتب عن الأفلاج تقول: «أما الأرض فصارت أخشن من ذي قبل، وصارت الأفلاج أكبر والسفر أشق وأعسر، غير أن الأفراس والجمال تابعت طريقها بإقدام». وتروي قصة تدور أحداثها حول عاشقين شابين فرا من الجوف بنية الزواج، فلاحقهما ذووهما. ولما شكا بأنهما ملاحقان، وبُغية تجنب الفضيحة، اتفقا على أنهما بدلًا من أن يمضيا معًا، فضّلا أن يسيرا بخطين متوازيين يبعدا الواحد عن الآخر بمقدار مئة يارد، وعلى هذا النحو انطلقا في رحلتهما. فلما وصلا إلى أحد الأفلاج...، نال منهما التعب كل مبلغ، فانطرحا كل منهما تحت شجيرة ليُلاقي حتفه. وعلى هذه الشاكلة عثر عليهما، ولكن لحسن الحظ قبل فوات الأوان، وسر اختيارهما ذويهما على الجانبين، فصدرت الموافقة على زواجهما، وتمّ الاحتفال بعرس بهيج للغاية». وتذكر أنها خيمت إحدى الليالي في صحراء النفود بين المراعي، «على طرف أحد الأفلاج... خلال طريقنا من الجوف...، ولا تُعدّ هذه الأفلاج ذات شأن بالمقارنة مع ما شهدناه إلى جهة الغرب»[3].

يرى تشارلز هوبر *Charles Huber*، الذي قام برحلته في وسط الجزيرة العربية بين

---

(1) لوريمر: **دليل الخليج، القسم الجغرافي**، ج5، ص 192

(2) سعد العبد الله الصويان: محاضرات في **أدب الصحراء العربية**، (الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث - كتاب المأثورات الشعبية، 2013)، ص 114.

(3) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية**، أحمد إيبش (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2005)، ص 194، 198، 328.

عامي 1878–1882، أن ميزة صحراء النفود تكمن في أفلاجه، إلى جانب كونه صحراء ذات رمل صاف كليًا لا يشوبه أي خيط من التراب أو الحصى أو أي مادة غريبة أخرى. والفلج في النفود هو تقعير بشكل نصف بيضاوي ينغرز عند انعطافه عميقًا في الرمل، ويشبه إلى حد بعيد الأثر الذي يتركه حافر حصان عملاق، هذا الحافر المفرغ قليلا من تحت على شكل قوس دائرة يبلغ قطره ما بين 300 و400 متر، ويغوص عند رأسه فقط إلى 50 و60 و70 وحتى 80 مترًا في الرمل. والوجهة هي وجهة سير هذا الحصان باتجاه الشمال – الغربي. إن انحدار الجدران الداخلية لنضوة الحصان مدهش بسبب نعومة الرمل. فهو يبلغ ما بين 50 و60 درجة. لذا فإن أصغر شيء يُرمى على هذا المنحدر يتدحرج إلى الأسفل مثيرًا جرفًا رمليًا. ولكن على الرغم من احتمال انهيارات متواصلة، يبقى الفلج ثابتًا ويحافظ باستمرار على مظهره. بعض هذه الأفلاج تخرق كل سماكة طبقة الرمل، وتكشف في القعر تارة تربة صلصالية، وتارة أخرى صخورًا وحجارة كلسية وصوانية، ويمثل فلج عيون قفيعة وفلج البيضا المسجلتين على الخريطة هذه الحالة بالتحديد، وهما في الوقت عينه من أعمق الأفلاج.

بناء على هذا الوصف ندرك مغالطة وصف بلجريف، فنزول وصعود هذه الأفلاج غير وارد، ذلك أن منحدر جدرانها لا يسمح بالصعود أو بالنزول. والطريق التي تسلك تلتف حولها أو تجتازها من الوراء عند وتر القوس. تعلو عددًا كبيرًا من الأفلاج وعمومًا الكبيرة منها، في الغرب، وفي الغالب في الجنوب الغربي قمة عالية من الرمل متوجة هي الأخرى بقمة بارتفاع 4 إلى 4 أمتار وعرة المنحدر. وكما لاحظت الليدي آن بلنت، فإن هذه القمم تتمايز بلونها الأبيض عن لون باقي النفود، ولكنه مجرد خداع البصر، إذ تبين من مقارنة عينية كنت قد جلبتها معي بعينات أخرى من النفود، أنها لا تختلف عنها في التراكيب واللون. إلى جانب هذه الأفلاج، وهذه القمم العالية التي تتوجها، لابد من وصف ميزة أخيرة للنفود ألا وهي الأمواج الكبيرة التي تقطعه في بعض الأماكن، وتمتد من الشرق إلى الغرب، وتعلو عن المستوى العام عمومًا بارتفاع 15,60 وحتى 20 مترًا. وقممها تبدو هي أيضًا بيضاء. ونصادف ثلاثًا أو أربعًا على الطريق المؤدية من الجوف إلى الجبل[1].

يُشاهد المستشرق الألماني يوليوس أويتنج *Julius Euting* الذي قام برحلته إلى شمال شرق الجزيرة العربية (1883–1884) في واحة تيماء «توزيع الماء بين ملاك البساتين...

(1) شارل هوبير: **رحلة في الجزيرة العربية الوسطى** 1878–1882، إليسار سعادة (ترجمة)، (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2003)، ص 36، 37.

عبر قناة تتفرع منها جداول صغيرة لكل منها صمام يُمكن من خلاله حبس الماء، ومن المعتاد أن كل من له نصيب في تلك الجداول يقوم بجلب جمل للعمل في إخراج غروب الماء من أعماق البئر، كما يحرص بنفسه على صحة عملية توزيع الماء خلال تلك الجداول... التي تمتد عبر الشوارع». ويذكر أنه توجد بقرية كاف «قنوات أخرى لتصريف المياه الفائضة يُمكن أن يستفيد منها صغار الملاك»[1].

يكتب الرحالة الألماني ماكس فون أوبنهايم *Max von Oppenheim* (1860–1946)، الذي قام برحلته من البحر المتوسط إلى الخليج بين عامي 1892–1894، عن الينابيع والأفلاج والنخيل في شمال ووسط الجزيرة العربية، يقول: «تقع إلى الجنوب من الخرج واحات الأفلاج، وتوجد هنا ينابيع مشابهة لتلك التي توجد في الخرج، وكانت تغذي سابقًا نظام أقنية واسعة، لا يجري فيها الآن سوى سيح (مسيل) واحد أخذت منه الواحة اسمها...، وتغذي الينابيع الواحتين القديمتين في شرق الجزيرة، والتي تُشكِّل مدينة الهفوف ومرفأ القطيف مركزها، وتشكل زراعة أشجار النخيل المرتبة الأولى في اقتصاد الواحات، ولكن، من الممكن، أن تتمّ زراعة الحبوب أيضًا بالاعتماد على الري أو في الأراضي التي تسقيها الأمطار أو السيول»[2]. وفي موضع آخر يُشير إلى أن «العديد من هذه الينابيع متصل مع قرية بقنوات تحت الأرض مزودة بفتحات كبيرة للتهوية، تُسمى كهريز»[3].

يرتحل الرحالة الشاعر ثيودور بنت *Theodore Bent* وزوجته مابل، في اليمن وعمان قادمين من الحبشة في عام 1893، ويُشاهدا «الجداول تنساب مياهها فوق ما يُشبه جدارًا ضخمًا مُذهلًا، فتشكل شلالات خفيفة القوام، وتتدلى منها المقرنصات الحجرية، بشكل مشوش، وفي الوسط يُصبح عمقها 55 قدمًا، وأكبر طول لها حوالي الميل، وهي عبارة عن ظاهرة طبيعية رائعة»[4].

يبذل المبشر الأمريكي صموئيل زويمر *Zwemer Samuel* (1867–1952)، عضو

(1) يوليوس أويتنج: **رحلة داخل الجزيرة العربية**، سعيد بن فايز السعيد (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1999)، ص 156، 22.

(2) ماكس فرايهير فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الثالث: شمال وسط الجزيرة العربية والعراق الجنوبي**، محمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2007)، ص 19، 20.

(3) ماكس أوبنهايم: **من البحر المتوسط إلى الخليج: لبنان وسوريا**، محمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008)، ص 289.

(4) بيتر برنيث: **بلاد العرب القاصية، رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب**، خالد أسعد عيسى؛ أحمد غسان سبانو (ترجمة)، (بيروت: دار قتيبة للنشر والتوزيع، 1990)، ص 207.

الإرسالية التبشيرية، منذ عام 1892 عدة محاولات لزيارة الإمارات العربية المتحدة، التي لم تغب عن ذهنه، ولكن من دون فائدة، إلا أن رغبته تحققت أخيرًا في مايو من عام 1900، حيث وصل الشارقة في 14 منه بعد أن مر في طريقه بجزيرة أبو موسى، ومنها إلى دبي، ووصف الطريق الذي سلكه بقوله: «على الرغم من أنه محفوف بالمخاطر والصعاب إلا أنه طريق جميل، وعلى هذا الساحل ينمو العديد من الفواكه مثل المانجو والنخيل، ويستخدم الأهالي للري طريقة تُسمى «أفلاج» جمع فلج، وهي تعمل عن طريق تحويل لمجرى الغدير ليصب في قنوات تروي المزروعات»[1].

يُشاهد، في الرياض، الدبلوماسي الدنماركي باركلي رونكيير *Barkley Ronquier*، الذي قام برحلته للجزيرة العربية في العام 1912، «الماء ينساب جداول رقراقة من جيوبها العديدة عبر قنوات تأخذه لسقي النباتات العطشى دائمًا»[2].

يخترق الرحالة البريطاني جون فيلبي *John Phillby* (1885–1960)، شبه الجزيرة العربية بين سنتي 1917–1918، ويكتب عن وسائل الري المتبعة في الأفلاج، واستخدام الكهاريز (الدبل) وهي مجاري مائية جوفية اصطناعية؛ ويُشير إلى احتمال وجود مجرى مائي قديم كان يأتي من خط تقسيم المياه في الأفلاج[3].

---

(1) فاطمة حسن الصايغ: «الساحل المتصالح في كتابات المنصرين»، في كتاب عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996)، ص 308؛ نقلا عن:

(May 1900), Arabian Mission Correspondence, No. 753, Box 2.

(2) باركلي رونكيير: **عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل**، منصور محمد الخريجي (ترجمة)، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1999)، ص 174.

(3) محمد فاتح عقيل: **الجزيرة العربية في كتابات بعض الرحالة الغربيين**، (الإسكندرية: مكتبة دار نشر الثقافة، 1962)، ص 26، 30.

الجراد من المأكولات البدوية

يُصنف الجراد بأنه جنس حشرات من فصيلة الجراديات، ورتبة مستقيمات الأجنحة، أنواعه عديدة، تختلف باختلاف الشكل والحجم، وكلها كبيرة القدّ، ذات فك قاضم، وبطن مستطيل، وأرجلها الخلفية طويلة مُعدّة للقفز، وهي تتكاثر بسرعة، وتغزو المزروعات والأشجار، بحيث لا تُبقي على شيء[1]. وتضيف آن بلنت «تبدو هذه الحشرات عندما تطير كذبابة نوار الكبيرة...، وتنجرف مع الريح، ولها بالكاد من القوة ما يكفي لتنحرف عن العوائق التي تُصادفها... لكنها عندما تجثم على الأرض تصعب رؤيتها، وهي تبقى يقظه محترسة، وتنط مبتعدة عندما تقترب منها، يبدو أن قدرتها على الاستشعار تفوق طاقتها على الحركة»[2]. وإذا ما حلت جيوش الجراد وأسرابه بأرض فلن تُبقي وراءها شيئًا أخضرًا، فلا شجر، ولا زرع، ولا عُشب، إذ تأتي جيوش الجراد على كل شيء، والأسوأ أن تأتي موجات الجراد على عدة دفعات، أو عدة موجات في عام واحد، فتقضي كل موجة على ما يُمكن أن ينبت بعد الموجة التي سبقته، لاسيما إذا كان الأمر يتعلق بشجيرات صحراوية. ولن تترك هذه الضيوف المؤذية وراءها شيئًا، فلن يجد كائن حي ما يُقيت الحياة، فتموت الحيوانات بالآلاف، وتُصبح مشكلة الرعي معقدة جدًا أمام البدو[3].

يبتهج البدوي بأسراب الجراد عندما تُقبل أشد الابتهاج، والتي تكون كجيوش ضخمة نهارًا، وفي الليل تحتشد في أفواج تحت الشُجيرات، وتأكل كل ما هو نباتي، وتلتهمها الحيوانات بدورها؛ وكذلك الغربان والصقور، وتمضغها الجمال مع طعامها، والكلاب السلوقية تأكل كل ما تتمكن من الإمساك به، وكثيرًا ما يُقدم البدو الجراد لخيولهم، وهكذا فإن الجراد قد يُنافي كونه مجرد حشرة ضارة، لأنه يُعدّ مادة للاستهلاك الغذائي. ويذكر بيرتون أن البدو يوقدون نارًا بالليل، وبينما يقع فيها الجراد يرددون هذه المقولة ليبرروا أكله: «لقد رُخص لنا أكل جيفتين ودمين السمك والجراد والكبد والطحال». وبما أنه ليس

(1) أنطوان نعمة (وآخرون): **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، (بيروت: دار المشرق، 2000)، ص 191.

(2) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 132.

(3) ديكسون: **عرب الصحراء**، ص 418.

للبدو محصول زراعي يخافون عليه فإنهم شاكرون لنزول أسراب الجراد. وأفضل وقت لالتقاط الجراد هو الصباح الباكر، إذ تكون الجرادات نصف مخدرة بفعل البرد والصقيع، ويكون الندى قد بلل أجنحتها فلا تستطيع الطيران، ويُمكن العثور عليها مجتمعة بالمئات تحت شُجيرات الصحراء، فيتمّ جمعها دونما عناء، وذلك بجرفها داخل كيس تُغلق فوهتها بتخيطها بالمسلة أو المخيط، أو سلة. فإذا ما جففت الشمس أجنحتها يُصبح من الصعب صيدها، إذ إنها من الذكاء بحيث لا تُمكن طالبها من الوصول إليها[1]، وتستطيع الجرادة أن تُحلق بقدر ما يُحلق الطائر، وأن تحط لحظة تشاء.

يشعر البدوي بالسعادة الغامرة عند رؤيته لأسراب الجراد، لما لا وهي مصدر طعام رئيس عند البدوي وحيواناته، ولولا الجراد الذي يتوافر بكثرة شتاءً لماتوا جوعًا، ويُمكن رؤية أكوام كبيرة من هذه الحشرات المُجففة في كل خيمة من خيامهم[2]. وتُجرى ملاحقة الجراد في الأماكن التي يهبط عليها، ويُجرى شويه في حُفر عميقة في الأرض. ويُشير جورماني إلى أن الجراد لا يُوصى به كطعام للإنسان، فالجراد عندما يُشوى يصبح بلا طعم، وهذا الجراد يملأ معى الخيول، ويزيد عضلاتها دون أن يتسبب في سمنتها، والجراد إذا ما جُفف وطحن إلى مسحوق، فإن مقدارًا صغيرًا منه يُشكل علفًا كافيًا للحصان، وبهذه الصورة يُمكن المحافظة على الجراد لسنوات عدّة حتى مع تعرّضه للرطوبة[3].

والجراد جزءًا من غذاء البدوي اليومي، إذ يُعتبر من الوجبات التي تؤكل في البادية بشهية بالغة، وتذكر آن بلنت أن أفضل الطرق لطهيه هي السلق في قدر كبير، يحوي ماءً مملحًا مغليًا، وعندما ينضح يُخرج من الماء، ويُنشر في الشمس على قطع كبيرة من قماش خيمة قديمة كي يُجف لمدة أربعة أو خمسة أيام، ثم تُنزع الأرجل الطويلة، وتُحمل الجرادة من جناحيها، وتغمس بالملح ثم تؤكل[4]. وأحيانًا يُطحن في الهاون ويضاف إليه مسحوق من الملح والدهن، وفي بعض الأحيان التمر، ويأكل الشمريون الجراد كما هو دون أي إضافات أو توابل، ويتمتعون بأكله كمادة مقوية مليئة بالفيتامينات[5]. أما الجراد غير المجفف فيأكله البدوي بأن ينزع رأس الجرادة ويسحب معدتها وينزع جناحيها والجزء الأسفل من الساقين.

---

(1) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 327، 328.

(2) سمير عطا الله: **قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية والخليج**، (بيروت: دار الساقي، 1994)، ص 226، 342.

(3) كارلو جوارماني: **شمال نجد**، ص 121، 122.

(4) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 327.

(5) لوثر شتاين: **رحلة إلى شيخ قبيلة شمر مشعان الفيصل الجربا سنة 1962**، قسم الترجمة في المؤسسة (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2011)، ص 44.

وبذا تكون جاهزة للأكل بعد سلقلها أو شيها، والجراد لا يؤكل مع طعام حلو، ويُقدم طبق الجراد ساخنًا دائمًا مع قليل من الملح والفلفل أو البصل المحمر في السمن[1].

تُشير آن بلنت إلى أن الجراد عندما يُقلى لا بأس به للأكل[2]. ويذكر بالجريف أنه عندما يُسلق أو يُحمر يُصبح لذيذ الطعم[3]. وأحيانًا أخرى يُشوى الجراد على النار، ويؤكل، ويتمّ شيه في حفر غير عميقة، تسمى «زبوة»، على نار هادئة من الأعشاب، وبعد مُعالجته بهذه الطريقة وإضافة الملح عليه، يبقى الجراد صالحًا للأكل لمدة طويلة، ويُضاف إليه اللبن الرائب[4]. ويذكر داوتي أن أفضل أنواع الجراد جراد الربيع السمين. والذي يعتبره البدو ذا فائدة طبية لأنه، كما يقولون، يتغذى على كل شيء أخضر[5]. ويُفضل البدو أكل الإناث دون الذكور، وتُقلى بالزبدة، وأحيانًا تُغلى بالماء فقط، وهي من الأكلات التي يُحبونها كثيرًا[6]. ويُفضل البدو الجراد في الطور الأحمر من حياته[7]. وهم ينتظرون مواسمه، كما ينتظر سكان مصر موسم السمان، ويتفاءلون بالخير إذا ما أقبل موسمه، بقدر ما يتشاءم منه أهل مصر، وعن فوائده يذكرون في نجد أنه مُغذ كالشهد، شاف للعلل كالترياق، حتى بلغت بهم شدة الشغف لأكله أن يتخذوا منه قديدًا[8]. ويجفف ويحفظ كمؤونة للشتاء[9].

يأكل كثير من الرحالة الغربيين الذين ارتادوا صحراء الجزيرة العربية الجراد، فقد أكلت آن بلنت الجراد مسلوقًا مع أرز، ووصفت طعمه بأنه «يُشبه الخُضار أكثر من السمك أو اللحم، ولا يبعد كثيرًا عن طعم القمح الأخضر...، والجرادة الحمراء أفضل للأكل من الجرادة الخضراء، ويقال إن الحمراء هي الإناث، والخضراء هي الذكور»[10]. وأكلت الأمريكية كورنيلا دالنبيرج، أو شريف الأمريكانية، الجراد، فكانت تقطع الرأس والزوائد

---

(1) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 45.

(2) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 133.

(3) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 80.

(4) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 222، 121.

(5) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 121.

(6) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 419.

(7) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 206، 207.

(8) محمد شفيق أفندي مصطفى: **رحلة في قلب نجد والحجاز سنة 1926**، محمد محمود خليل (تحقيق)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010)، ص 78، 79.

(9) كارستن نيبور: **رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها**، الجزء الأول، عبير المنذر (ترجمة)، (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2007)، ص 320.

(10) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 327.

وتغمس الجراد في الصلصة ليُصبح طعمه شبيهًا بطعم الفستق المملح[1]. واستهجن أدولفو ريفادينيرا ذلك الطعام الغريب، وسأل البدوي إذا كان يُحبه، فأجاب إنه يأكله على شكل عجة، بخلطه بقليل من الدقيق، ورغم ذلك لم يتذوق شيئًا منها[2]. أما كارلو جورماني فقد قدموا له حليب النياق، مع الجراد المشوي، فيصف الحليب بأنه ممتاز، لكن الجراد كان بلا طعم، ولم يأكل منه سوى اثنين فقط. رغم أنه اشترى أربعة جوالات مملؤة بالجراد المشوي[3].

(1) جمال محمود حجر: الرحالة الغربيون في المشرق الإسلامي في العصر الحديث، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008)، ص 162.
(2) أدولفوريفادينيرا: من سيلان إلى دمشق، صالح علماني (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2009)، ص 146.
(3) كارلو جوارماني: شمال نجد، ص 91، 121.

مأكولات بدوية من الحليب

يحتل حليب الإبل والماعز مكانة أساسية في التغذية عند البدو، ولا يُربَّى البقر والجاموس إلا عند المعدان والقبائل شبه المستقرة على نهر الفرات وروافده، ويحب البدو الحليب حُبًا جمًّا، إلا أنه لا يتوافر بكميات كبيرة إلا في فصل الربيع، ويشرب البدو اللبن طازجًا أو حامضًا، وتُشكِّل الألبان وما يُستخرج منها كالسمن والزبد والجبن النسبة الأكبر من طعام الأسرة البدوية.

تعتبر الشنينة «اللبن المخيض»[1]، مشروبًا محُببًا خاصة في فصل الحر، وهي نوع شديد الحموضة من اللبن، ممدد بكثير من الماء[2]. وتُشير آن بلنت أن عشيرة من شمر قدمت لهم بعض اللبن المخيض ليشربوه[3]. وقبل أن ينام أدولفو ريفادينيرا أطفأ ظمأه بشراب «المخيض»، ويُحضر من لبن النوق، وهو الغذاء الوحيد، الخفيف والمُغذي، وهو أساس الغذاء الشرقي، لكونه مادة سهلة الهضم، ويتمّ الحصول عليه بأن يُسكب الحليب الدافئ في قربة من جلد النعاج، ثم تُربط بالحبال بين عمودين متوازيين ويبدؤون هزها لمدة ساعتين، وبعد ذلك يفرغون السائل ثم يكشطون السمن فيتحول إلى المخيض، ويُخلط عند تناوله بمقدار من الماء يزيد أو ينقص حسب ذوق كل شخص، ويُستخدم كغذاء كما أنه يُطفئ الظمأ في الوقت نفسه[4]. وشاهدت روث وهيلين هوفمان الأمة وهي تهز قربة ماعز «المخض أو الصميل» مملوءة بالحليب، لأجل تحويله إلى «شنينة»، مع ترديد الأنغام الشعبية[5].

أما البكل أو «اللبن المُجفف»، فهو نوع من الأطعمة المحفوظة في فصل الصيف عندما يكون الموسم قاسيًا، وفي هذه الفترة يُصبح الحليب الطازج نزرًا والماء قليلا، فإنهم

---

(1) يبخر البدو في نجد اللبن، ويحصلون منه على قطع كثيفة، تحُل عند الاستعمال في الماء، ويُسمى المشروب حينئذ «مريسة» و«بقل» ويتزود البدو منه بكثرة أثناء الغزو، ويُطلق عليه اسم «كوروت» عند البدو الأتراك. ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة**، محمود كبيبو (مراجعة وتدقيق)، (بغداد: دار الوراق للنشر، 2007)، ص 166.

(2) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 165.

(3) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 323.

(4) أدولفوريفادينيرا: **مرجع سابق**، ص 151.

(5) روث وهيلين هوفمان: **الليالي العربية مذكرات سيدتين أمريكيتين في العراق وقبيلة شمر**، عبد اللطيف السعدون (ترجمة)، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2004)، ص 268.

يقومون بانتاج البكل بأن يقوموا «بغلي الحليب المُحمض حتى يُثخن، ثم يضعنه في كيس من القماش، ليسيل منه الماء الزائد، وهكذا يحصلون على ما يُسمى «الجرسي»، بعدها يشكلون منه كرات صغيرة باليد، يضعنها في الشمس إلى أن تجف، وتُصبح قاسية، عندئذ يكون البكل جاهز للأكل، ويُحفظ في أكياس جلدية بإمكانها حفظه لسنوات عديدة، ويؤكل في فصل الصيف، وقبل أكله يُنقع ليلة لتليينه، ويُمكن أكله مع التمر أو غيره، وطعمه لذيذ للغاية. وأكله لوثر شتاين واصفًا لونه بأنه رمادي بُني، ذو رائحة حامضية، أما مذاقه، فأشبه ما يكون بالجبن القديم المُجفف[1].

تصنع البدوية من اللبن «المريس» وذلك بغليه في قدر كبير ليتبخر جزء من الماء، ويبقى اللبن في شكل عجين يُقدم بعضه كوجبه بعد إضافة السمن عليه، ويُقطع الباقي قطعًا صغيرة ويُجفف لاستعماله في شهور الصيف عندما يقل الحليب أو يندر. ويبقى المريس على حاله حتى السنة القادمة لكنه يُصبح أكثر صلابة. وعندما يُذاب في الماء ويُضاف إليه السكر، يُصبح شرابًا مُنعشًا في حرارة الصحراء. والرجال يخرجون للغزو لعدة أيام، لا يحملون معهم إلا المريس[2].

أما الزبدة فهي حامضية لبقائها طويلا في القرب الجلدية، تُحضر بأن يُوضع الحليب الطازج في جراب من جلد الغنم يُسمى «مغبة» ويترك من المساء حتى الصباح لكي يُحمض، ولكي يُخثر «يروب». في اليوم التالي يُوضع هذا الحليب الحمضي في جراب يُسمى «السقى» أو «مخض»، ويُخض عدة ساعات حتى تتشكل الزبدة، وبعضهن يُعلقن القربة في حبل مُتدلي من حامل ذي ثلاث أرجل ويُحركن القربة إلى الأمام وإلى الخلف في إيقاع متجانس[3]. ثم يُترك المزيج يغلي على النار طويلا حتى ينضج[4]. وإعداد الزبد هي أولى الأعمال البيتية التي تقوم بها البدوية، قبيل شروق الشمس[5]، ثم تبدأ بخض الحليب ساعات طويلة حتى يتكون الزبد[6].

(1) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 46، 47.

(2) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 119، 120.

(3) يوليوس أويتنج: **مرجع سابق**، ص 142.

(4) بول هنري – بوردو: **ساحرة الصحراء الليدي إيسترستانهوب في الشرق**، ازدهار متوج ومحمد وليد الجلاد (ترجمة)، (دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، 1992)، ص 144.

(5) ميهاي فضل الله الحداد: **رحلتي إلى بلاد الرافدين وعراق العرب**، ثائر صالح (ترجمة)، (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2004)، ص 89، 90.

(6) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 27.

أما السمن أو «الزبدة المذوبة» فينتج عندما يُضاف للزبدة الطرية عند تذويبها قليلا من «الجريشة» لكي تُصفى. فهو إذن خلاصة ما يتبقى عند ذوبان الزبدة المستخرجة من حليب الغنم الأبيض «عِرب» وهذا السمن من أفضل الأنواع[1]. ويجعل الوجبات مُكتملة الغذاء. فهو يُضاف إلى الوجبة الجافة، وإلى التمر. وشُرب السمن هو المنعش الوحيد لأجسادهم المنهكة، فهو، كما ينقل عنهم داوتي، ينفذ من خلال العظم إلى النُخاع، فالسمن يعني الصحة في هذا الخلاء المُميت[2]. ويُشير بوركهارت أن من الشائع شرب ملء فنجان من السمن المذاب في الصباح، ثم تناول القهوة بعد ذلك، وهم يعتبرونه مهدئًا قويًا، ولقد اعتادوا عليه منذ فتوتهم الباكرة حتى إنهم يتضايقون كثيرًا إذا ما توقفوا عنه. أبناء الطبقات العليا يكتفون بشرب هذا القدر من السمن، غير أن أفراد الطبقات الدنيا يُضيفون نصف فنجان، يتنشقونه عبر المنخرين، اعتقادًا بأنهم بذلك يمنعون الهواء القذر من الدخول إلى أجسامهم، عبر هذا المجرى[3].

من المأكولات الشهية بشكل خاص «اللبى» أي الحليب الأول للغنم والماعز، حيث يتركون المولود الجديد الذي عمره يومًا واحدًا يملأ بطنه بالحليب ثم يذبحونه. بعد نزع أحشائه يُطبخ مع محتويات معدته ثم تُعلق المعدة في الهواء لتبرد. يكون في المعدة كتلة تُشبه الجبن، تُعدّ أكلة جيدة بشكل خاص[4].

أما ما يُسميه البدو «جبنة» فهو حليب تم تخثيره. ويذكر «داوتي»، أن قبيلة هتيم تصنع «جبنًا رديئًا غير مُتماسك من لبن النعاج والماعز، فهو كتلة متخثرة لكن يُمكن بإضافة قليل من الملح إليه أن يبقى صالحًا لمدة شهر»[5].

(1) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 218.
(2) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 120.
(3) سمير عطا الله: قافلة **مرجع سابق**، ص 135.
(4) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 219.
(5) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 120.

الإبل سفينة الصحراء

تحاول كل قبيلة أو عشيرة الحصول على أحسن أنواع الإبل بالتزاوج، وتهتم بتربية نوع خاص من الإبل تعتقد أنه هو الأفضل والأحسن، فالجمال المُفضلة لدى الضُفير، والرولة من العنزة هي البيضاء[1]. أما الإبل التي تُربى لدى عتيبة فهي السوداء، وتُفضل قبائل المُطير والعوازم وعجمان ذات اللون المائل للحُمرة، ويُفضل الدوشان من المطير الأنواع السوداء الداكنة، أما مُرة وقحطان فهم يُفضلون الألوان الداكنة. وتفتخر قبيلة المُطير بتربية «الشرف»، وهو نوع من الإبل بلون أسود غامق. ويهتم أفراد القبيلة كثيرًا بهذا النوع، وله رعاته الخاصون، ويفتخرون بأنه أفضل من الأنواع الأخرى. وتُستخدم «الشرف» في الحرب بين القبائل كثيرًا، ونادرًا ما لا يملك مُطيريًا ذلولا من نوع «الشرف»[2]. وتربي عشيرة الرولة «المركب»، وهو نوع من الإبل تتميز به من دون غيرها. وتُربي عشيرة الجغايفة بعض الإبل ذات السنام التي يُوجد ما يماثلها في الهند، بالإضافة إلى بعض الأنواع الأوروبية[3]. ويُربي الشرارات أفضل الإبل في الجزيرة العربية، والمُسماة «بنات عديهان»[4]. وعشيرة الفدعان مشهورون بتربية النوق البيض التي تُعرف بـ «المغاتير»[5]. وبصورة عامة فإن الجمال البيضاء والفاتحة تأتي من الشمال، والسوداء والغامقة تأتي من الجنوب[6].

تُشكِّل قطعان الإبل ثروة البدوي. فالجمل يقدم له تقريبًا كل ما يحتاجه للحياة. فهو دابة الركوب والحمولة في الصحراء الشاسعة، ويوفر له كذلك الحليب واللحم والصوف والجلد، والإبل هي الثروة الأساسية للبدوي، وإلى جانب اللبن واللحم يُستفاد من وبر الإبل الذي يغزل، ويُستعمل في صنع الخيام وغيرها، وهو مادة الوقود، وهو المصدر الرئيس للدخل كسلعة تجارية وتبادلية، وبول الإبل أداة للتنظيف في البادية، فهم يغسلون

---

(1) ماكس فرايهير فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الأول: ما بين النهرين «العراق الشمالي» وسورية**، مشيل كيلو ومحمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2007)، ص 131.

(2) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 537، 538، 384.

(3) الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات**، ص 144؛ *Lady Anne Blunt: Op. Cit., P.* 125.

(4) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 147؛ عوض البادي: **مرجع سابق**، ص 122.

(5) ألويز موزيل: **في الصحراء العربية، رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب 1908-1915**، عبد الإله الملاح (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010)، ص 64.

(6) مكي الجميل: **مرجع سابق**، ص 177.

به شعرهم لأنه حسب قول أحد البدو «يُنظف الرأس ويقتل القمل ويُنمي الشعر». ومن الممكن أيضًا أن يُغسل به الفم والأيدي عندما لا يتوفر الماء[1]. ويستعمل البدو بول الإبل في معالجة وجع العيون[2].

يزين البدو النوق التي تُربى لغرض الولادة والحليب بوضع قلادة ذات شراشيب في عنقها: «قلادة بكثل في النياق اللي يولدن»، وتسمى هذه القلادة «دبدوب» الجمع «دباديب». وحسب شرح أحد القحاطين لجوهن جاكوب هيس «فإن الدبدوب هو عبارة عن باقة من الصوف بثخن الذراع وبطول 25 سم تقريبًا تثبت على ظهر الناقة في الأمام والخلف، وأحيانًا على سنامها، للدلالة على أن هذه الناقة جيدة بشكل خاص». ولا تُستعمل هذه الزينة إلا لهذه النوق فقط[3]. ويستعمل البدو خيوط متدلية، وما شابه ذلك على لتزيين الجمل، تُسمى «الهدوب»، والهدف منها هو الزينة. ويطلق البدو المصريون على الجزء العلوي من لجام الجمل الذي يمسك الأجزاء الجلدية من الرسن ورأء الرأس «عضر» ويزين هذا الجزء غالبًا بكثير من القطع المتدلية[4].

وعندما يرغب الراعي في زيادة سرعة الجمل، فإنه يتسلق مؤخرته، ويضربه بخفة ضربات متعاقبة، تصدر عنها أصوات متناغمة «كلوك، كلوك، هيش، هيش...»، فيجري الركب فيما يُشبه الهرولة. ويأخذ السائق بالحداء بصوت أجش، فتتصاعد النغمات المؤثرة لتُخفف من جو الفزع والوحشة، وتعدو الجمال على وقع الحداء، وأرجلها الأمامية والخلفية تتحرك على نحو متناسق مُحدثة أصواتًا تُشبه صوت حركة الغطس في الماء «بلوب، بلوب»، وهكذا، أمام تأرجح، انتقال، أمام، تأرجح[5].

تُدعى عملية ذهاب الإبل لآبار المياه للشرب «بالورود»، والإبل أكثر الحيوانات تحملا للجوع والعطش، وكل جمل يشرب ما بين 50 إلى 60 لترًا من الماء[6]. ولهذا فهو قادر على تحمل العطش لتسعة أيام كما أنه يستطيع أن يظل بلا ماء في فصل الشتاء أكثر من خمسة

---

(1) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 139، 142.

(2) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 56.

(3) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 151، 153.

(4) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 123، 125.

(5) روث وهيلين هوفمان: **مرجع سابق**، ص 260، 261.

(6) فيليب ليبنز: **مرجع سابق**، ص 188.

عشر يومًا[1]. ويكفي الندى الذي يحصل عليه الجمل مع النباتات التي يأكلها في الصباح، لإطفاء ظمأه[2]. وفي فصل الربيع، حيث يتوافر العُشب الأخضر، فإن الجمال تُسقى مرة واحدة، كل عشرة أيام أو أسبوعين، وما إن تبدأ الحرارة بالارتفاع حتى يبدأ معها «ورود» الإبل للماء، في البداية كل سبعة إلى تسعة أيام، وتنقص هذه المدة مع ارتفاع درجة الحرارة، وتصل في فصل الصيف حين تبلغ درجة الحرارة ذروتها إلى يومين، وكحد أقصى أربعة[3]. ويتوقف ذلك على إمكانية ورود الماء، فهذه هي الشروط العادية في الظروف الملائمة، و«تورد» الإبل أولا ثم يأتي دور القطعان الأخرى. وفي الحالات التي تتعرض فيها الجمال للعطش، ولا تتوافر إمكانية إعطائها الماء بسبب عدم توافره عندها يُجرى تنشيق الجمل عن طريق المنخرين بصب قليل من الماء فيهما، وإن المعالجة بهذه الطريقة تسمح للجمل العطشان أن يتحمل العطش يومًا آخر، ويُقال إن هذه العملية تُؤدي إلى ترطيب دماغ الجمل[4]. وإذا «ورد» الإبل للسقي فيجب ارواء عطشه إذ إن قليل الماء لا يُشبع رغبته، ولا يُطفئ عطش الذلول بل إنه سيزيد من تعبها[5].

والجمال تأكل ما يتوافر في المراعي، ونادرًا ما يُقدم إليها العلف[6].الغذاء الرئيس للإبل هو عُشب «النصي»، و«العرفج»، أما في فصل الأمطار حيث تنبت الأعشاب بأشكال مختلفة، فتُعتبر جميعها من الأطعمة الممتازة لقطعان الإبل، كما أن الإبل التي تعيش على أطراف الفرات، حيث تنبت نباتات شوكية تُسمى «العاقول» تلتهمها بشهية على الرغم من شوكها، لكن هذا النوع لا يسر كثيرًا الجمال التي تعيش في الصحراء. وللحفاظ على الإبل في ظروف صحية حسنة، لابد لها من تناول نوع من النبات يُسمى «الحمض»، عبارة عن شُجيرات صغيرة تنبت في الصحراء، وتُسمى تلك العملية بالتمليح، إذ يحتوي النبات على كميات كبيرة من الملح، ويجب ألا تزيد أوقات التمليح عن عشرة أيام. وفي الحالة التي لا تتوافر فيها مثل تلك النباتات تُقدم للإبل حفنة من الملح لكل منها تلتهمها مباشرة من اليد. وتأكل الإبل شُجيرات «القيصوم» في فصل الخريف، ولكنها لا تقترب منها في وقت مُبكر من فصل الربيع[7].

---

(1) محمد شفيق أفندي مصطفى: **مرجع سابق**، ص 40.

(2) كارلو جوارماني: **شمال نجد**، ص 72.

(3) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 52.

(4) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 394.

(5) يوليوس أويتنج: **مرجع سابق**، ص 85، 86.

(6) انيغريت نيبا وبيتر هربسترويت: **مرجع سابق**، ص 137؛ *Nippa, Herbstreuth: Op. Cit.*, P. 129.

(7) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 388، 389، 550.

ويخرج الشباب لرعي الإبل بينما تخرج الشابات لرعي الأغنام. ويقوم الصبي الراعي بتسلية نفسه بطريقة أو بأخرى حتى تبزغ الشمس التي تجعله ميالا للاستراحة. عندها يغرس عصاه في الأرض، ويُعلق عباءته عليها، ليخدع الأغنام ويُوهمها بأنه يراقبها ويمنعها من التجول، بينما يستغرق في النوم، وليس هناك من خطر في النهار طالما أنه على مرمى النظر من المخيم[1]. وقد يضطر الراعي في بعض الأحيان إلى المبيت في الخلاء فيأكل الخبز أو التمر، ويشرب من لبن الإبل أو الأغنام[2].

وأجرة الراعي لخمسين من الإبل فصاعداً في السنة مفرود، وهو ابن الناقة بعد أن يُفطم، أي عمره من ثمانية أشهر إلى السنة، ومن خمسين فنازل مبارى، أو حوار، وهو ابن الناقة قبل أن يُفطم أي عمره من خمسة إلى ثمانية أشهر. وقد وضع شيخ الرولة قطيعان من النوق في رعاية الفدعان[3].

إذا تعبت الناقة ورغبت ألا تتحرك ربضت ورفضت النهوض، وليس هناك ما سيجعلها تتحرك[4]. وتقتصر العلاجات التي تُقدم لهذه الحيوانات عندما تُصاب بالمرض، على حك قوائمها وجلودها بالقيروالنفط، وبإحداث جروح في رقابها، وبطونها، وأخيرًا بكي جلودها في مواضع عديدة من أجسامها بحديدة خاصة تُوضع في النار، وتحمى إلى حد الاحمرار[5].

(1) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 49، 50.

(2) رفعت الجوهري: **مرجع سابق**، ص 32.

(3) ألويز موزيل: **مرجع سابق**،ص 64.

(4) ليدي بيل: **رسائل جيرتروود بيل 1899-1914**، ترجمة رزق الله بطرس (بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008)،ص 322.

(5) لوي جاك روسو: **مرجع سابق**، ص 63-66.

الخيول العربية الأصيلة

يُطلق العرب على الخيول ذات النسب «الخيول الأصيلة»[1]؛ لتمييزها عن الهجينة غير الأصيلة، وهناك أنواع مختلفة منها، وتوجد سلالات أساسية للخيول العربية هي: عُبية الشراك، ودهمة الشعوان، وذنة خرسان. والكحيلان تُمثل القوة في الخيول العربية الأصيلة. والصقلاوي تُمثل الأناقة والجمال والرشاقة. والمعناقي تُمثل السرعة والخفة[2]. ومن الكحيلة تفرعت سلالات أقل درجة هي: جارية، جازية، حرقة، مرادي، زهية، مصنة، وشويمان، الحمدان، الهدبان، ربداء، شهيب، معنزية «معنقية»، طويسة، أطرفية، الدهمان، المعنقية، الشويمان، الجلفان، أبو عرقوب[3]. وفي حال تزاوج إحدى سلالات العرقين السابقين تنتج سلالة جديدة يُطلق عليها إذا كان الذكر من نوع الصقلاوي: الموج، ريشان، خويزان، وضحان، خرسان، أما إذا كان الذكر من عبيان فيُطلقون عليها «ملوه»، وإذا كان من المعناقي يقولون لها: سعدان، رطبان، سمحان، خبيصان، مخلد[4].

يذكر لوي جاك روسو أن الخيل الأكثر شهرة في العالم هي: الكحيلة، جلفي، سيدي، مناكزي، صقلاوي، ديجان، حمداني، ريشان، سويتي، عبيان، ريبدان، فريديان، هبدان، طويسان، الوذنة، شويمان السياح، مشرف، أبو عرقوب[5]. وتذكر الليدي درور أن أهم أنواع أصائل الخيول هي: الحمداني، الصقلاوي، كروش، ثنان، خيلة، ضمان، حركة، عبيان، مناجي، دريبات، وأنها تنحدر جميعًا من خمس أفراس نجدية أصيلة، ويرجع عهدها إلى ما قبل الإسلام[6].

---

(1) أشهر سلالات الخيول الأصيلة عند بدو سيناء هي: المُخلدية، ويقال إنها من أصل فرس خالد بن الوليد. الكبيشة، ولهم في أصلها رواية خرافية قالوا: خرج من البحر جان فعلا فرس الرميلات فانتجت الكبيشة. العبيبة، قالوا في سبب تسميتها: أن فارسًا بدويًا فر من وجه أعدائه فطاردوه أميالا فنجا منهم بسرعة فرسه، وكان للفرس مهرة تتبعها فظن الفارس أنها تخلفت عن أمها وصارت في حرز الأعداء فلما صار في مأمن منهم التفت وراءه فإذا بالمهرة بجانب أمها تسترها عباءته فسماها «العبيبة». وهم حريصون على أصل خيولهم حرصهم على أصل إبلهم. رفعت الجوهري: **مرجع سابق**، ص 139.

(2) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 357، 359.

(3) الليفتنانت كولونيل لويس بيلي: **رحلة إلى الرياض**، عبد الرحمن عبد الله الشيخ (ترجمة)، (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، 1991)، ص 147.

(4) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 358.

(5) لوي جاك روسو: **رحلة إلى الجزيرة العربية سنة 1808**، بطرس حداد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010)، ص 136-140.

(6) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 347-349.

يُشير أوبنهايم إلى أن البدو إذا ما استولوا أثناء معركة على خيول لقبيلة أخرى، فإنهم يبعثون رسولا إلى القبيلة المهزومة ليستفسر عن نسب الخيول المسلوبة، ولا يمتنع أحدًا في مثل هذه المناسبات عن الإدلاء بالمعلومات المطلوبة، أما الرسول فيتمتع بحصانة، وعندما يتمّ الاستيلاء على حصان من قبيلة أخرى، فإن هذا الحصان، أو ما يولد له إذا كانت فرسًا يرجع دون مقابل إلى المالك الأول الذي تعرض للسلب. وليس من عادات البدو خصي أحصنتهم[1]. ولو غنمت أفراس العدو في الغزو، فمن حق كل غاز أن يحتفظ بما غنم، إلا الأصائل فإنها تُسلّم إلى شيخ العشيرة، ولو طلب أصحابها استعادتها، وجب عليه أن يُلبي الطلب، ويُعيدها لهم[2].

يُطلق البدو على الخيول منذ يوم مولدها وأثناء رضاعتها «طارح». ومنذ اليوم الذي يُفطم فيه في عمر ثلاثة أشهر حتى يُتمّ السنة الأولى من عمره «فلو». فإذا ما أنهى السنة الأولى وبدأ بالثانية أطلق عليه «حولي أو مُهر». وابتداء من نهاية السنة الثانية وحتى نهاية السنة الثالثة. يُسمى «جذع»، وابتداء من السنة الثالثة وحتى ابتداء السنة الخامسة يُدعى «الثني». وابتداء من السنة الخامسة حتى نهايتها «الربع أو القارح». وابتداء من السنة السادسة حتى نهايتها «الخمس». وابتداء من السنة السابعة حتى نهايتها «السبع». وابتداء من بدء السنة الثامنة حتى نهاية العمر «الغرة»[3].

يُخالف ديكسون ما ذكره الرحالة، وأشرنا له سابقًا، بقوله أن الخيول العربية، لدى البدو مُهملة لا عناية بها إطلاقًا، ولا يُجرى تنظيفها في أغلب الأحيان طيلة حياتها. ولا يتجاوز الاهتمام بها أكثر من وضع القيد الحديدي في قوائمها الأمامية، وإطلاقها في المراعي؛ كبقية ما يملكه صاحبها من الحيوانات الأخرى. وفي فصل البرد يُضاف إلى مهمة وضع القيد وضع غطاء على ظهرها لوقايتها من البرد الشديد[4]. وفي مثل هذه الظروف يُمكن القول إن الفرس أيضًا تُشبه البشر بمعاملتها والاعتناء بها لدى البدوي، بالرغم من ذلك يقول ليونهارت روولف إن «خيول الأعراب أصيلة ونظيفة ومناسبة للركوب»[5].

---

(1) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 141.

(2) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 347-349.

(3) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 368؛ لويس. اثبيتيا دي مورس: **البحث عن الحصان العربي، مأمورية إلى الشرق: تركيا.. سورية.. العراق.. فلسطين**، عبد الله بن إبراهيم العمير (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1428)، ص 196.

(4) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 353.

(5) ليونهارت راوولف: **رحلة المشرق إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين**، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1977)، ص 127، 128.

ويُطلق البدو خيولهم في المرعى لكي ترعى فيها، ثم تُمنع عنها حتى يُترك النبات ليعاود نموه، وتُكرر العملية[1]. وهم لا يرعون خيولهم في المراعي فقط، بل في الأراضي المزروعة بالحبوب كذلك، وهذا الأمر مصدر شكاوى من البدو المستقرين، فالبدوي عندما يطلق حصانه في حقل مليئ بسنابل الحنطة أو الشعير لا يُفكر في المُزارع الذي سينظر جزعًا إلى ما تبقى مما زرعه بعرقه وجُهده، تُرى هل سيحصد منه شيئًا؟ وازعه الأخلاقي يقول إنه يحصل على ما يُغذي حصانه حتى لو كان ملك الآخرين. ونظرته هي أن كل ما يقع عليه بصره هو ملكه، وكثيرًا ما يرعى خيوله في الحقول خلال ترحاله[2].

يندر أن يُطعم البدو خيولهم أكثر من مرة في اليوم، ولو أنهم يمكثون على ظهورها طيلة يوم كامل ويقطعون بها مسافات طويلة من الأرض الخلاء[3]. وعندما يمد صاحبه عباءته، ويكون فوقها الذرة أمامه يدفن الحصان فيه رأسه، ثم يستدير لبعض خاصرته ويُبعثر نصف طعامه على الأرض، وفي جهة أخرى ينبش بحافرة الكومة ليخلطها بالوحل تحت أقدامه[4]. وليس غريبًا أن يُقدموا لها بأيديهم بعض حبات التمر، أو قطعة خُبز مُفضلها عن نفسه، أو قدحًا من الماء من نفس الوعاء الذي يستخدمونه لشرابهم، وتقوم النساء بهذه الأعمال، وهذا ما يخلق علاقة وثيقة لا تنفصم بين أفراد العائلة، وتلك الدابة المُدللة، كما لا يقل اهتمام الأطفال وعنايتهم بها عن الكبار، إذ يُقدمون لها ما يُعطى لهم، وكأن الفرس من الذكاء كي تفهم أن هؤلاء الصغار هم أبناء وبنات سيد الخيمة الذي يقوم على حمايتها ورعايتها. ولذلك تُعاملهم معاملة حسنة جدًا، وبكل لطف، وبعناية فائقة، وتُدللهم كما يُدللها الكبار، حتى إن الصغار من الأطفال يُمكن أن يتجولوا بين أرجلها ولا خوف عليهم أن يمسهم أي ضرر وكأنهم أولاد لها[5].

كما أنها لا تُعطى أي نوع من العلف، إلا في الحالات التي يحتاجها صاحبها للقيام بإغارة ما، أو للإسهام مع قبيلته في معركة حربية قبلية، أو في الحالات التي يثبت فيها عدم

---

(1) نواب حميد يار جونك بهادر: «رحلة إلى بغداد»، كاظم سعد الدين (ترجمة)، في كتاب **بغداد بأقلام رحالة**، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2007)، ص 229.

(2) ميهاي فضل الله الحداد: **مرجع سابق**، ص 85.

(3) ليونهارت راوولف: **مرجع سابق**، ص 127، 128.

(4) الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات عام 1878**، أسعد الفارس؛ نضال خضر معيوف (ترجمة)، (دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، 1991)، ص 395-397؛

Lady Anne Blunt: Bedouin Tribes of the Euphrates, (New York: Harpers & Brothers Publisher, 1879), P. 355-357.

(5) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 354، 355.

جدوى المراعي لأسباب مختلفة، كالجفاف، أو في فصل الصيف عندما تجد الخيول ما يسد رمقها، ويُبقيها على قيد الحياة فقط، أما في فصل الربيع وخلال الأشهر الأولى من فصل الصيف، حين تتوافر المراعي، تتحسن صحة تلك الدواب، مُعتمدة على ما تقتات به من الطبيعة، وتسوء في بقية أشهر الصيف والخريف نظرًا لعدم إعطائها حاجتها من الطعام، ويُصبح حال بعضها مُزريًا، وقد ينفق عدد منها[1].

لا تُجرى سقاية الخيول في أوقات مُحددة، وإنما يُجرى الأمر كُلما أحست بالعطش اتجهت إلى جناح النساء من الخيمة، وتقوم بصهيل خفيف يُفهم منه أنها تطلب الماء، إذ إن سيدة الخيمة تفهم سبب مجيئها وصهيلها، فتربت على رأسها وعنقها ثم تُقدم لها الماء اللازم، ويذكر ديكسون أنه ليس من المُستغرب أن ينادي صاحب الخيمة زوجته، أو أحد أفراد عائلته قائلا: أعط الفرس ما تشربه، إنها تسأل عن الماء. ولا تعود الفرس إلى الخيمة مرة أخرى إلا بعد أن تشعر بالعطش. والخيول كالجمال والأغنام تقل حاجتها للماء خلال فصلي الشتاء والربيع، أي في الأيام الباردة، بينما تزداد خلال أشهر الصيف، والخريف، أي في الأيام الحارة، وقد تبقى أحيانًا لأكثر من أربعين يومًا دون سقاية خلال الأيام الباردة، إذ تتناول حاجتها من الأعشاب التي تلتهمها أثناء رعيها، وقد تشرب أحيانًا وعاءً صغيرًا، من الذي يُستخدم في حلب النوق، وقد تشرب بعضًا منه، وفي خلال فصلي الصيف والخريف فإنها ترد الماء مرة على الأقل كل يوم، أما في الأيام التي تشتد فيها الحرارة فتزداد حاجتها للماء بمقدار ارتفاع الحرارة، وقد ترد الماء ثلاث مرات في اليوم، صباحًا وظهرًا ومساءً[2].

يتعلق البدوي بحصانه، ولا ينفصل عنه إلا بصعوبة، فهو شريكه في النصر، ومُنقذه عند الحاجة، ولا يُمكن تخيل البدوي في الصحراء من دون حصان، ولكل بدوي فرس أو اثنتان، ومن النادر أن يكون عنده ثلاث، فهذا علامة على المرتبة الاجتماعية العالية جدًا، ولهذا يُمقت البدوي بشدة الذهاب إلى المدينة حتى لا يضطر إلى فراق صديقه المُدلل حصانه[3].

وحُب البدوي لفرسه حتى العشق مشهور، ويقوم النسابة، باستقصاء أصل الخيول العربية وبيان أسلافها، كأسلاف الأمراء، ولكن عنايته بالخيول وتغذيتها ليست بدرجة

(1) المرجع السابق، ص 354.

(2) ديكسون: مرجع سابق، ص 355.

(3) ميهاي فضل الله الحداد: مرجع سابق، ص 87.

كبيرة. وقد يعمد الشيخ إلى إطعام فرسه المُفضلة بيديه، فالفرس زينة الفارس[1]. حيث يُغرم البدو كثيرًا بخيولهم ويهتمون بها كأنها أولادهم، ويحرصون كثيرًا على عدم إدخال دم غريب فيها بتلقيحها بأي نسل آخر[2]. ويتعلق العرب بالخيل، ويكاد يكون حُبهم لها كحُبهم لنسائهم، ويعتني بها صاحبها كاعتنائه بأولاده[3].

يُحب البدوي الكلام كثيرًا عن حصانه، وكأنه يتحدث عن حبيبته، ولا يُمكنه تخيل المبلغ الذي يجب دفعه لبيع حصان إذا كان جيدًا بالفعل، وهذا التعصب هو السبب وراء صعوبة شراء الحصان منه، ولا ينظر البدوي إلى بنية الحصان، كيف هي قوائمه؟ بل يهتم بنسبه وسرعته وقدرته على التحمل، ولا يهتم كثيرًا بلونه، ولا يهتم بشكله أو حجمه، ويدفع أي مبلغ مقابل حصان من سلالة جيدة، والعرب مُولعون بالحصان الجيد. وربما يكونون أكثر استعدادًا للتخلي عن أولادهم، ولا يتخلون عن حصان جيد، والذين يملكون منهم خيولا من سلالات كريمة يستطيعون العيش في رغد باستخدام خيولهم الأصيلة كفحول[4].

ولا تُقدَّر الخيول العربية بثمن، إذ جرت العادة ألا تُباع الفرس أبدًا، بل تُجرى عملية مشاركة فيها، أما الذكور منها فلا يُجرى الاحتفاظ بها. وتُباع الأحصنة أحيانًا إلى مُصدري الخيول الذين يتعاملون مع بعض البلدان مثل مصر والهند، إذ تجد طريقها لاستخدامها في فلاحة الأرض. وفي كثير من الحالات تكون الفرس ملكًا مشتركًا لعدد من أعضاء القبيلة، فالفرس الأصيلة لا تعود ملكيتها لمالك واحد، بل إلى عدة مُلاك، قد يبلغون العشرات أو أكثر، وقد يملك واحد فقط حقًا في عدة أفراس في آن واحد، ولكن لا يملك حقًا كاملا بفرس واحدة، ولهذا يندر جدًا وجود شخص واحد يملك حق التصرف بفرس واحدة بيعًا أو إهداءً، وتوزع الملكية بعدد قوائم الفرس، فيُقال إن فلانًا يملك فيها قائمة أو قائمتين، أو ثلاث قوائم أو نصف أو ربع أو عُشر قائمة[5].

وقد يملك أحدهم عُشر قائمة، فإذا ما وافته المنية، ويبلغ ورثته العشرة، أو يزيدون فهؤلاء جميعًا أصبحوا مُلاكًا يتمتعون بحقهم بحصتهم، ولهذا فالمالك لا يحق له البيع أيضًا

(1) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 347-349.

(2) نواب حميد يار جونك بهادر: **مرجع سابق**، ص 227.

(3) لوي جاك روسو: **مرجع سابق**، ص 136-140.

(4) الليفتنانت كولونيل لويس بيلي: **مرجع سابق**، ص 148.

(5) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 356.

إلا بعد استشارة الآخرين، ذلك أنهم يملكون الأفضلية بالشراء قبل غيرهم، وذلك حق لهم. وقد يصدف أحيانًا أن هؤلاء يُقيمون في مناطق مختلفة متباعدة قد تصل إلى آلاف الأميال، ولهذا من الصعب جدًا شراء فرسًا عربية لاسيما إذا كانت من نوعٍ ممتاز، بل يكاد يكون مستحيلا[1]، إذ يحُتفظ بها عادة كإحدى القطع الثمينة في البيت. ويُنظر للفرس باهتمام أكثر قليلا باعتبارها تحفة لتزين الخيمة وإعطاء البهجة والسرور، وهي بالنسبة لمعظم البدو كالزوجة والأطفال، يجب ألا يخلو منها بيت، كما أن تربية الأفراس لا تستهدف فقط إنجاب الأمهار الأصيلة، بل إن قيمتها تزداد بمقدار ما تُنتجه من السُلالات الجيدة، وهذا يعني أنها من الأنواع ذات الحسب والنسب المشهود لها به، لكن في بعض الأحيان قد تُنتج ما يُسميه البدو بعلامة الشؤم، وفي هذه الحال فالمهرة ستبقى علامة نحس، وغير مرغوب بها على الدوام[2].

وكثيرًا ما يبيع البدو الخيول فيما بينهم بطريقة المناصفة حيث تنتقل الفرس إلى ملكية المُشتري في حين يعود المُهر الأول الذي تلده إلى البائع[3]، وتوجد طرق عديدة أخرى للبيع، ولا يُسجل البيع أبدًا كتابة بل يتمّ الاتفاق شفاهيًا فحسب، ولكن دائمًا بحضور شهود لتجنب الخلافات، ولا شك أن طريقة المُناصفة تجعل عملية البيع صعبة، ذلك أن من النادر الاتفاق بين الأطراف المعنية. ويُعتبر من المستحيل في الصحراء اخفاء مناقص الحيوانات أو ادعاء نسب غير صحيح لها[4].

ويُشير دي جوري إلى اشتراك البدو في ملكية الخيول، ويمتلك الواحد منهم أحيانًا حصصًا في فرس ما، وإذا ما حان موعد بيعها قام جدل كبير حول تقاسمها[5]. والفرس الأصيلة لا تُباع إلا في النادر، وقد تُباع قائمة واحدة منها أو قائمتان أو ثلاث، وقد يمتلك الفرس الواحدة ستة أشخاص، لذلك فمن العسير شراء فرسًا ما، أما الفرس الأصيلة فيتعذر شراؤها إطلاقًا[6]. وتُشير آن بلنت إلى أن عشائر عنزة عند رحيلهم إلى الجنوب، إذا

---

(1) ميهاي فضل الله الحداد: **مرجع سابق**، ص 82.

(2) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 357.

(3) يبيع بدو سيناء الذكور، ولا يبيعون الإناث، وإذا اضطروا يبيعونها بالنصف أي يتقاسمون النتاج. فيُسلّم الشاري المهرة للبائع بعد الفطام. ومدة الرضاعة عندهم مائة ليلة. فإذا ماتت المُهرة في العشرة أيام الأولى كانت بحظ الشاري، وإذا ماتت بعدها كانت بحظ البائع. رفعت الجوهري: **مرجع سابق**، ص 139.

(4) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 140.

(5) سمير عطا الله: **مرجع سابق**، ص 260.

(6) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 347–349.

ما عجزت جيادهم عن الرحيل، فيُعطون جُزءًا من ملكيتها لعرب السبخة أو للوالدة أو إلى أي من القبائل الصغيرة، ومالكها الجديد له الحق بتملك مولودها الأول الذي تضعه في دياره[1]. وقد اضطر بطين إلى دفع أربعة عشر جملا ثمنًا لحصته المُقدره بالثلثين في فرس، لأن ماسك الرسن أو الشريك، له الحق إذا ما رغب أن يبيع حصته المتبقية فيها بنصف هذا المبلغ الذي كان قد دفع[2].

وتُشير الفرنسية ديولافوا إلى أن «شيخ القبيلة العربي إذا ما حدث وسُرقت أمواله ومواشيه في غارة واحتاج إلى المال فإنه يبيع كل ما يملك من عقار وأثاث دون أن يُفكر في بيع فرس من أفراسه البتة»[3]. برغم ذلك يذكر سبستياني أن الخيول تُباع «في بغداد بأسعار بخسة نظر لكثرتها»[4]. وذكرت ديولافوا أن أحد حكام العمارة، قام بخدمة كبيرة لشيخ من شيوخ القبائل الذين يمتلكون الفرس الأصيلة فطلب الحاكم في مقابلها أن يهب له إحدى أفراسه التي لم تكن تعدل تلك الخدمة، وكانت دهشته عظيمة عندما قال له شيخ القبيلة: إنني أستطيع أن أمنحك ابنتي مع مائة ألف مجيديًا جهازًا لها، ولا أستطيع أن أهب لك فرسًا من أفراسي العزيزة[5].

يختلف ثمن الخيول اختلافًا كبيرًا خاصة بالنسبة للخيول الأصيلة، إذ إن الثمن قد ينخفض جدًا بسبب مظاهر بسيطة نظرًا لمعتقدات البدو، وقد يحدث ذلك مثلا بسبب اللون أو بعض المناقص البسيطة رغم أنها لا تؤثر على صلاحية الخيول للاستعمال، في حين أن صُدفًا أخرى كاللون الفاتح للشفة العليا مع لون داكن لبقية الرأس قد تتسبب في ارتفاع كبير للثمن، ويُحدد ثمن «الكديش» حسب صلاحيته للاستعمال، وحسب عمره وشكله، وتفضل الإناث من فئة «الكديش» بسبب هدوئها الكبير في السير، وقلة جموحها، وهي صفات تؤخذ بعين الاعتبار عند تقويم الخيل[6]. وعندما يتطرق عرب عنزة إلى الخيل فإنهم يشيدون بميزتين

---

(1) الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات**، ص 98؛ *Lady Anne Blunt: Op. Cit. P.* 87.

(2) **المرجع السابق**، ص 359؛ *Ibid. P.* 321, 322.

(3) مدام ديولافوا: **رحلة مدام ديولافوا من المحمرة إلى البصرة وبغداد 1881م/ 1299هـ**، علي البصري (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007)، ص 157.

(4) سبستياني: **رحلة سبستياني، الأب جوزيبه دي سانتا ماريا الكرملي إلى العراق سنة 1666**، بطرس حداد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 29.

(5) مدام ديولافوا: **مرجع سابق**، ص 156، 157.

(6) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 139.

مهمتين عند قولهم: حافظوا وأحبوا الحصان الذي له صدر أسد وأرداف ذئب، أما الفرس، أي الأنثى، فإنهم يُفضلون أن تكون ذات أرداف عريضة مع ارتفاع قليل[1].

ويجلب البدو ذكور خيلهم لبيعها في أسواق المدن الكبيرة المجاورة للصحراء، خاصة دمشق وحلب والموصل وبغداد[2]، إضافة إلى بعض التجار الذين يجوبون الصحراء، ويشترون الخيول في المكان نفسه، ثم يبيعونها في المدن أو إلى خارج البلاد، ويملك الضباط الإنجليز والأمراء الهنود الأغنياء عددًا كبيرًا من الخيول الأصيلة الثمينة، ويتمّ النقل عن طريق البحر من البصرة إلى بومباي[3]. ولهذا تنتشر سرقة الخيل لدى البدو وتسري في دم البدوي، حسبما يذكر ميهاي الحداد، فالشكوى الأساسية هي من سرقة خيولهم، ولذلك يقيدونها. حيث يجب حماية الملكية وحراستها بكل يقظة، لأن الحصان إن سُرق لا يستطيع أحد استعادته[4].

كلما تقدمت الخيول في السن، واقتربت من الشيخوخة قلّ استخدامها، حتى تُصبح في النهاية غير قادرة على الحراك، تُعامل معاملة حسنة إلى أن توافيها منيتها، ولا يُجرى قتل الأفراس للقضاء عليها عند الشيخوخة، وما تعانيه من آلام، فعندما تقترب هذه الخيول من نهاية عمرها، تتمدد على الأرض وتموت بهدوء وسلام، أما إذا صادف وكانت من بين أملاك أحد الأمراء أو الشيوخ فستقضي شيخوخة سعيدة، إذ يحتفظ كل منهم بقطعة من الأرض لرعي حيواناته سواء الخيول أو الجمال، أو الأغنام، وتختار من بين أحسن المناطق على الإطلاق، ولا يجرؤ أحد على الاقتراب منها، وهناك تُترك الأفراس حرة طليقة تتمتع على هواها لا يُزعجها شيء حتى يأتي أجلها[5].

ومن العشائر العربية المشهورة بتربية الخيول: شمر، وعنزة، ومن بطون العشائر: السلوم، خبيث، عفاريت، جودي، جدران، فداجة، جرداوة، زواج، تومان، ماجود[6]. كما أن عشيرة المُطير بنجد تُربي الخيول الأصائل، المعروفة باسم «كروش»[7]. ويحتفظ الدويش

---

(1) لوي جاك روسو: **مرجع سابق**، ص 136-140.

(2) سبستياني: **مرجع سابق**، ص 29.

(3) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 137، 138.

(4) ميهاي فضل الله الحداد: **مرجع سابق**، ص 77.

(5) لويس بيلي: **مرجع سابق**، ص 149.

(6) نواب حميد يار جونك بهادر: **مرجع سابق**، ص 230.

(7) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 347-348.

شيوخ العشيرة ببعض أنواع من الخيول من الكحيلان ويعتبرونها مجالا لفخارهم[1]. تذكر الليدي درور أن إبراهيم بن مزعل باشا السعدون شيخ المنتفق يمتلك 30 فرسًا، وكلها من الأصائل المعروفة باسم «ضمان»[2]. وسألت الليدي آن بلنت عن أكثر القبائل شهرة في استيلاد الخيول، فقيل لها إنها المطير أو الدوشان التي تستطيع تجهيز أربعمائة خيّال. وإن أفضل سلالاتها هي كحيلة العجوز، وكحيلان الكروش، وعبيان شراك، ومنعقي هدرج، وربدان الشيبان، وليس لديهم صقلاوي، أما السلالات الموجودة عند الكثيرين فهي ودنان وريشان وربدان وشويمان وودنان خرسان[3]. وتشتهر عشيرة بني لام بتربية الجياد العربية الأصيلة وتصديرها إلى الخارج[4].

وتشتهر عشيرة عنزة بتربية الخيول العربية الأصيلة، فقد ذكروا للوي جاك روسو أنه «جاء واحد منكم لزيارتنا يطلب شراء خيول أصيلة، فبعنا له خيولا رائعة»[5]. وينقل الرحالة فريزر عن قبيلة زبيد قولهم: «إذا أردنا أن نحصل على الأصائل من الخيول نذهب إلى عنزة فننهب منها ما نُريد»[6]. وقد استقبل جيمس كلوديوس ريج في الموصل استقبالا رسميًا وحضر عثمان بك، أصغر إخوان الباشا ليأخذه إلى المدينة، وكان مُمتطيًا جوادًا عربيًا كريمًا من جياد عرب عنزة[7]. قبائل شمر وعنزة مشهورة بتربية سلالات الخيل المميزة، ويملكون أفضل الخيول، وإن كانت قبيلة عنزة تحتفظ بالسلالات التي هي أكثر تميزًا[8].

قبيلة القمصة من السبعة مشهورة بتربية الخيول، بل إنها أشهر القبائل بتربية الخيل، ثم تحولت ملكيتها إلى الرولة[9]. وكثير من عرب القمصة يتحدثون بشكل خاص عن الخيول لأنهم من أشهر مربي الخيول في البادية[10]. وكانت قبيلتا الرولة من عنزة وولد علي شهيرتين

---

(1) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 359.

(2) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 348-349.

(3) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 342.

(4) مدام ديولافوا: **مرجع سابق**، ص 42.

(5) لوي جاك روسو: **مرجع سابق**، ص 77.

(6) جيمس بيلي فريزر: **رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1834**، جعفر الخياط (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 194.

(7) كلوديوس جيمس ريج: **رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام 1820 إلى بغداد وكردستان وإيران**، اللواء بهاء الدين نوري (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2008)، ص 87.

(8) لويس. اثبيتيا دي مورس: **مرجع سابق**، ص 246.

(9) الليدي آن بلنت: قبائل **بدو الفرات**، ص 64؛ *Lady Anne Blunt: Op. Cit., P. 57*.

(10) **المرجع السابق**، ص 353؛ *Ibid., P. 316*.

بخيولها الجيدة، غير إن الحروب واستنزاف الخيول تسببت في تضاءل عددها. ثم جاء تصدير الخيول بمستويات كبيرة، إلى الهند عن طريق البصرة ليقضي على البقية الباقية[1].

وقبيلة شمر شهيرة بتربية الخيول العربية الأصيلة، وشهرة خيولها طبقت الآفاق، ويمتلكون خيول ممتازة. والناس يمتدحون خيولها النبيلة الجميلة أينما حلت[2]. وتُنظم عشيرة شمر سباق للخيول، يصل لكيلومترين بصورة دورية[3]. بالرغم من ذلك تذكر آن بلنت أن «عموم الخيول التي مررنا بها لم تكن جذابة جدًا لأنها كانت هزيلة، وتكاد أن تموت من الجوع، ولا تزال معاطف الشتاء فوق ظهورها، وأظن أن الشمريين لا يملكون إلا القليل من الخيول الجيدة»[4].

الأعراب في شمال العراق لا يهتمون كثيرًا بتربية الخيل، فلم يجد تايلور في كل قبيلة إلا عددًا قليلا من الأمهار والأفراس الصغيرة، ويبيعون الأحصنة بعد السنة الثالثة من عمرها، إذ يعتبرونها في هذه السن قادرة على الخدمة. أما الأفراس فلا تُباع البتة، وليس هناك من يستطيع إقناع العربي ببيعها؛ فالخيول العربية من جنس أصيل، وهي مشهورة في العالم كله[5]. لكنها لا تتناسل جيدًا في كردستان، وإن كان الأبوان نجديين أصليين فأمهارهما لن تُصبح سوى خيول إعتيادية، ولعشيرة الجاف نسل من الخيول الصغيرة القوية، اشتهرت كثيرًا بقوتها ونشاطها[6].

والكرد يعتنون بجيادهم، وكثير منهم يسوسونها بأيديهم، ويعلفوها كثيرًا، ويدفئوها الدفء الجيد، الأمر الذي يجعلها أقل تحملا للمشاق. وتفشّت بينهم الرغبة في اقتناء الجياد العربية، ويدفعون الكثير من المال دون مبالاة ثمنًا للخيول غير المعروفة الأصل، وهذه الرغبات قضت رويدًا رويدًا على تشجيع توليد وتربية الخيول الكردية الأصيلة التي يُمكن اعتبارها من أحسن الجياد وأقواها احتمالا للمشاق، وأقدرها على

(1) ميهاي فضل الله الحداد: **مرجع سابق**، ص 88.

(2) **المرجع السابق**، ص 56، 65، 66.

(3) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 59، 60.

(4) الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات**، ص 256؛ *Lady Anne Blunt: Op. Cit., P.* 227.

(5) تايلر: «رحلة تايلر إلى العراق سنة 1789–1790»، بطرس حداد (ترجمة)، **مجلة المورد**، المجلد 11، العدد الأول (ربيع1982)، ص 34؛ تايلر: «رحلة تايلر إلى العراق»، بطرس حداد (ترجمة)، في كتاب **رحالة أوروبيون في العراق**، (لندن: دار الوراق للنشر المحدود، 2007)، ص 95.

(6) كلوديوس جيمس ريج: **مرجع سابق**، ص 123.

أداء الخدمات للفروسية الباهرة، فقد اندثرت هذه الجياد تقريبًا، واستُعيض عنها بالجياد الهجينة من بغداد، ولا تتناسل الخيول العربية في كردستان إلا نادرًا، فمهورهم كلها من النوع الاعتيادي، ولا تملك من مزايا الخيول العربية إلا القليل[1].

وتقلص عدد الخيول العربية نقية السلالة نتيجة لتصدير أعداد كبيرة منها، خاصة بعد استقرار الكثير من القبائل البدوية المرتحلة، فالبدوي المستقر يعمل بالزراعة ويفضل الاحتفاظ بالإبل. فمثلا عشيرة عنزة كانت تمتلك في السابق الكثير من الخيول نقية السلالة، وبما أن هذه القبيلة كانت الأقرب، والوصول إليها كان الأسهل، بين القبائل الأخرى، فإن ميهاي الحداد عندما زارهم لم يجد عندهم خيولا ملائمة، ولم يعثر على بعض الخيول نقية السلالة إلا عند شيوخ الأفخاذ ورؤساء القوافل[2].

وازدادت الأمور سوءًا بسبب دخول السيارات، وبالتالي تسببت في كساد تجارة الخيول، وظهر الأمر بصورة جليّة مع ازدياد عدد السيارات، وهكذا قل الطلب كثيرًا على الخيول، مما اضطر بعض البدو في بعض المناطق إلى قتل صغار الذكور فور ولادتها، إذ لم يعد البدو قادرين على تربية خيولهم لمدة تزيد عن أربع سنوات[3].

وهناك مصدر خطر آخر يُهدد الخيول بالانقراض، بعد اختراع الأسلحة النارية وشيوع استعمالها في الحروب القبلية، فأصبح القتال يبدأ من مسافات بعيدة، ولهذا كثيرًا ما توجه النيران إلى الخيول أكثر مما توجه إلى المقاتلين، وبذلك يزداد عدد القتلى بين الخيول أكثر من المقاتلين[4].

---

(1) **المرجع السابق**، ص 299، 300.

(2) ميهاي فضل الله الحداد: **مرجع سابق**، ص 87.

(3) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 367.

(4) **المرجع السابق**، ص 368.

السباقات والمزاينات البدوية

تؤدي ظروف البيئه الصحراوية لمجتمع شبه الجزيرة العربية والخليج والعراق، إلى أن يهتم البدو بالإبل والخيول، وتزرع في نفوسهم حب الفروسية. فالجمال أهم وسائل التنقل والتجارة. والخيل لها شأن كبير لارتباطها بحياتهم وحروبهم وعاداتهم وتقاليدهم. بالإضافة إلى الإهتمام بتربيتها وتسييسها والعناية بها؛ لمتطلبات السباقات التي يحرص البدو على المشاركة فيها في الأعراس والأعياد وحفلات الختان، حيث تُصبح الناقة الفائزة موضع فخر لصاحبها، ويزيد ذلك من قيمتها، ومن يملكها يحوز الشهرة بين القبائل. ويذكر الرحالة الهولندي مارسيل كوربر شوك *Marcel Korber Chuck* أن «ابن حجنة»، شيخ عشيرة النفعة، قد حاز الشهرة الواسعة بين البدو لامتلاكه فرسين رائعتين من خيل السباق، هما «كروش وربدا»[1]. ويعرف العرب منذ ما قبل الإسلام سباقات الخيل والهجن والرمي والصيد، ويدل على ذلك الكتاب الذي وضعه زين الدين عبد القادر الفاكهي (ت 948هـ/ 1541م)، بعنوان «مباهج السرور والإرشاد في الرمي والسباق والصيد والجهاد» والمحفوظ نسخة منه في المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم 2834[2]. ومما لا شك فيه أن الخيل كانت لها مكانة شريفة عند العرب في الجاهلية، تشهد بذلك كُتب التاريخ وأيام العرب المشهورة، وعندما أشرقت شمس الإسلام على الجزيرة العربية، رفع الرسول، صلى الله عليه وسلم، مقامها وأعلى من شأنها فشرع تعلم ركوبها، ودعا إلى إقامة السباق بينها، إلى غير ذلك مما يدل على إكرام الشريعة الإسلامية للخيل، واعتزازها بالحصان.

يجري البدو سباقات الهجن والخيل في أيام الأعياد والأفراح، وعودة الحجيج، واستقبال الضيوف، وأهم سباق يتمّ في أيام عيد الأضحى وختان الأولاد. ولأجل السباق يجتمع البدو رجالًا ونساءً في ميدان متسع يصلح للسباق فتقف النساء في جانب منه وفي يد إحداهن منديل أحمر مرفوع على عصا في شكل راية. ويقف الفرسان في الجانب الآخر

---

(1) مارسيل كوربر شوك: **البدوي الأخير القبائل البدوية في الصحراء العربية**، عبد الإله النعيمي (ترجمة)، (بيروت: دار الساقي، 2003)، ص 107.

(2) عادل محمد علي الشيخ حسين: «الخيل في المكتبة العربية»، **مجلة عالم الكتب**، العدد الأول والثاني، المجلد 23، (رجب- شعبان/ رمضان - شوال 1422هـ/ أكتوبر - نوفمبر/ ديسمبر 2001م- يناير 2002م).

من الميدان والرجال المتفرجون في صف النساء وعلى بعد نحو كيلو مترين منهم. وحالما يرى الفرسان أن الراية قد ارتفعت في صف النساء يُطلقن الأعنة لخيولهم فمن فاز بها أولًا كان السابق؛ فإذا طارده أحد أقرانه وأخذها منه كان هو الفائز وإلا بقى الفوز للأول. وفي صباح يوم الختان يتسابق الرجال سباقًا عامًا على الخيل أو الهجين، وسباق الختان يجري على نفس النهج السابق، إلا إنهم يرفعون قفطانًا من الحرير كراية بدلًا من المنديل الأحمر، وترفع الراية المذكورة امرأة تركب جملًا[1].

يقول باتريك ديكسون *Patrick Dickson*، الرحالة والمؤرخ والسياسي البريطاني في العراق والكويت 1914-1959: «العيد في الصحراء، كما هو في المدينة، فرصة للمتعة والفرح والاحتفال وتبادل الزيارات، ولكنهم في الصحراء ولكونهم فقراء وأكثر بساطة فإن الاحتفال لديهم يأخذ شكلًا أكثر بساطة في مظاهره وتكاليفه، ومع ذلك فهم يُجرون سباقات الخيل ومباريات الرماية إن كان لديهم فائض ذخيرة»[2].

يقول الرحالة الإيطالي فنسنزو موريزي *Vincenzo Maurizi*، أو الشيخ منصور، الذي التحق عام 1809 بخدمة السيد سعيد، سلطان عمان (1806-1856)، ليتولى مهمات التطبيب في القصر: «إن العرب عادة ما يروّحون عن أنفسهم إذا اجتمعوا بعد العشاء بممارسة عدد من الألعاب. ومن ألعابهم وضع اثني عشر كوبًا فارغًا في وضع مقلوب، ويضعون تحت واحد منها خاتمًا. ويكمن سر اللعبة في حرز الكوب الذي يُغطي الخاتم. ومن ألعابهم أيضًا أن يُعصب أحدهم عينية بعصابة ثقيلة ويأخذ الآخرون في صفعه تباعًا، ويقع على معصوب العينين أن يحرز من الذي صفعه»[3].

يُغني البدو في موسم سباق الهجن «حداء العيس (الإبل)»، حيث يُغني الحادي للإبل التي تُحب السير على صوت الحداء، فتسير في هدوء، طروبة للغناء[4]. ولا يقيم البدو وزن كبير للفرس، إن كان عدوها قصير المدى. إنهم يثمنون الفرس العادية إن دأبت على عدوها لمسافات بعيدة، لذلك أصبحت سباقاتهم لمسافة 10 أو 15 ميلًا، والسبب في هذا وفق تبرير الرحالة البريطانية أثيل ستيفانا *E. s. Stevens* الشهيرة بالليدي درور، والتي

(1) رفعت الجوهري: **مرجع سابق**، ص 140.

(2) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 192.

(3) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: **روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية**، الجزء الأول 1500-1840، (بيروت: دار الساقي، 2013)، ص 267.

(4) حاتم عبد الهادي السيد: **مرجع سابق**، ص 31.

زارت العراق وكتبت عن طوائفه الدينية قبائله وعشائره أن: «الفرس بالدرجة الأولى للغزو، وعلى سرعة جريها وثباتها يتوقف فوز فارسها فيه، وعودته سالمًا غانمًا منعمًا. ولو غنمت أفراس العدو في الغزو، فمن حق كل غاز أن يحتفظ بها غنم، إلا الأصائل فإنها تسلّم إلى شيخ العشيرة نفسه، ولو طلب أصحابها الأصلاء استعادتها، وجب على الشيخ أن يُلبي الطلب، ويُعيدها»[1]. أما الرحالة الإيطالي كارلو جورماني *Carlo Gormani*، الذي انتدبه نابليون الثالث وملك سردينيا لشراء بعض الجياد العربية، وشرع في رحلته إلى نجد عام 1864، فإنه عاد ومعه من الخيول العربية الأصيلة والمعروفة بقوتها وسرعتها وقوة احتمالها، بحيث أصبحت ذات شهرة أسطورية في أوروبا بصفتها مادة خيول السباق[2].

يتمتع الحصان العربي الأصيل بمواصفات عديدة ينفرد بها، كنقاء الدم، وجمال المظهر، والسرعة، وقوة التحمل، ونحوها. ويذكر الرحالة الألماني لوثر شتاين *lohar Stein*، الذي قام برحلته إلى ديار قبيلة شمر سنة 1962، أن كل بدوي يستطيع بسهولة بالغة أن يُميز بين جمل الأثقال وذاك المخصص للركوب، إذ يكون الأول ثقيلا وضخمًا وبطيئًا، والآخر يكون في الغالب خفيف الحركة وسريعًا، إن كلا النوعين من الجمال متباينين، كما هو شأن حصان العربة وفرس السباق، ففي الوقت الذي بإمكان المرء أن يحمل الأول حمولة تزن خمسة قناطير لنقلها في مشية وئيدة، نجد أن جمل السباق، الملقب «بالهجن» يقطع مسافة 120 كيلومترًا عبر الصحراء في 10 إلى 12 ساعة، كحيوانات للركوب[3]. أما الرحالة البريطاني ويلفريد ثيسجر *Wilfred Thesiger*، الذي قام بعدد من الرحلات والأسفار في الربع الخالي وما حوله (1945–1950)، وضمنها كتابه «الرمال العربية» فإنه لاحظ أن البدو في الإمارات يتخذون الاحتياطات اللازمة للحيلولة دون التواصل بين الجمال المشاركة في السباق والنياق[4]. وذلك حفاظًا على حيويتها وقوتها ونشاطها.

يقول الرحالة الفرنسي دي لاروك *De Laroche*، الذي قام برحلته إلى العربية السعيدة (اليمن) بين عامي 1711–1713، إن «أكثر الحيوانات شيوعًا وأعظمها في الجزيرة العربية هو الجمل، خاصة الجمال التي تُربى للسباق، والتي تُعرف بالهجن، والتي نادرًا ما تنقل الأثقال، وتُدرب وهي صغيرة بالضرب والتمرين المستمر، كي تركض بسرعة رائعة حتى

(1) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 348.

(2) بيتر برنيث: **مرجع سابق**، ص 181.

(3) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 50، 51.

(4) جمال محمود حجر: **مرجع سابق**، ص 214.

إن قلة من خيولنا تكاد تجاريها. ويستطيع أحد هذه الجمال بسهولة قطع مسافة عشرين فرسخًا في ساعات الصباح، الأمر غير القابل للتصديق بالنظر لحجم هذا الحيوان وبطئه الطبيعي»[1]. وقضى جيمس ريموند ولستيد *James Raymond Wellsted*، الذي قام بعدة أسفار في شبه الجزيرة العربية (1830-1831)، «وقتًا ممتعًا في الصيد، وقذف الجريد وممارسات أخرى»، وقذف الجريد نوع من السباق بين الفرسان الذين يمتطون ظهور الخيل، وهي قريبة من لعبة الهوكي[2]. وعندما قام برحلته في عمان عام 1835 دعاه شيخ بدو الجنبة للمشاركة في سباق الإبل، فلبي الدعوة. ويصف السباق بقوله: «وما إن حل المساء حتى توافدت إلى المكان مجموعة من بدو الجنبة، وأقيم سباق للهجن اشترك فيه جملان من إبل الجنبة، وجملان آخران من إبل البني بو علي. وقد استهواني هذا الأمر جدًا لأني لم أكن قد شاهدت سلفًا سباقًا للهجن. سيطر المتسابقون على إبلهم بخيوط ربطت إلى أنوفها (الخزام أو الرسون) وكان الجميع مستمتعين بهذا السباق. غير أن الأبل لم تقاسم أصحابها ذلك الاستمتاع، فقد كانت تبذل كثيرًا من الجهد وهي تجري، ولم تكن سرعة الإبل كبيرة جدًا، ولم تبلغ أقصى سرعتها إلا بعد أن حثت على ذلك حثًا، كما وجدت أن حركة الإبل في السباق خرقاء إلى حد بعيد»[3].

تشتهر عشائر شمر الجربا بتربية الخيول العربية الأصيلة، وشهرة خيولها طبقت الآفاق، ويمتلكون خيول ممتازة. والناس يمتدحون خيولها النبيلة الجميلة أينما حلت. ويذكر لوثر شتاين أن العشيرة تُنظم «سباق للخيول، يصل لكيلومترين بصورة دورية». ويصفه فيقول: «بعد تناول القهوة، بدأت الاستعدادت لسباق الخيول، خلف الخيمة وقفت خمسة أفراس إناث مسرجة، أما الحصان الذكر «خرافان»، فقد ربطوه على مسافة بعيدة من الأفراس، لأنه كان في فترة طلب السفاد، وكان يُعاني من الهياج وعدم الاستقرار، ورغم ذلك فقد جعلوه يُشارك في السباق، واختاروا له خيالًا هو أنا. وبعد أن سلمني الحصان، عقب الشيخ مشعان بارتياح قائلا: «إن حصانك هو أسرع حصان في الجزيرة». لم يكن ذلك هينًا بالنسبة إليّ على الإطلاق، فعندما جلست على السرج، وقدت «خرافان» إلى حيث تجمع الانطلاق، كان ينفخ ويصهل وجسمه يرتجف، وما إن رأى الأفراس حتى أخذ

(1) دي لاروك: **رحلة إلى العربية السعيدة عبر المحيط الشرقي ومضايق البحر الأحمر**، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1999)، ص 91، 92.

(2) جيمس ريموند ولستيد: **رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا**، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: مطبعة ثويني، 1984)، ص 37.

(3) جيمس ريموند ولستد: **تاريخ عمان**، ص 63.

يدور حولهن متبخترًا، ناقلا إليهن هيجانه، ورغم أن بإمكان أي فارس أن يلجم حصانه إذا أمسك بزمامه، إلا أنني في حالة «خرافان» كان من المستحيل عليّ لجمه، ربما خفف عني قليلًا في تلك اللحظة رؤية «ريمة» (زوجته) وهي تقف مع النسوة أمام خيمهن تلوح لي. يقع مكان الانطلاق على بعد مائتي متر من الخيمة، وكانت نقطة الوصول في السباق تل صغير يرتفع على بعد كيلو مترين من نقطة الانطلاق، هبطنا عن خيولنا لنتفحص الأحزمة والسروج، استعدادًا للحظة الانطلاق، التي ما إن حانت حتى أخذ الدم يتدفق إلى وجنتي بسرعة، وأخذ قلبي يدق بقوة، فقد كان هناك ما يزيد على مائة عين شاخصة باتجاهنا، وكان حصاني يتحرك تحتي كالشيطان، ولم تكن لي حيلة في التراجع، كان اثنان من الخيّالة معتلين صهوة فرسيهما، عندما انطلقت الفرس البيضاء التي تعود إلى «مزهر» من دون حث فارسها، فما كان من «خرافان» إلا أن انطلق وراءها كالسهم، وبدلا من رياضة سباق الخيول، تحول الأمر إلى مطاردة إناث. أما عبيد وفنر وحميد، فقد كان جري الأفراس بهم قفزًا أكثر منه انطلاقًا إلى الأمام، وبدوا كأنهم كانوا يقومون بعملية التفاف وانتشار على مسافة واحدة منا»[1].

(1) لوثر شتاين: مرجع سابق، ص 59، 60.

الفروسية وألعاب القتال

ترتبط الفروسية وألعاب القتال عند البدو بالصيد والغزو والإغارة والسلب والنهب. والفروسية شرط مُهم في البدوي، بل «إن النساء لا يقبلن مضاجعة من لا يكون متمتعًا بهذه الصفة من أزواجهن»[1]، وإذا ما أبعد الحب رجلاً عن مظاهر الفروسية وفنون الحرب، فالفتاة لا تستطيع الزواج به، وإذا كان ابنًا لشيخ القبيلة فسيُحرم من مشيخة القبيلة في المستقبل[2]. ويجب أن تتوافر في شيخ العشيرة صفات الفروسية وإلا انفض عنه أتباعه واضعين أنفسهم تحت إمرة غيره[3]. والبدوي فارس بطبيعته، وترتكز ألعاب الفرسان، في البيداء، على النزال الفردي[4].

يحمل البدو صفات وأخلاق الإنسانية والشهامة والفروسية[5]، من ذلك مثلاً أن البدوي، الذي يُشارك في الغارات على القوافل، يكتفي بالغنيمة التي استولى عليها عندما يُلقي العدو سلاحه[6]، ومن الفروسية أن يدع الشيخ فرس عدوه الذي قتله تذهب إلى حال سبيلها. وتُشير آن بلنت إلى أن براعة البدوي وقدرته في الفروسية، تبدو من مقعده على صهوة الحصان الذي يُثير الاعجاب، إذ يجلس جيدًا على ظهر جواده، ورجلاه تتدليان بسهولة[7]. ومن براعة البدو في الفروسية أن الخيول لها مسميات كثيرة لديهم، وترتب على ذلك براعتهم في معرفة الخيول العربية الأصيلة النسب[8]. ودفعت كتابات كارلو جوارماني وبيرتون وغيرهم من الرحالة عن الخيول العربية الأصيلة هواة تربية الخيل إلى استنتاج مميزات الجواد العربي في ميدان

---

(1) لويس. اثبيتيا دي مورس: **مرجع سابق،** ص 180.

(2) ألويز موزيل: **مرجع سابق،** ص 139.

(3) علي عفيفي علي غازي: **بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة،** (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2016)، ص 51-64.

(4) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر،** ص 132.

(5) وليد كاصدالزيدي: **بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين،** (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، 2009)، ص 73.

(6) ماكس فرايهير فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الأول،** ص 83، 84.

(7) الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات،** ص 113، 343، 366؛

Lady Anne Blunt: Op. Cit., P. 42, 98, 305, 402.

(8) لوي جاك روسو: **مرجع سابق،** ص 136-140.

الحرب والفروسية؛ فهبوا لشرائه. ولعل آن بلنت وزوجها من الرحالة الفرسان الذين تركوا بصمات واضحة في حفظ سلالات الجواد العربي[1].

يُربى أبناء البدو، خاصة الشيوخ، تربية مُهذبة، ويتصرفون بأخلاق عالية في صدق وشجاعة لا يُماثلهم فيها أحد، فيُمرنون على ركوب الخيل والفروسية منذ الصغر. ومن عادات السلم بين القبائل تعليم الفروسية، بأن يُرسل أبناء شيوخ العشائر الصغيرة إلى بيوت العشائر الكبيرة في مبادرة سلمية تُعبر عن حسن النية بين العشيرتين. وتذكر آن بلنت أنها لم تر في حياتها «منظرًا أجمل من الطفل طلال، ابن شيخ شمر، وهو يمتطي فرسه الكميت...، ويتسلح برمح أطول منه بمقدار ثلاث مرات...، ويُمارس بجواده الكر والفر حاملًا رمحًا ذات رأس فولاذية على ظهره طولها ستة «إنشات»...، ويسير مُتحديًا، ويتظاهر بمهاجمتنا وفقًا لأعراف الفروسية، ثم ينطلق مبتعدًا كالسهم برفقة عمه الفارس الشجاع الماهر، ويعود ثانية من خلفنا يرعد ويزبد ورمحه يهتز فوق رأسه، ثم يرجع ويستدير مُستفيدًا من خفه وزنه هاربًا من جديد في مشهد جميل من مشاهد الفروسية»[2]. ويصف ليتشمان *Leachman*، الرحالة الدبلوماسي البريطاني، نجل الملك عبد العزيز آل سعود، بقوله: «كان سعود ولدًا صغيرًا وذا ملامح غاية في الجمال، أشقر البشرة، وكان يُجيد الفروسية، وركوب الخيل، وكانت هوايته وتسليته الوحيدة»[3].

يتعود البدوي، منذ طفولته الأولى، على الفروسية والقتال، وعلى الصلابة والصمود تجاه سائر ضروب المشقات والآلام والأخطار، وإن حياته لقاسية حقًا، فهي تتكون من صراع متواصل من أجل الوجود، في مواجهة الطبيعة والبشر[4]. ولا تُكلف المرحلة الأولى من تربية الأطفال البدو مشقة كبيرة، حيث يتركونهم لشأنهم فيترعرعون من دون أية رعاية يوليها الآباء لأبنائهم. ويقتصر توجيه الشباب على تهيئته لأعمال الفروسية والقتال، وإذا بلغ الصبي قدرًا من القوة يسمح له بركوب الخيل من دون مساعدة ينبغي عليه عندئذ أن يتمرن على ألعاب الفروسية، ويبدأ في حمل واستعمال رمحه منذ الحادية أو الثانية عشرة من عمره، وقد كان كبير أبناء الشيخ

---

(1) أسعد عيد الفارس: «الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية أهدافهم وغاياتهم»، في كتاب دارة الملك عبد العزيز: **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2000)، ص 549.

(2) الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات**، ص 305، 306، 259، 260؛ *Lady Anne Blunt: OP. Cit., P.* 99, 230.

(3) بيتر برنيث: **مرجع سابق**، ص 223.

(4) ماكس فرايهير فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الأول**، ص 83.

فارس، شيخ مشايخ شمر، يُشارك في الغزوات منذ أن كان صبيًا في الرابعة عشرة من عمره[1]. يقول الفرنسي رينو مارتينيه: «البدوي من صغره يعود على الفروسية، فيركبونه فرسًا يسوقها برسن واحد مصنوع من الوبر، ويكون السرج غالبا بدون ركاب، وهو يتجول بها مسافات طويلة من دون أن يقف أو يعرج على حي ثان، وقد يقوم هذا الفتى ببضعة أعمال من البطولة»[2].

يذكر أوبنهايم أن «فرسان شمر يُقدمون دون كلالة عروض الفروسية والقتال في «لعبة الجريد»، التي تتمثل في انفصال بعض الفرسان عن القافلة مُلوحين برماحهم في هز مُتواصل، مُقلدين دور الهارب والمُتابع له، مُتبادلين الأدوار، أو أن يحاول الفرسان انتزاع كوفيات بعضهم بعضًا. وهكذا يضع الفرسان أنفسهم وخيولهم تحت تجربة قاسية من حيث الرشاقة والحركة بالنسبة للفرسان، ومن حيث السرعة بالنسبة للخيل». ويُضيف «عندما أشرفنا على مُخيم الشيخ فارس من المرتفع، استأنف مرافقونا من البدو ألعاب الفروسية بنشاط مُضاعف، وراحوا يُطلقون صيحات متوحشة وهم ينقضون انقضاضًا على الخيام التي انطلق منها عدد من الفرسان للمشاركة في ألعاب القتال»[3]. وبني تميم بارعون في الفروسية، وقد التقت جيرتروود بيل شيخ قبيلة بني تميم، وقد جاء بصحبة اثنين وثلاثين من فرسانه، الذين قاموا بحركات بهلوانية جريئة من فوق ظهور جيادهم الأمر الذي عكس قدرتهم العالية في فن الفروسية[4].

يشهد جمس بكنجهام للبدو بأنهم مغرمون بالفروسية، واستعمال الأسلحة ببراعة. وعندما تكون الخيول من نوع جيد، وتكون عدد الحرب ممتازة، ويُحافظ الراكبون على ظهور خيولهم بثبات، لن تكون هناك سوى استثناءات فيها مهارة الرجل وعزيمته، والنار التي يُطلقها، أو جمال الجواد الذي يمتطيه، بأعظم مالها من فوائد[5]. ويُشير جوهن جاكوب هيس إلى أن البدوي عندما يكون «في حالة الحداد على أحد أقربائه القريبين، فإنه لا يلبس إلا الثياب العتيقة، ولا يذهب إلى الحفلات، ولا يقوم بألعاب الفروسية، ويتصرف بصمت مدة شهر كامل تقريبًا»[6]. وأمضى جون لويس بوركهارت ساعات الظهيرة في

---

(1) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 161.

(2) عمار السنجري: **مرجع سابق**، ص 19، 20.

(3) ماكس فون أوبنهايم: **رحلة ماكس فون أوبنهايم من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج**، عبد الكريم الجلاصي (ترجمة)، (أبو ظبي: مركز الوثائق والبحوث بديوان رئيس الدولة، 2002)، ص 47، 48؛ ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 18-21.

(4) إليزابيث بيرغوين: **جيرتروود بيل من أوراقها الشخصية 1914-1926**، نمير عباس مظفر (ترجمة)، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2002)، ص 180.

(5) جمس بكنغهام: **رحلتي إلى العراق سنة 1816**، الجزء الأول، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: مطبعة أسعد، 1968)، ص 140.

(6) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 302.

كوخ القهوة الذي يُسمونه «شداد»، حيث كان البدو يسلون أنفسهم بالرماية على هدف سبق أن حددوه، و«كشف هؤلاء البدو عن مهارة كبيرة في الرماية، فقد كانوا قادرين على إصابة القرش، الذي وضعته أمامهم على مسافة أربعين ياردة»[1]. ونظر بيرتون إلى وجود الأسلحة واستعمالها والفروسية وإطلاق النار بشكلٍ حاد والتمرينات العسكرية باعتبارها من الأسباب التي تعوّد البدو على الشجاعة ومواجهة الموت وجهًا لوجه كرجال كما أن الحوافز الكبيرة القوية تخلق منهم أبطالًا[2]. ويذكر كونستانس ألكسندر أن البدو المرافقين للقوافل يسلّون المسافرين بترديد «الأغاني الشجية، وأداء رقصات الحرب، فضلا عن عرض براعاتهم الفروسية في استخدام السيف والرمح»[3].

يحتفل العتبان (بني عتبة) بالعيد الكبير «عيد الضحية» في العاشر من ذي الحجة، عند طلوع الشمس بأن يُطلق النار في الهواء كل من لديه بندقية، وتحضر النساء وجبة الفطور «فطرة»، بعدها يذهب جميع الرجال إلى صلاة العيد التي تذبح بعدها الأضحيات، ويقدم أصحاب الإبل والخيول «الفنتازيا» أي ألعاب الفروسية[4]. وتشهد احتفالات الزفاف ألعاب الفروسية والقتال، فبعد أن تتمّ إجراءات تجهيز العروس، يركب الرجال على خيولهم، والنساء على هوادجهن، ويذهب الموكب إلى أهل العروس، وخلال الطريق يقومون بإنشاد الأناشيد والأهازيج، ويعرض الفرسان ألعابهم الفروسية، ويُسمى هذا «قطار العرس»[5]، وعند وصول الموكب يغني المحتفلون الأهازيج، وينشد الشعراء الزجل والشعر النبطي، ويكون موضوعه بعد الصلاة والسلام على خير الأنام، صلى الله عليه وسلم، وفضائل الزواج، والفخر بمزايا الزوجين، وفروسية رجال القبيلتين وشجاعتهم، ومحافظة نساء القبيلتين على عفتهن، ويقوم الشباب والفرسان بألعابهم على ظهور خيولهم، ويطلقون النار من بنادقهم ، وتذبح الجمال، وبعد تناول الطعام، يذهب والد العريس ووالدته إلى خيمة العرس، حيث يدخل العريس على عروسه بين طلقات البنادق وصياح الشيوخ، و«زلغطة النساء»، وألعاب الفروسية التي تستمر حتى الصباح[6].

---

(1) جون لويس بوركهارت: **ترحال في الجزيرة العربية**، الجزء الأول، صبري محمد حسن (ترجمة)،(القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2007)، ص 121.

(2) بيتر برنيث: **مرجع سابق**، ص 41.

(3) كونستانس ألكسندر: **بغداد في الأيام الخوالي**، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2001)، ص 54.

(4) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 303.

(5) علي عفيفي علي غازي: «طقوس وعادات الأعراس في الجزيرة العربية» **مجلة تراث**، العدد 202، (أغسطس 2016)، ص 15–21.

(6) عدنان العطار: **تقاليد الزواج الدمشقي: البدوي والريفي والحضري**، (دمشق: دار سعد الدين للنشر والتوزيع، د. ت.)، ص 31، 32.

ألعاب أطفال البدو

يُربى البدوي، منذ طفولته الأولى، على الفروسية والقتال، وعلى الصلابة والصمود تجاه سائر ضروب المشقات والآلام والأخطار، وحياته قاسية، فهي عبارة عن صراع متواصل من أجل الوجود، في مواجهة الطبيعة والبشر. ويُشاهد يوليوس أويتنج كيف يتعلم أطفال البدو الرماية، فقد كانوا يُثبتون قطعة من الورق على صخرة مقابلة، ثم يطلقون النار عليها، ويُقرر أنهم رماة جيدون، وخاصة قدرتهم على التصويب، وهم في حالة الحركة[1]. ولا تُكلف المرحلة الأولى من تربية الأطفال عند البدو مشقة كبيرة، حيث يتركونهم لشأنهم فيترعرعون على غرار الشعوب البدائية، ذلك أن أية رعاية يوليها الآباء لأبنائهم، مهما كانت بسيطة، تتسبب في هلاك الضعاف من بينهم. وقد لاحظ ماكس أوبنهايم في مخيم قبيلة شمر أن الرجال يتركون الأواني نصف الفارغة بعد الانتهاء من الأكل للأطفال، فيفرض القوي اللبق منهم سلطته على الضعيف، «وإذا بلغ الصبي قدرًا من القوة يسمح له بركوب الخيل دون مساعدة ينبغي عليه عندئذ أن يتمرس على ألعاب الفروسية، ويبدأ في حمل واستعمال رمحه منذ الحادية أو الثانية عشرة من عمره، وقد كان كبير أبناء الشيخ فارس، شيخ شمر، يُشارك في الغزوات منذ أن كان صبيًا في الرابعة عشرة من عمره»[2].

يُشير تشارلز داوتي إلى أن الأطفال ليس لهم ألعاب كثيرة، يقضون بها أوقات فراغهم في المخيم، فالابن الصغير يُعهد إليه في الغالب برعي الحملان قريبًا من البيوت، أو بمساعدة أبويهم، ويصنع الأطفال أشكالًا صغيرة من الصخر لها ثلاثة أركان يُسمونها «قعودهم وأبلهم»، ويضعونها، متقابلة على الرمل، وينادي الواحد منهم زملاءه في اللعب «تعالوا شوفوا». ويصنع الأهل للأطفال أدوات للعب تُسمى لعبوبة، تُصنع للصبيان نماذج من الحجر خشنة جدًا عن الإبل والخيول والكلاب، وتُصنع للبنات خيم صغيرة من القماش، وسروج صغيرة للإبل، وتلعب البنات أيضًا بأحجار متطاولة تسميها «أطفالها»

---

(1) يوليوس أويتنج: **مرجع سابق**، ص 235.

(2) ماكس فرايهير فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الأول**، ص 83.

أو «زوجها»[1]. ويُضيف فيليب ليبنز «كنت أوزع عليهم بعض الدُمى من البلاستيك، وكذلك بعض الخرفان من البلاستيك أيضًا. كُن يُمررن هذه الأشياء المذهلة من يد ليد، وينفجرن بالضحك أو يتراجعن خوفًا؛ طالبين المزيد»[2].

يعرف أطفال البدو مجموعة من الألعاب، منها: «مزمارة»، وهي أداة موسيقية صغيرة مصنوعة من عود البروق، أو القصب. و«دوداحة»، وهي إطار خشبي أو معدني. و«خنينة» أو «خريرة»، وهي قرص مربع الشكل من الخشب أو الحجر فيه أربعة ثقوب تُمرر فيها خيوط. و«دسيسة»، وهي لعبة الاستخباء وقت الظلام. و«زقطة» تُلعب بأن «يأخذ المرء حجرًا مستديرًا صغيرًا وعدة حجارة عادية أخرى. يرمي اللاعب الحجر المستدير المسمى «مزقاط» إلى الأعلى، ثم يأخذ خلال فترة طيرانه حجرًا من الحجارة الأخرى، ويتعين عليه التقاطة في يده بواسطة هذا الحجر. وهكذا تستمر اللعبة حتى يسقط الحجر المستدير على الأرض. بعد ذلك يأتي لاعب آخر. وفي لعبة أخرى بالحجر، يأخذ أحد اللاعبين حجرًا ويضعه في قبضته المغلقة، ثم يُدخل يده في كومة من الرمل، ويترك الحجر فيها، في مكان ما، بعد ذلك يتعين على الآخرين أن يحزروا مكان وجود الحجر. أما لعبة «الفنانة» فهي كسرة من الصخر أو الخشب في منتصفها ثُقبان متجاوران يمر من خلالهما خيط رفيع تغزله الأمهات لأطفالهن من أجود وبر الإبل. ويُعقد طرفاه ثم تُعلق الكسرة في منتصف الخيط، فيرميها الطفل لأعلى، ويلف الخيطين في اتجاه واحد، ثم يشدهما ويُرخيهما فتحدث الكسرة أزيزًا عاليًا[3].

يُستعمل كعب الماشية الصغيرة للعبة تسمى «الكعيب»، وقد وصف أحد العتبان هذه اللعبة كما يلي: «يضع المرء اثنين من هذه العظام في دائرة مرسومة في الرمل، ثم يقذف العظمين من مسافة معينة (نحو 15 خطوة) بحجر مسطح بهدف إخراجهما من الدائرة بضربة واحدة. إذا ما أصابها بطريقة بحيث لم يخرج من الدائرة سوى واحد منهما يقف اللاعب فوق الكعيب، ثم يحاول من موضعه إخراج المتبقي في الدائرة منها، إذا لم يستطع ذلك، أو إذا لم يُصب اللاعب العظمين إطلاقًا، أو إذا ما أصابهما بطريقة لم يخرجا معها من الدائرة، لا يحق له متابعة اللعب». كما وصف أحد القحاطين اللعبة كالتالي: «يأخذ

(1) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 149، 150.

(2) فيليب ليبنز: **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية**، محمد محمدالحناش (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1999)، ص 61.

(3) يوليوس أويتنج: **مرجع سابق**، ص 235.

المرء نحو 20 كعبًا ويضعها واقفة في صف واحد، ثم يأخذ كعبًا ويرميه دورانيًا كالمغزل محاولا إصابة الكعب الأول أو الأخير، أي أحد الكعبين الخارجيين، والكعب الذي يصبه يأخذه. إما إذا ما أصاب كعبًا في الوسط فتكون الإصابة غير صالحة، ويحق للاعب متابعة اللعب طالما أنه لم يُصب كعبًا في الوسط»[1].

يلعب أطفال البدو كذلك لعبة «خيل وخيل»، وفيها تُختار الأفراس والراكبون بالقرعة، بأن يختار كل ولد فرسه ويركض الولد- الفرس وصاحبه متشابكي الأيدي. ويذكر تشارلز داواتي أنه شاهد في الليالي المقمرة الأطفال يمرون من جانبهم مسرعين، حيث «تجمع الأولاد والبنات وقفزوا فوق الرمال ليلعبوا لعبة الخيل إلى أن يجدوا تلا من الرمل أو صخرة يمتطونها. وتجمعت البنات ليُغنين سويًا أغنية من بيت واحد ويُكررن نهايته مع التصفيق بالأيدي. وخلع الأولاد أرديتهم، وطرحوا غتراتهم جانبًا، أو تركوها في بيوت أمهاتهم، وخرجوا عراة راكضين؛ ليس على أجسامهم شيء سوى (الحقو) المربوط حول خواصرهم النحيفة. والحقو سير جلدي مضفور يلبسه كل الأعراب الأقحاح رجالا ونساء، ولا يخلعونه أبدًا»[2]. ويعدو الأولاد في لعبة «عقي عقب» نحو الهدف، الذي يقع على بعد مائة خطوة تقريبًا، ومن يصل أولا يهتف (عقي عقب) وهو أمر للآخرين بأن ينحرفوا ويعودوا نحو نقطة الانطلاق عدوًا. وأول صبي يصلها يصيح الآن بالكلمات نفسها (عقي عقب) ويطير مع الآخرين نحو الهدف، ويُكرر ذلك حتى يتعب الجميع، وأخيرًا يهتف الذي يصل الهدف أولا: (كُركُب خشب) أي: كوم خشب، ويسقط على الأرض، ويحذو الآخرين حذوه، فيرقدون دون حراك برهة، لكنهم بعد ذلك يبدأون في رفس كل ما حولهم وضربه بغض النظر عمن يضربون[3].

يشاهد تشارلز داوتي في تيماء رجالا تحلقوا، بعد أدائهم صلاة العصر في المسجد، حول لاعبين يلعبان لعبة «البياتة»، وتسميها عتيبة «حويلا»، تتألف من سبعة حجارة لكل لاعب موزعة على عدد مماثل من الحقول. تسمى الحقول «بيوت»، ترسم في المناطق المستقرة على قطعة من الخشب، أما في البادية فتكون عبارة عن حفر في الأرض. ويستعمل البدو في اللعب «دمن (بعر) الإبل الجاف» بدلا من الحصى، ويُطلقون على القطع اسمًا مثل

(1) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 161، 162.

(2) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 150.

(3) ألويس موزل: «أخلاق عرب الرولة وعاداتهم»، محمد بن سليمان السديس (ترجمة)، **مجلة الدارة**، العدد الأول، السنة 13 (شوال 1407)، ص 182، 183.

«القعود». ويلعب أطفال البدو كذلك لعبة «بور»، وتكون بحفر حفرة، وتوضع فوقها عصا يتعين على اللاعب ضربها من الأسفل بعود بحيث تطير في الهواء باتجاه لاعب آخر يتعين عليه صدها. وإذا لم ينجح اللاعب الأول يأتي اللاعب الثاني إلى الحفرة[1].

يُعدد ألويز موزيل ألعاب صبيان البدو، فيذكر منها «الحاجية» وتكون بحفر حفرة في بقعة مستوية من الأرض، وتحفر في وسطها حفرة أصغر منها وأعمق، وتوضع على جانب الحفرة الكبيرة حصاة مدورة «حاجية» ثم تُرمى من الباب حصاة مشابهة «سيك» لكنها أكبر، نحو الحصاة الأولى؛ لإسقاطها في الحفرة الكبيرة، حيث لا بُد أن تتدحرج في الحفرة الصغيرة، وحين يؤدي الأولاد جميعًا أدوارهم، يمتطي الصبية الذين نجحوا في وضع الحصاة في موضعها رفاقهم ذوي الحظ العاثر، والذين يجب أن يحملوهم من الحفرة حتى الباب، وغني عن الذكر أن هؤلاء الراكبين نادرًا ما غاب عنهم، أن ينخسوا جوانب أفراسهم لقسرها على الإسراع. أما في لعبة «الطقة»، فإن كل صبي يتسلح بأحد أعواد الخيمة الكبيرة، ثم يضع صبي يقع الاختيار عليه بالقرعة، عودًا صغيرًا مدبب الطرفين «شظاظ» على أعواد حجر قريب، ويضربه بعوده الكبير، لكي يجعله يطير في الهواء قليلا، ثم يصكه وهو في الهواء صكة عنيفة تقذف به نحو اللاعبين الآخرين الذين ينتظرون على بعد نحو ثلاثين خطوة أو أربعين، فيحاول كل منهم أن يصد العود الصغير الحاد المنطلق بعوده ليعيده من حيث أتى، وطالما لم يُفلح أحد في ذلك، فإن العود يُعاد للصبي الأول الذي يستمر في اللعب إلى أن يتمكن أحد رفاقه من إصابته فيحل محله. وحين يحاول اللاعب صد «الشظاظ» غالبًا ما ضرب «الشظاظ» رأسه أو كتفيه مما ينتج عنه جروحًا. وفي لعبة «الدهدوه» غالبًا ما تتقطع غتر كثيرة مزقًا إذ يُدحرج صبي حجرًا كبيرًا من أعلى مكان مُنحدرًا قليلا، بينما يحاول الآخرون إيقافه «عكشه» بغترهم، ومن يُفلح في ذلك، يملك الحق في أن يُدحرج الحجر «يدهديه»[2].

يعرف أطفال البدو كذلك بعض الألعاب الخطرة، ولكنها كلها، حسب توصيف دي مورس تهدف إلى «تصليب عودهم، وإذكاء ملكاتهم». ويُضيف: «لاحظت أن أذرع الرجال والأولاد الصغار تحتوي على ندبات دائرية بحكم نصف بيزتا يطلقون عليها «دمل حلب»، وتساءلت عمّا إذا كان يُعاني منها البدو كذلك. وقد قال لي أحدهم: إن

(1) أحمد عبد الرحيم نصر: مرجع سابق، ص 151.

(2) ألويس موزل: «أخلاق عرب الرولة وعاداتهم»، ص 183، 184.

هذه الندبات يعملها الأطفال بوضع جمرة على الذراع ويتركونها حتى يكتوون بحرها ويتراهنون فيما بينهم بعمل حرقات متتالية، وسيتمكن الفائز من قتل غزاله بحجر يقذفها بقوة ذلك الذراع»[1].

يذكر ألويز موزيل من ألعاب صبيان البدو الخطرة « الرمحة» حيث يُصف الصبية صفين، يمسك الصافون بكل صف بعضهم أيدي بعض، ويقفون في مكانهم، ثم يتقدمون نحو الصف الآخر، ويرفسون أندادهم إلى أن يتدحرج جزء كامل من الصف، ولا تنتهي اللعبة حتى تغدو بطون كثيرين منهم سودًا وزرقًا، لكنهم يظلون واقفين طالما استطاعوا تحمل الألم. وقد اعتبر لعبة «الشارة»، لعبة عظيمة الخطورة، إذ يأتي الصبيان بمجادفهم (مقاليعهم)، ويجمع كل منهم عددًا من الحجارة الصغيرة، ثم ينفصلون إلى جماعتين متعاديتين، ويُعلنون الحرب فيما بينهم، ثم يقذفون الحجارة من مجادفهم، ويسيل الدم دائمًا، وغالبًا ما خسر صبي عينًا، أو يُشج رأسه، أو يكسر عظم ذراعه أو ساقه، بل إنه قد يسقط ميتًا، ومع ذلك لا يمنع الآباء أبناءهم أبدًا من اللعبة، وإن مات صبي فعلى أهل اللاعب الذي قتله دفع الدية، ونصفها عن الجروح الخطيرة الأخرى، فإن لم يتمكن معرفة الجاني، وجب أن يدفع أهل الصبيان المشاركين في اللعبة جميعًا تعويضًا من هذا النوع يُسمى «المِدَّة الغشيه». أما لعبة «المعكالة» فهي لعبة خطرة أخرى، ولكنها ليست بخطورة «الشارة»، إذ يخلع الصبي غترته، ويعقد عقدة في وسطها، واضعًا فيها حجرًا، ويقف لدى باب الميدان (الميد)، ثم يرمي الغترة إلى رفاقه المنتظرين على بعد خمسين خطوة، ومن يتمكن من الإمساك بها يضرب الآخرين وهم يعدون نحو الباب، ثم يعود إلى مكانه، ويُلقي الغترة بين الأولاد الذين يصيحون به: أعط الغترة من أعطاكها (عطها من عطاكيها) وتستأنف اللعبة من جديد. وهنا أيضًا قد يعود غلام إلى بيته وفي رأسه شجة متورمة أو في جسمه جرح يسيل منه الدم.

يلعب الصبيان ليلا، لعبة تُسمى «مُذمح سارة» فيأخذون عودًا حاد الطرفين «شظاظ» من ذلك الضرب المستخدم لربط رواق البيت الخلفي لسقفه، يقف أحد الصبيان لدى باب الميدان «الميد» ويُلقي العود لرفاقه الذين يقفون على بعد نحو عشرين خطوة منه. فيهتف الصبي الذي يتلقفه (مُذمح سارة، مُذمح معي) وينطلق في الحال نحو الباب، فيرمي الآخرون بأنفسهم عليه محاولين أخذ العود وصائحين: أنا ذو القوة، سأحطمك!.

---

(1) لويس. اثيبتيا دي مورس: **مرجع سابق**، ص 218.

«أبا العريك والعارك». أما الغلام المهاجم فيذود المهاجمين بأقوى ما يستطيع طاعنًا إياهم بالعود ورافسًا وعاضًا آملا أن يصل إلى الباب والعود معه، ومعظم الجروح الناتجة من هذه اللعبة ترى آثارها بطبيعة الحال على ملابس اللاعبين[1].

تعرف الفتيات والبنات البدويات القليل من الألعاب، إذ ليس لهن ألعاب كألعاب الصبيان، لذلك يؤلفن من وقت لآخر في الليل مجموعتين ليُغنين سويًا أغنية من بيت واحد ويُكررن نهايته مع التصفيق بالأيدي. ويُغنين بالتناوب «يسمرن» أهازيج منوعة تسمى «سُمير»[2]. ويشير سباستياني إلى رقصة الفتيات البدويات في سُمرهن ، فيقول: «شاهدنا في إحدى الخيام صبايا عربيات، وهن يرقصن، وكان الرقص يجري بأن تقف الفتيات اثنتين اثنتين، تقوم الواحدة واقفة فوق كتفي رفيقتها وكان شعر رؤوسهن منثورًا، وفيه زينة حلي، كثيرة، أما ثيابهن فقد كانت بسيطة وطويلة ولها أكمام عريضة، وكن يقفن ويتراقصن ويغنين فرحات جذلات ويؤدين ألعابًا جميلة»[3].

(1) ألويس موزل: «أخلاق عرب الرولة وعاداتهم»، ص 184، 185.

(2) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 260-262.

(3) سبستياني: **مرجع سابق**، ص 56.

ألعاب الأطفال الشعبية الرمضانية

الألعاب الشعبية، هي الألعاب الأولى التي عرفها الإنسان في كل الثقافات، ومنها نبتت معظم الرياضات الحديثة، وقد عرف العرب في جاهليتهم وإسلامهم الألعاب الشعبية، وذكرت بعض هذه الألعاب في المعاجم والقواميس والموسوعات. وصنف أحمد تيمور باشا كتابًا في هذا الباب موسوم «لعب العرب»[1] أورد فيه سبع ومائة لعبة، رتبها وفق حروف الهجاء. وجمع أحمد عيسى «ألعاب الصبيان عند العرب»[2] وبلغ عدد ما جمعه خمس وستين لعبة. أما فائدة ألعاب الأطفال الشعبية؛ فإنها تعمل على تنمية التفاعل الاجتماعي بين الأطفال، وتنمية قدرات الطفل الجسدية، والذهنية، والجمالية، والإبداعية، واكتشاف قدرات الأطفال الخاصة وتنميتها، واكتساب بعض المعارف والخبرات والمهارات المختلفة، وتنمية مبدأ الغيرة والحفاظ على الممتلكات الخاصة والعامة، وتدريب للأطفال على فنون القيادة والطاعة والانضباط، واحترام القوانين والقواعد والأصول، وتصريف طاقات الطفل الحيوية بطريقة مشروعة، ونقل تراث المجتمع وعاداته وتقاليده ومعتقداته وخبراته من جيل إلى جيل[3].

تتصف ألعاب الأطفال الشعبية بمجموعة من الخصائص العامة، تشترك فيها مع بقية مواد التراث الشعبي الأخرى. وخصائص نوعية، تربطها بالألعاب الشعبية كنوع، وتشاركها في بعض الظواهر أو الممارسات أو الفنون الشعبية الأخرى من نفس الجنس الشعبي. ومن أهم خصائصها أنها ألعاب بسيطة وغير مُعقدة سواء في إجراءاتها أو قواعدها أو قوانينها أو أدواتها أو بنيتها أو كيفية ممارستها، وتتميز أيضًا بأنها ألعاب عريقة، كونها الألعاب الأولى التي عرفها الإنسان في كل الثقافات، ويُمكن إدراك مدى العراقة التي تتمتع بها تلك الألعاب من خلال تتبع تاريخها. وبالإضافة لذلك فإن ألعاب الأطفال الشعبية ليست فقط مجرد أشكال فنية تُعبر عن الثقافة الشعبية التي تنتمي إليها، وإنما هي

---

(1) أحمد تيمور باشا: **لعب العرب**، (القاهرة: مطبعة دار التأليف، 1948).

(2) أحمد عيسى: **ألعاب الصبيان عند العرب**، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013).

(3) عبد العزيز أحمد المطاوعة (وآخر): **ألعاب الأطفال الشعبية القطرية**، (الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2015)، ص 43-49.

أيضًا مرآة صافية تعكس واقع الحياة الاجتماعية التي تمارس فيها، أما الصفة التنافسية للألعاب الشعبية فهي المعيار الأكثر خصوصية في هذا المجال، وتعمل في الترسيمة الحركية أو الذهنية لهذه الألعاب. وأخيرًا تتميز ألعاب الأطفال الشعبية بأنها تخلو من القسر والإرغام، فلا يُجبر الطفل على ممارسة أي لعبة منها، مهما كانت أهميتها أو ضرورتها للمجتمع، وإنما يشارك الأطفال فيها طواعية وبمحض إرادتهم الذاتية، كما أنها لا تحقق دخلا ماديًا، ولا تدر ربحًا أو تتسبب في خسارة مادية ملحوظة[1].

تمتلئ شوارع مصر في ليالي رمضان بالأطفال يلعبون الألعاب الشعبية من «عسكر وحرامية» و«الاستغماية» و«عروستي»، وهي ألعاب تحمل في طياتها رسائل غير مباشرة للأطفال، تؤكد أهمية حماية الأرض والوطن، كما أنها ترتكز على المشاركة الجماعية. وكان الأطفال يلفون علي المنازل يطلبون الحلوى أو النقود، قائلين «أدونا العادة...»[2]. أما في الأردن فيلعب الأطفال في رمضان لعبة «السيجة»، وهي لعبة اشتق اسمها من السياج؛ كونها تُسيج بأربعة خطوط داخلها حجرات يتوزعها فريقان، لكل فريق حجراته التي يضع فيها حجارته «جراوته»، والتي تختلف في لونها عن الفريق الآخر. وتُلعب على مصاطب أمام البيوت، أو في شوارع القرى، وقبل ذلك كانت تُلعب في بيوت الشعر، وارتبطت خاصة بسهرات شهر رمضان[3].

تعتبر الألعاب الشعبية جزءًا لا يتجزأ من الموروث الثقافي والشعبي في منطقة الخليج العربي؛ ويرتبط الكثير منها بشهر رمضان المبارك، وخاصة بعد الإفطار. وبعضها يرافقها غناء ورقص شعبي، وخاصة ألعاب البنات مثل لعبة «أحدية بدية»[4]. ويلعب أطفال الكويت في ليالي رمضان «الخربقة»، وهي لعبة فكرية تلعب في المجالس، ولا تزال مفضلة لدى البعض حتى اليوم. وتلتقي الفتيات في حلقة للتباري بينهن صبيحة يوم الصوم أو في الظهيرة، وأحيانًا ليلًا لقضاء أوقات مرحة. كما تستهوي الأطفال لعبة «دق ولقط» أو «الشويكة»، وتتمثل في جمع كمية من البسر، أي التمر قبل نضجه، وتطمر تحت التراب، ويتبارى اللاعبون على أخذ الكمية الأكبر عن طريق رمي شوكة النخلة. وفي السهرات يلعبون «الغميضة» أو «الحليلة» التي تستهوي الأطفال والشباب على حد السواء. وتشيع هذه الألعاب الشعبية في رمضان

(1) عبد العزيز رفعت عبد العزيز: «خصائص ألعاب الأطفال الشعبية القطرية»، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 77 (يناير 2012)، ص 8-15.

(2) حسن حافظ: «الألعاب الشعبية فرحة البسطاء وبهجة الأطفال.. تواجه الإندثار»، **مجلة آخر ساعة**، (6 سبتمبر 2011).

(3) «ألعاب شعبية أردنية»، **وكالة الأنباء الأردنية**، (دون تاريخ).

(4) ياسين السليمان: «الألعاب الشعبية في الخليج.. تراث وتاريخ تخطه ريشة الطفولة»، **الخليج أونلاين**، (23 أغسطس 2015).

لقضاء أوقات جميلة تنسيهم العطش والجوع، وتحمل في طياتها عبق رمضان، وأجوائه الجميلة، وتحمل نكهة مميزة، وغالبًا ما يلعبها الأطفال بعد الأفطار[1].

تحمل الليالي الرمضانية في الإمارات عبق خاص عند الأطفال، حيث يلعبون في الساحات والأحياء، ولا تزال الألعاب الشعبية حاضرة رغم الحداثة والألعاب الإلكترونية، وتعتبر جزءًا لا يتجزأ من التراث الشعبي، وتكثر الساحات وأماكن اللعب في رمضان ويُقبل الصغار والكبار على الألغاز والألعاب الحركية والذهنية ومجالس السمر بعد صلاة التراويح، وقد تباينت الألعاب ومسمياتها في الإمارات، نسبة إلى اختلاف البيئة والمناطق الجغرافية، إلى جانب اختلاف طريقة الأداء التي تعتمد في بعض الأحيان على اللعب الفردي، ولكنها في الغالب تحث على المشاركة الجماعية، ومن أهمها «الهول» التي تحتاج إلى لياقة بدنية عالية، وينقسم فيها الأطفال إلى فريقين، ويقوم كل فريق بتثبيت راية وسط الملعب، ويحاول كل فريق حماية رايته ، فإذا ما لمسها أحد أعضاء الفريق الأخر يتحقق الفوز المنشود . ويلعبون كذلك «عظيم لواح»، والتي تعتمد على ربط عظمة من وسطها بحبل طويل ويلوح بها اللاعب ويقذفها إلى أعلى، ويتراكض اللاعبون للإمساك بها مرددين «عظيم لواح»، وغيرها من الألعاب مثل «الصوير، التبة، هدوة المسلسل، سبعة شداد»[2].

يُحيي أطفال البحرين «القرقيعان» أو «الكرنكعوه»، في منتصف شهر رمضان. وبعد انقضاء وقت الفطور يترك الصبيان بيوتهم، حيث يرتدون الملابس التقليدية مثل الدرعة، ويذهبون إلى الأهل والأقارب والجيران، ويتجمعون في الفريج، يطوفون على منازل الحي حاملين الأكياس، ويدقون على الأبواب ليحصلوا من خلال تجوالهم على بعض الحلويات والمكسرات، ويغني الأطفال قبل الدخول إلى المنزل: عطونا الله يعطيك، بيت مكة يوديكم، يا مكة يا لمعمورة، يا أم السلاسل والذهب يا نورة، عطونا من قال، يسلم لك عبد الله، عطونا حبة وميزان، سلم لكم عزيزان». وبعد دخولهم إلى المنزل يغنون وهم يذكرون اسم أصحاب الدار قائلين: «لولا فلان ما جينا، يفك الكيس ويعطينا، الله يخليه لأمه، ويلحفها بالساحة من المطر وسياحه»، ويستمرون في الأداء حتى يُقدّم لهم بعض المكسرات أو النقود، ويردون بالدعاء: «عساكم تعودونه» أو «من عطا عسى

---

(1) علي دخيل: «ألعاب تنعش الذاكرة الشعبية وأخرى مهددة بالإندثار»، **صحيفة الصباح**، (21 يوليو 2013)؛ «الألعاب الشعبية تراث له مكانته لدى أهل الكويت»، **صحيفة الأنباء**، (30 أغسطس 2010).

(2) أميرة عبد الحافظ: «رمضان الإمارات ذكر وتكافل منذ القدم»، صحيفة الخليج، ملحق تراث، (26 يونيو 2014)؛ علي الظاهري: «الألعاب الشعبية.. إبداع داخل البيئة»، **صحيفة البيان**، (21 يوليو 2013).

يعوده» وهكذا حتى ينتهي الطواف على جميع بيوت الفريج. والبنات كذلك يتجمعن في مجموعات كالصبيان، وتعلق كل منهن كيسها القماشي في رقبتها، ويتغنين بالأبيات: «كريكعان أو كركيعان، بين أكصير ورمضان، عادت عليكم صيام، كل سنة وكل عام، يا الله سلم (فلان)، يا الله خله لأمه، عسى البكعه ما تخمه، ولا توازيه على أمه»[1].

يعرف أطفال قطر عادة رمضانية تراثية أصيلة، يُشارك الكبار فيها الأطفال فرحتهم بليلة النصف من شهر رمضان المبارك، والتي يُطلق عليها اسم «القرنقعوه»، إذ يقصد الأطفال البيوت في الفترة المسائية بعد صلاة العصر وحتى صلاة العشاء والتراويح، حيث يجتمع أطفال الفريج الواحد من الجنسيين حتى سن 12 سنة في جماعات ويترددون على كل بيت يقفون أمامه أو يدخلون إلى حوشه، أثناء ترديدهم أهزوجة بصوت جماعي عرفتها الذاكرة الشعبية باسم «القرنقعوه»، تلك الأهزوجة التي تنم عن قوة الترابط الاجتماعي وقيم الكرم والدعاء بزيارة الأماكن المقدسة، والدعاء بطول العمر، ويقول مطلعها: «قرنقعوه قرقاعوه، عطونا الله يعطيكم، بيت مكة يوديكم، يا مكة يا المعمورة، يا أم السلاسل والذهب يا نورة، عطونا من مال الله، يسلم لكم عبد الله»[2].

---

(1) محمد رجب السامرائي: «رمضان والعيد في البحرين.. عادات وتقاليد متوارثه»، **مجلة الثقافة الشعبية**، العدد 21، (ربيع 2013)، ص 98-100؛ «الآلعاب الشعبية.. عبق الماضي الجميل»، **صحيفة الراي**، (5 يونيو 2014)؛ أحمد علي الحاج محمد: «أغاني الأطفال الشعبية ومضمونها التربوي في مملكة البحرين»، **مجلة الثقافة الشعبية**، العدد الخامس، (ربيع 2009)، ص 48، 49.

(2) سلمى النعيمي (وآخرون): القرنقعوة، (الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2014)؛ «سوق واقف يحتفل بليلة القرنقعوه»، **مجلة الريان**، العدد 90، (أغسطس 2015)، ص 8-10.

المجالس

توافق اللجنة الحكومية الدولية لصون التراث الثقافي غير المادي التابعة لاتفاقية اليونسكو في دورتها العاشرة التي عقدت في «ويندهوك»، عاصمة ناميبيا، في 12 يناير 2016، على إدراج المجلس والقهوة العربية في القائمة التمثيلية للتراث الإنساني غير المادي لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، وهو ما يلقى أهمية بالغة في المشهد الثقافي العربي، إذ إن هذا الإدراج يُسهم في صونها وزيارة الوعي بأهميتها باعتبارها من علامات الإبداع البشري، وبما أن المجلس والقهوة العربية ثمثلان مكونين أساسيين من مكونات التراث الثقافي غير المادي للدول الخليجية، مما يرسخ الثوابت المشتركة للبيئة الثقافية الخليجية، إذ تنبع أهمية المجلس باعتباره مكانًا للنقاش والحوار في قضايا المجتمع، ولعب دورًا في تربية الأجيال على مبدأ الاحترام المتبادل ومبادئ السلم والإصغاء إلى الرأي الآخر، وتأكيد قيم الصداقة والوفاء والصداقة، وتوطيد الروابط بين أبناء المجتمع من خلال كونه يحتضن معظم المناسبات الاجتماعية، كما لعب المجلس دورًا ثقافيًا بارزًا، فكان محفلا لإلقاء الأشعار، وعرض الحكايات، ومناقشة قضايا الأدب، وتبادل المعارف في شتى المجالات، وكان بمثابة المنبر الإعلامي، ينقل الأخبار ويطرح القضايا التي تعني بالشؤون المحلية والإقليمية والدولية، فكان بمثابة الحاضنة الثقافية الأولى لأجيال متعاقبة، فضلا عن دوره في دراسة قضايا الجماعة وحل مشكلات الناس من قبل أهل الحل والعقد.

تُلبي المجالس الخليجية حاجة اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية، فالمجلس يحتل جزءًا مهمًا من الحياة الخليجية، ويلعب دورًا واضحًا وملموسًا في المجتمع الخليجي، فهو إطار مكاني للتلاقي، والتواصل الشفاهي، والحوار مع الآخرين، وتحول مع مرور الوقت إلى ما يُشبه البرلمان كمكان لتلاقي الأفكار، ووكالة للأنباء والأخبار، ومنتدى للقاءات الاجتماعية والأدبية، وبرلمانًا حرًا لتبادل الأراء، يلتقي فيه أفراد القبيلة أو العشيرة أو الفريج يتحاورون ويتناقشون ويصنعون القرار المصيري سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا، وقانونيًا وقضائيًا بالنظر والفصل في القضايا والمنازعات بين المتخاصمين وفق العرف والعادات والتقاليد والقيم. وفيه تتمّ الصفقات التجارية. كما أنه يقوم مقام النادي الأدبي، حيث يأتي الرواه ويقصون الحكايات والسير الشعبية والأغاني، ويُقدم فيه الفنانون

والرواه فنونهم وابداعاتهم، وكلها من مظاهر الإنفتاح الاجتماعي والثقافي والفني.

تعود نشأة المجالس في المجتمعات الخليجية إلى البيئة الاجتماعية للمجتمعات القبلية، فهي ظاهرة لها جذورها التاريخية، إذ برزت منذ عقود كشكل من أشكال التواصل والتقارب الاجتماعي بين الأفراد والجماعات ذات الأصول القبلية أو العشائرية الواحدة، حيث تجمع بينهم الروابط والمصالح والهموم والمشاكل المشتركة. وكان المجلس في المجتمع البدوي حاجة اجتماعية ضرورية، إذ كان لكل قبيلة مجلس شورى لشيخها يستشير فيه مخاتير القبيلة في الأمور المهمة التي تخص الشأن العام للقبيلة[1]. ويضمّ كل مخيم بدوي خيمة كبيرة مخصصة للمجلس، هي دائمًا الخيمة الأولى، والأكبر عن مثيلاتها، حيث يجتمع فيها مجلس العشيرة أو القبيلة لمناقشة الشؤون العامة، وأين يذهبون للرعي، ومع من سيتحاربون، ومتى سيُغيرون، وهل سيخرجون للصيد، وممن سيحصلّون ضريبة «الخوة»، ويتخذون القرار بشأن الأمور الحياتية الحيوية اليومية، إذ يلتقي جميع رجال القبيلة أو العشيرة في خيمة المجلس، ويُدلي كل منهم برأيه. فلكل رجل، مهما كانت منزلته، الحق في إبداء رأيه في الشؤون العامة، إذ قد يتمّ الاتفاق على صفقة تجارية، فينهض أحد الرجال الحاضرين المجلس؛ ويقول: «لا أوافق على ذلك»، وهذا القول وحده يكفي لإلغاء الاتفاق. كما أن الشيخ لا يستطيع إعلان الحرب أو عقد الصلح من دون استشارة الرجال المهمين في القبيلة، ويُسمى هذا الاجتماع «مشورة»[2].

يُنظر إلى المقاهي في المجتمعات العربية التقليدية المحافظة كمجتمع الجزيرة العربية والخليج العربي باعتبارها مذمة اجتماعية، وعيبًا أخلاقيًا، لا يليق بالناس المحترمين اجتماعيًا الذهاب إليها، والجلوس بها، ولهذا فقد لعبت المجالس الدور الذي كانت تقوم به المقاهي في مصر وبلاد الشام والمغرب العربي. كملتقيات ومنتديات تجمع الأسر والجماعات والأصدقاء يتبادلون الخبرات الحياتية، والآراء الاجتماعية والسياسية. ولعلها تشبه ما اصطلح على تسميته في مصر بالصالونات، التي شهدتها سنوات الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، حيث كان الأدباء والمثقفون يجتمعون فيها، يتبادلون الأشعار والأفكار والقصص والأراء.

تصدق المقولة المتواترة «المجالس مدارس»، فهي تُربي الأجيال، وتُعلم الصبية

(1) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 344.

(2) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 171.

الصغار، خاصة إذا كنا بصدد الحديث عن مجتمع لم يكن يعرف الكليات أو الجامعات أو الصالونات والمنتديات الأدبية، أو المجامع العلمية، مثل المجتمع الخليجي في الماضي، إذ كانت المجالس في ذلك العهد، أشبه بالخانات التجارية والندوات الاجتماعية، يلتقي فيها الرجال يتشاورن، ويتبادلون وجهات النظر في أمورهم الخاصة والعامة، وفيها يعقد التجار والأغنياء صفقاتهم التجارية، ويُبرم الشيوخ والحكام الاتفاقات والمعاهدات، ويتخدون قرارات الحرب والسلم، ويلتقي الشعراء والنقاد، كي يُنشدوا أشعارهم، ويُناقشوا الأمور التي تتعلق بالأدب والشعر والفن، ويتعرفوا إلى إصدارات الكتب ودواوين الشعر. ويتبادل الآخرون الأحاديث والنوادر والحكايات. وعادة اتخاذ المجالس مكانًا لإنجاز الصفقات وغير ذلك من الشؤون التي ما تزال باقية إلى اليوم في المجتمع الخليجي أثرًا من الماضي.

يعتاد المجتمع البدوي، منذ القدم، على أن يجعل من شهر رمضان مناسبة لحسم الخلافات والمشاكل التي تنشب بين الأفراد والجماعات والعشائر والقبائل، ولهذا كان يجتمع دوريًا في شهر رمضان المبارك المشايخ والكبار، وبرفقتهم الصبية الصغار، وبمرور الوقت تحولت المجالس الرمضانية إلى برلمانات شعبية مفتوحة، تدور فيها الحوارات الهادئة والجادة في المسائل التي تهم الغالبية، كغلاء الأسعار، وغيرها من الظواهر الاقتصادية والاجتماعية، وتعدد الحوادث المرورية بسبب قيادة المراهقين، ومدى خطورة استخدام الأبناء لشبكات التواصل الاجتماعي بدون رقابة صارمة من الأسرة. وكلها أمور وقضايا اجتماعية متداخلة تتداولها المجالس الرمضانية. وقيمة هذه المجالس أنها تُسلِّط الضوء على القضايا التي تشغل بال أبناء الوطن، حيث يتمّ تناول موضوعات محلية وإقليمية أو دولية. وكانت المجالس، ولا تزال، المكان المفضل للخليجي ليقضي فيه ليالي شهر رمضان الممتعة، وهو يتبادل مع رفاقه الأحاديث والأخبار والألعاب، فكان المجلس، ولا يزال، هو مسرح الحياة الشعبية، ومكان اللعب واللغو، والتأمل والترويح والتفريج عن النفس، وتظل المجالس تُلبي الحاجة الاجتماعية.

القهوة

شراب البُن المحمص والمغلي، وتعني مغلي البن. وهي إما سوداء، أي بدون حليب، أو سادة، أي بدون سكر. والقهوجي، هو صاحب القهوة أو مالكها، أو من يغلي القهوة ويُقدمها للشاربين[1]. ويشرب البدوي من أنواع القهوة، «حبر أو حثل» إذا ما غُلي الماء فوق رواسب قهوة قديمة، أما عند تحضيرها بمسحوق قهوة طري، تُسمى «بكر»[2]. وإلى جانب القهوة المرة السوداء، يشرب القهوة البيضاء، «ماء حار مُحلى كثيرًا ومُنكّه باللوز»[3]. أما القهوة السوداء فيتمّ تحضيرها بالهيل، وهي ذات مذاق مُر ومُنعش، تُعطى ساخنة، ويُفضل أن تُحتسى بصوت مرتفع[4]. إلا أن طريقة إعدادها تستغرق وقتًا طويلا، كما سنوضح لاحقًا، وطعمها يختلف عن القهوة المُعدة على الطريقة المعروفة، وتختص بها قبيلة شمر[5]. والقهوة الحلوة هي ماء ساخن مُذاب فيه سكر، ويُوضع به قليل من الشاي وعصير الليمون وبعض البهارات الأخرى[6]. يؤثر بنو صخر القهوة السوداء، وهي القهوة الحقيقية المُرة الطعم، ويشربون «القهوة البيضاء» التي عبارة عن محلولا مغليًا من القرفة والقرنفل والسكر[7].

أكثر رحالة أفرد صفحات عن القهوة هو دي لاروك، فأثبت أولا مسألة الأصل الاشتقاقي للكلمة، ويُخبرنا أنها تأتي من الكلمة نفسها «قهوة» لدى العرب الذين لا يوجد لديهم الصوت الساكن «*V*» كما هو الحال بالنسبة للأتراك، وهكذا من خلال تغيير حرف ولفظه بصورة مختلفة أصبحت «*Cafe*» من اللفظ التركي «*Cahveh*»، والتي تأتي من «قهوة» العربية الأصل. ويُشير إلى أن «قهوة» تعني في الأصل الخمر، ثم حولها العرب إلى لفظة عامة تُطلق على جميع أصناف الشراب، ويُطلق العرب على الثمرة والشجرة التي تحملها اسم «بن»[8].

(1) أنطوان نعمة (وآخرون): **مرجع سابق**، ص 1191.

(2) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 213، 214.

(3) ليدي بيل: **مرجع سابق**، ص 118.

(4) فيليب ليبنز: **مرجع سابق**، ص 30.

(5) هشال بن عبد العزيز الخريصي: **قبيلة شمر متابعة وتحليل**، (بيروت: دار الساقي، 1998)، ص 32.

(6) عوض البادي: **مرجع سابق**، ص 253.

(7) كارلو كلاوديو جوارماني: **نجد الشمالي**، ص 35.

(8) دي لاروك: **رحلة إلى العربية السعيدة عبر المحيط الشرقي ومضايق البحر الأحمر**، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1999)، ص 181، 182.

ومن عرضه التاريخي نذكر فقط مجموعة من النقاط العامة، وهي أن المؤرخون يُرجعون اكتشاف القهوة الأول للماعز والجمال، ثم عُرفت لأول مرة في عدن على يد الدراويش الذين كانوا يستعدون لقيام الليل، ومنها إلى مكة المكرمة قرابة نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، ثم إلى مدن أخرى عديدة في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة المدينة المنورة، والتي خرجت منها لأول مرة إلى خارج شبه الجزيرة العربية، واستقرت في القاهرة بمصر، بداية القرن العاشر للهجرة السادس عشر الميلادي تقريبًا[1]. إلا أنها جُوبهت بمعارضة القضاة وعلماء الشريعة والعديد من المتدينين والشخصيات البارزة، وأجمع الفقهاء والعلماء على أن المُمارسات التي تُجري في المقاهي مُناقضة لنقاء الإسلام، فهي تدفع الناس إلى أمور يمنعها الدين، فإن الأسلم للمسلمين اعتبارها غير مشروعة، مؤكدين أن القهوة شوشت رؤوسهم، وأنها تُسكر كالخمر. وهكذا أدينت القهوة، باعتبارها محرمة شرعًا، إلا أن سلطان مصر، تعجب كيف يجرؤ حاكم مكة على إدانة شيء مقبول بهذا القدر في القاهرة عاصمة مملكته، بناء على ذلك أمره السلطان بنقض مرسومه[2].

استعادت القهوة مكانتها في مكة المكرمة، ولم تواجه أية معارضة أخرى حتى عام 1524، حيث أغلق القاضي جميع المقاهي بسبب الفوضى المتكررة الحدوث فيها، لكنه لم يمنع شربها في المنازل أو الأماكن الخاصة. ثم انتقلت القهوة من مصر إلى سورية، حيث لم تلق أي عائق، ومنها إلى القسطنطينية. إلا أنه في عام 1554 صدرت فتوى من شيخ الإسلام مُعلنًا أن القهوة حرام شرعًا. لذلك أغلقت جميع المقاهي، وتلقى رجال الأمن الأوامر بمنع شرب القهوة[3]. ومن القسطنطينية انتشرت القهوة في جميع أرجاء الدولة العثمانية، وكان الرحالة تيفينو أول من أحضرها إلى باريس لاستخدامه الشخصي في عودته من رحلته الأولى عام 1657، ثم جلبها الأرمن بعد ذلك، وليس مُستبعدًا أن يكون أهالي البندقية، بحكم تجارتهم وقربهم من تركيا أول من عرّف الأوروبيين بها[4].

يُوضح دي لاروك أن مُعظم الأطباء الذين لا يُكلفون أنفسهم عناء البحث في طبيعة القهوة، وخواصها يعتقدون أنها صحية لسببين: أن العرب سموها بلغتهم «بن» وهي كلمة في الفرنسية تُعني «جيد»، وأنها أتت من بلاد العرب السعيدة، كما لو أن هذه

---

(1) المرجع السابق، ص 186، 187.

(2) المرجع السابق، ص –188 190.

(3) المرجع السابق، ص 191–195.

(4) المرجع السابق، ص 201.

النبتة تعتمد على اسمها، أو اسم البلد الذي يُنتجها. ويستنتجون أن القهوة علاج ناجع للعديد من الأمراض[1].

وللقهوة عند البدو منزلة خاصة، ومكانة ممتازة في حياتهم، وللصوت الذي يُحدثه سحقها نغم شجيٍّ في أسماعهم[2]. والقوم يمنحونها أهمية فائقة فهي شراب سمرهم، ورمز كرمهم، وحول نارها الموقدة، تدور أحاديثهم المترعة، بأنباء البطولات، وبالأمثال والحكم، فهي وسيلة جمعهم، وعقد نظام تآلفهم واجتماعهم. ومن هنا كانوا يُقسمون بالقهوة، وبأوانيها: «دلال وفناجين»[3]. والقهوة «حياة البدوي، كالهواء الذي يتنفسه...، ومشروب مُنبه جدًا»، ويُوصي جوارماني «الضيوف الفطنين أن يتجنبوها ما أمكن»[4]. وهي المشروب الشعبي والرئيس للبدو، تُشرب مع السكر أو بدون سكر بعد غليها ثلاث غليات ثم صبها مع الرغوة في فناجين صغيرة[5]. وتُعتبر جزءًا لا يتجزأ من حياة العربي، ومشروب القهوة ذو رائحة قوية ومنعشة، وهو شراب مقو ومنشط[6]. وتتوقف القوافل عدّة مرات في اليوم لشرب القهوة[7]. وفي مراحل معينة تتوقف القافلة لأجل استراحة لشرب القهوة[8].

وكل شيخ مُلزم بضيافة المارين، بأن يُقدم لهم القهوة والتمر، ويخصص جزء من خيمته لضيافتهم، وأحيانًا تُخصص خيمة يطلق عليها «الديوان» أو القهوة[9]، ووجود هذه الخيمة يُعدّ شيئًا مُهمًا بالنسبة لكل شيخ، وهي إما أن تكون كبيرة أو صغيرة، في حالة حسنة أو سيئة، مفروشة أو خلاف ذلك، وتتحكم في ذلك ظروف المالك. ويحتل ركن الموقد في خيمة القهوة مكانًا متميزًا، فالقهوة والمكانة الرفيعة يتألفان في هذا المكان، حيث

---

(1) **المرجع السابق**، ص 205.

(2) مكي الجميل: **مرجع سابق**، ص 91.

(3) جواد أحمد العامل: **مرجع سابق**، ص 53.

(4) كارلو كلاوديو جوارماني: **نجد الشمالي**، ص 35.

(5) ماكس فون أوبنهايم: **من البحر المتوسط إلى الخليج**، ص 90.

(6) عوض البادي: **مرجع سابق**، ص 70.

(7) انيغريت نيبا وبيتر هربستريوت: **رحلة عبر الخليج العربي من البصرة إلى مسقط من خلال صور نادرة للرحالة الألماني هرمان بورخارت**، أحمد إيبش (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009)، ص 131؛

AnnegretNippa, Peter Herbstreuth: Along the Gulf from Basra to Muscat, Photographs by Herman Burchardt, (*London: Verlag Hans Schiler*, 2006), *P*. 123.

(8) **المرجع السابق**، ص 133؛ *Ibid., P*. 125.

(9) عوض البادي: **مرجع السابق**، ص 176، 177.

يجلس صاحب البيت شخصيًا، والضيوف الذين يسره إكرامهم وتشريفهم[1].

يجلس بشكل دائم، خلف موقد القهوة، رجل أسود يكون اسمه مصغرًا دليلا على الألفة أو العاطفة، وظيفته صنع القهوة وصبها للضيوف. وعندما لا يكون لدى الأسرة خادم يقوم بذلك العمل رب البيت أو أحد أبنائه، وعملية صُنع القهوة، كما سنرى لاحقًا، عمل شاق. والبدو ينظرون إلى صانع القهوة بعدم الاحترام[2]، رغم قناعتهم بأن ما يقوم به هو عمل مهم[3].

أمام قسم الرجال من الخيمة يوجد الموقد المُسمى «منارة» أو «رمادة» حيث تُغلى القهوة، ويشهد حجم كومة الرماد على كرم الضيافة لصاحب الخيمة[4]. والموقد عبارة عن شق مكشوف في الأرض على شكل مربع، مجوف من الداخل، وله فتحة في رأسه أشبه بالمدخنة، ومن الأسفل بها أنبوب أفقي يسمح بمرور الهواء ليُحرك الكير، الذي يزيد من اشتعال الحطب الموجود داخل الفرن المخروطي الشكل، وبهذه الكيفية يتحول الفحم إلى لهب أبيض، ويُوضع إناء القهوة على الفتحة ليغلي الماء بسرعة[5].

حول مواقد القهوة، تصطف أدوات القهوة النحاسية والبرونزية، ذوات الأشكال والأحجام المختلفة، وعدد هذه الأواني غالبًا ما يكون مُبالغًا فيه، يصل إلى اثنتي عشرة، بينما صنع القهوة لا يحتاج لأكثر من ثلاثة على الأكثر، وكل هذا إشارة إلى ثراء ومكانة أصحابها، ودليل تردد الضيوف عليهم، لكرمهم، وكثرة القهوة التي تُقدم في مجالسهم[6]. ويظهر أن أدوات القهوة هذه مُتممة لمظهر المُضيف ووقاره[7].

وهي مُؤلفة من «المحِماس»، وهو وعاء من الحديد، يوجد على مقبضها أطواق من النحاس تبدو وكأنها الذهب، على هيئة الملعقة لها ذيل طويل، تُستخدم في تحميص حبوب البن فوق النار[8]. يُشبه المقلاة ذات الذيل الطويل، تُوضع فوق الجمر، ثم تحُرك

(1) **المرجع السابق**، ص 63، 64.

(2) عبد عون الروضان: **موسوعة عشائر العراق، تاريخ، أنساب، رجالات، مآثر**، الجزء الثاني، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2003)، ص 297.

(3) أدولفو ريفادينيرا: **مرجع سابق**، ص 143.

(4) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 213.

(5) عوض البادي: **مرجع سابق**، ص 64.

(6) **المرجع السابق**، ص 65.

(7) كافن ماكسويل: **مرجع سابق**، ص 32.

(8) ألويز موزيل: **مرجع سابق**، ص 259؛ ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 31.

القهوة الموجودة فيها بواسطة «رفيش» له أيضًا ذيل طويل، ويُسمى «يد المحماس» ويبقى هذان الغرضان مربوطين إلى بعضهما بواسطة سلسلة بحيث يُعلق عند الرحيل على سرج الجمل[1]، وظيفتها تقليب حبات القهوة أثناء تحميصها. أما المُبرِّد فهو عبارة عن لوح خشبي لتبريد حبات القهوة المُحمصة عليه، وهو مرصع بالمسامير النحاسية. والمركب، منصب ثلاثي الأرجل، يقتصر استعماله على الموسرين. والمُخباط، عصا خشبية مسطحة لتحريك القوة الساخنة[2].

و«المهباج» أو «الهون» معه يد من خشب تُعرف بـ «السحانة»، فهو أداة مهمة في بيوت شعر البدو المخصصة للضيافة، وتوجد مهابيج كبيرة مزخرفة بنقوش، تُستخدم لطحن البن، تُصنع من الحجر. كما تُصنع من الخشب ويُسمى «المدق»، وهو كبير الحجم بقدر المقعد الصغير ومنحوت بطريقة فنية، ومزين بمسامير تُدق عند حواشيه أو مزخرف بالصدف[3]. ويصنع كذلك من الفخار، أما المهباج الذي يُصنع من الحديد فيُسمى «المهراس»[4]. ومن النحاس الأصفر يُسمى «نجر»[5] يُشترى من المدينة. ومهابيج الجوف مصنوعة من الحجر الرملي الأحمر، لذلك هي ثقيلة للغاية، يبلغ وزن الواحد منها ربع حمولة جمل، والرسوم التزينية التي عليها بسيطة لكنها أنيقة[6]. وعند السفر يكتفي البدوي بمهباج خشبي صغير[7].

أما أداة إعداد القهوة «الدلة»، فهي إبريق مصنوع من النحاس الأصفر. ويحتاج المرء إلى ثلاثة دلال بأحجام مختلفة لكي يُحضّر القهوة. في الدلة الكبيرة تُترك القهوة كي تغلي، وفي الوسط يُوضع مسحوق القهوة، ثم يُصب فوقه الماء الغالي، ويُغلى عدة مرات أخرى. وفي الصغيرة يُضاف مسحوق «الهيل» المطحون[8]. ويقوم المُضيف بترتيب هذه الدلال في صف واحد بعد أن يُشعل النار[9]. ويتمّ دق البن إثر تحميصه مباشرة وغليه في

---

(1) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 214.

(2) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 73، 74.

(3) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 127.

(4) ماكس فون أوبنهايم: **رحلة ماكس فون أوبنهايم**، ص 55.

(5) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 214.

(6) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 159؛ عوض البادي: **مرجع سابق**، ص 132.

(7) نيبا وهربستروييت: **مرجع سابق**، ص 133؛ *Annegret N., Peter H.: Op. Cit., P. 125*

(8) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 213.

(9) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 175.

الدلة المعدنية ذات الميزاب الطويل[1]. والحد الأدنى للمجموعة هو ثلاثة، وتوجد الليفة مع دلال القهوة دائمًا، وهي قطعة من الليف أو قشر القنب، توضع في ميزاب الدلة كمصفاة لمنع تسرب رواسب القهوة إلى الفناجين[2]. أما «القمقم»، فهو إبريق من النحاس الأحمر، أو الأصفر، دقيق الرقبة، وله مقبض «أذن»، وغطاء وزلومة «منقار»، وتوجد منه أحجام مختلفة لتسع عدة لترات من السائل في حين لا يسع أصغرها إلا بضعة فناجين. وعادة ما تُصف القماقم بانتظام حسب أحجامها إلى جانب الموقد[3]. في القصيم يُطلق على هذه الأباريق: الأول «خُمرة»، والثاني «مسفاة»، والثالث «لقمة» أو «مطباخة»، والرابع «مِزلّة» أو «مُخارة»[4]. وجميع هذه الأباريق من نوع واحد، ولكن أحجامها مختلفة، وجميعها ذات مقابض طويلة مع غطاء عال ومقبض مقوس، بعدها يصب القهواتي القهوة في أصغر إبريق، وتُصب منه بشكل خيط دافق من علو إلى فنجان صغير من الخزف[5].

تُسمى الخرقة التي يُمسك بها إبريق القهوة الساخن، وتُستعمل لتنظيف الفناجين «بيز»[6]. ومن مقتنيات البدوي الثمينة، شيت الفناجين، وهي علبة نحاسية أسطوانية تُوضع فيها فناجين القهوة، وتكون عادة مزخرفة بالرسوم أو الكتابات العربية[7]. و«الفناجين» وهي من الصيني واسعة الفم يشترونها من المدن ويستعملونها بلا صحون. و«الصنية» من نحاس يشترونها من المدن، أو من الخشب يصنعونها محليًا[8].

تُسند مهمة إعداد القهوة إلى خادم موثوق يتمتع بتقدير سيده، ويستطيع أن يُبيض وجهه، وقد يقوم ابن المُضيف بإعداد القهوة، وأحيانًا يقوم سيد البيت المتواضع بإعداد القهوة بنفسه، بحضور ضيوفه مع حشد كبير من الأقارب والجوار الذين أغراهم صوت الدعوة والترحيب المعهود، ألا وهو رنين عصا المهباج عندما يقوم المُضيف بسحق حبات القهوة المُحمصة تمهيدًا لإعداد الشراب الشهي. والبدوي الذي يسمع هذا الصوت يُسرع

---

(1) نيبا وهربستروويت: **مرجع سابق**، ص 133؛ .Annegret N., Peter H.: *Op. Cit.*, P. 125

(2) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 70.

(3) ماكس فون أوبنهايم: **رحلة ماكس فون أوبنهايم**، ص 55.

(4) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 213.

(5) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 19.

(6) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 213، 214.

(7) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 74.

(8) رفعت الجوهري: **مرجع سابق**، ص 30.

نحوه مهما كان بعيدًا، وهو على ثقة أنه سيلقى الترحيب[1]. والبدوي يجد متعة بالغة في مراقبة العمليات الطويلة المُملة في إعداد القهوة، بحيث يبدو أن شرب القهوة لا يُمثل أخيرًا سوى الجانب غير المهم من العملية[2].

يبدأ الإعداد للقهوة بالنفخ على «الكير» لتشب النار في الفحم، وعندما يزداد احمرار الفحم، يضع القهوجي عليها دلة القهوة الكبيرة مملوءة إلى ثلثيها، بجانب لهب النار، حتى يغلي بالتدريج مُتيحًا فرصة لتحضير اللوازم الأخرى. أحيانًا يتناول الدلة الوسطى ليصب منها في الدلة الكبرى ما يدعى «الشربات»، وهو ما تبقى من قهوة اليوم السابق، التي أضيف إليها بعض الماء وحفظت، ثم يستكمل ملؤها بالماء البارد، وتُوضع على النار حتى يغلي ما فيها، وبينما تُسخن الشربات، هناك عملية فرز مطولة لحب البُن، والوجهاء لا يستخدمون ثمرة البن، وإنما الغشاء المحيط بها، ويمزجون معها بعضًا من الغشاء الرقيق الذي يليها، والذي يُغلف الثمرة[3]. ثم يُلقى بها في «المحماس»، الذي يُوضع أحيانًا على منصب ثلاثي فوق النار[4]، ويحُركها على الجمر دون توقف، إلى أن تتصاعد منها رائحة ذكية، وبعد عملية التحميص، يدق مُعدّها مقدارًا مُعينًا من الحب المحمص في «المهباج» بإيقاع مُنغم باليد المُسماه «المهراس»[5]، وعند اصطدام يد المهباج في عنقه أثناء سحق القهوة تسمع صوت الموسيقى المحببة لدى البدوي، حيث يُظهر العبد مهارته في إطلاق دقات يد المهراس ذات الإيقاع الموسيقي المتعدد، وذلك حسب الدرجة التي يتمتع بها الزوار من الضيوف، مع أن البُن لا يُمكن دقه أبدًا إلى مسحوق ناعم، وهذه الدقات تُطلق على شرف كبار الزوار من الضيوف. يحدث هذا والضيوف صامتون وقد أسكرتهم الأصوات الحلوة الرنانة، وهم ينظرون بإعجاب إلى هذا العازف الماهر. ولعله يعني بالنقرات الموسيقية هذه قدر عنايته بإعداد القهوة للضيوف... ذلك أنه يضرب جوانب الهاون، أربع أو خمس مرات، بينما يضرب قعره ليطحن القهوة مرة واحدة! ويهرع كل من في المُخيم على صوت الموسيقى لينال حظه منها، و«إن سمع الناس هذا بادروا بالمجيء لاحتساء القهوة»[6].

---

(1) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 173، 174.

(2) يوليوس أويتنج: **مرجع سابق**، ص 43، 44.

(3) دي لاروك: **مرجع سابق**، ص 176.

(4) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 176.

(5) أدولفو ريفادينيرا: **مرجع سابق**، ص 143.

(6) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 266.

يلي ذلك عملية الغسل الاعتيادية المُطولة لتنظيف دلات القهوة، وهي خمس أو ست، وفي الأهوار العراقية، يبلغ عددها إثنى عشرة دلة، أكبرها بارتفاع قدمين[1]. وأخيرًا تأتي عملية الغلي الفعلي، فتوضع على النار في إبريقًا متوسط الحجم ممتلئًا بالماء، وهو ليس ماءً عاديًا، وإنما نقيع قهوة آخر، ويُجري غليها ثلاث مرات، ويُترك على هذه الحالة مدة عشر دقائق، ويُحركها بالمخباط بحركات سريعة، ثم يرفعها بين الحين والآخر كلما اقتربت محتوياتها من الفوران بسبب الرغوة، وذلك حتى تغلي بشكلٍ كافٍ، بعد ذلك يضعها فوق الرماد الساخن وينهض ليهمس إلى نسائه عبر الساتر الفاصل ليعطوه بعض حبات الهال. فتمتد يد صغيرة مكورة من فوقه وتُعطيه بعض من الحبات النفيسة التي يأخذها ويضعها في المهباج ليهرسها بلطف حتى تُصبح قابلة للبلع[2]. عندئذ تُرفع القهوة عن النار، وتأتي دور الدلة اللامعة، فيفتح غطاؤها وتصب القهوة فيها، ثم تُصب مرة أخرى في الدلة العتيقة السوداء، وتُكرر هذه العملية حتى تستقر القهوة في الدلة اللامعة لتُوضع بعدئذ في ميزابها قطعة من الليف تعمل عمل المصفاة، ثم تُقدم بعدها للحاضرين، ويمسح المُعدِّ الفناجين بخرقة بالية، فالماء أثمن من أن يُهدر، ويُصبّ السائل المُر الحار في فنجان يُقدم لكلٍ بدوره[3].

وفي أثناء ذلك تفوح رائحة البُن المطحون، فيُلقي به أحيانًا قليلا من الزعفران، والزعتر البري ليمنح القهوة رائحة عطرة، ويجعلها أكثر نفعًا في الهضم، ولكن القهوجي لا يُضيف السكر إلى القهوة إطلاقًا، لأن فعل ذلك في عرفهم تدنيس للقهوة[4]. في حين تُستعمل التوابل بكثرة خاصة حب القرنفل، أو قليل من حبات بذرة مرة ولاذعة يسمونها الهيل[5]، أو قليل من الزعفران، وذلك لجعل مذاقها أكثر قبولا. هذه البُهارات مهمة جدًا ولا غنى عنها، ثم أخيرًا يقوم بتصفية القهوة بصبها خلال ألياف دقيقة في فم الإناء، وتعمل كمصفاة. وتُجهز الصينية وفناجين القهوة[6].

ويشرب البدو القهوة عدة مرات في اليوم، وتُعتبر هي ملذاتهم الخاصة[7]. وعندما سألهم دي لاروك عمّا تُقدمه لهم من فائدة؟ كان الجواب، «إنها مقوية ومنعشة، وأفادتهم

(1) ويلفريد فيسجير: **مرجع سابق**، ص 30.

(2) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 176.

(3) بول هنري –بوردو: **مرجع سابق**، ص 145.

(4) أدولفو ريفادينيرا: **مرجع سابق**، ص 144.

(5) في نجد يُستعمل الهيل بكثرة، ويُسمى عند المصريين «حب هان». أحمد عبد الرحيم نصر، **مرجع سابق**، ص 127.

(6) عوض البادي: **مرجع سابق**، ص 68.

(7) تايلر: «رحلة تايلر إلى العراق»، ص 111، 112.

على أكثر من وجه إلى جانب كونها ترفيهًا بهيجًا»، ولا أدري إن كان لنا أن نُضيف ملاحظة أبداها رحالتنا ذات صلة باستخدام العرب المتكرر للقهوة، وهي أنهم «غالبا نحيلون، وغير مترهلين»[1].

وتبدأ عملية شرب القهوة بعد أن يركد السائل، فيتناول القهوجي فناجين صغيرة بدون مقبض في شكل نصف قشرة بيضة، ويمسح عنه آثار القهوة «بخرقة متسخة»، ويُمسك المُضيف الفناجين بيده اليُمنى، بينما يُمسك باليُسرى دلة القهوة الصغيرة «المصب»، ويصب القهوة فتنزل خيطًا رفيعًا من ارتفاع لا بأس به. ولا يصب في الفنجان قهوة كثيرة، فالفنجان أكبر قليلا من تجويف البيضة[2]، ولا يتجاوز ما يصبه نصف محتواه[3]؛ فملئه للضيف، يُعدّ إهانة، ويعني «اشرب هذا وارحل»[4]. ويُعلق فيلبي على ذلك بقوله: «ملء كوب الخصم إشارة لكرهك له، ورغبتك في سرعة انصرافه»[5]. وتُعاد الأقداح بعد الانتهاء من شرب ما فيها لتملأ من جديد، وهكذا مرات عديدة، وفي هذا يتجلى أحد معاني التقاليد العربية في الضيافة، ذلك أن تقديم قدح كبير مُفعم قد لا يكون لائقًا، وقد يكون في هذا ما معناه إليك هذا، أيها الضيف، اشربه وارحل[6]. بينما يذكر أدولفوا ريفادينيرا أن تقديم القهوة مرة أخرى يعني عدم الرغبة في البقاء[7].

ويذكر دي مورس أن أول من تُقدم له القهوة هو رئيس الخيمة، وذلك حتى يُبرهن للجميع أنها لا تحتوي على السم[8]. بينما يذكر أوبنهايم أن القهوجي يصب لنفسه أول فنجان ويشربه دلالة على أن القهوة غير مسمومة، أو ليعرف مذاقها ويتأكد من جودتها، ويتذوق القهوة عدة مرات في الفنجان، ويصب ما يتبقى في الإبريق[9]، ثم يسكب في

(1) دي لاروك: **مرجع سابق**، ص 177.

(2) ويلفريد فيسجير: **مرجع سابق**، ص 31.

(3) هذه التقاليد تختلف في مصر وسورية، فالفنجان المُمتلئ ربما يكون ساخنًا بشكل يؤذي أصابع من يحمله بدون وسيلة تحميه من السخونة. والمثل البدوي يقول «املأ فنجان عدوك إلى آخره»، وهذا المثل شائع أيضًا في شبه الجزيرة العربية. عوض البادي: **مرجع سابق**، ص 69، 70.

(4) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 127.

(5) راشد شاز: **الطريق إلى الجزيرة العربية**، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007)، ص 266.

(6) توركيل هانسن: **مرجع سابق**، ص 284، 285.

(7) أدولفو ريفادينيرا: **مرجع سابق**، ص 149.

(8) لويس. اثبيتيا دي مورس: **مرجع سابق**، ص 161، 162.

(9) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 32.

الفنجان نفسه، ويُقدمها للضيوف من الكبير إلى الصغير[1]، فيبدأ بأن يصب كميات ضئيلة للضيف ذي الشأن، فالفنجان الأول يكون للضيف، ثم بقية الضيوف، وفق ترتيب مُحدد بدقة، يأخذ بعين الاعتبار مقام ومكانة كل واحد منهم[2]، وتُراعى الأولوية عند تقديم القهوة إلى الحاضرين حسب المقام، أما رب البيت فهو آخر من يستلّم فنجانه. وعند إعادة الكرة مرة أخرى، تكون في ترتيب معكوس، فالمُضيف يشرب أولا وضيوفه من بعده[3]. ثم يُعيد الكرة حتى يُبدي الجميع إشارات تدل على اكتفائهم من القهوة[4]. يسكب لكلٍ منهم كمية ضئيلة تكفي لتغطية قاع الفنجان، يرشفها الضيف برشفتين أو ثلاث، وعند إعادة الفنجان الفارغ إلى العبد، يُعيد الصب مرة ثانية، وثالثة[5]، إذ يُتيح المُضيف الفرصة للضيف أن يشرب ما يشاء من القهوة، إلا أن حسن السلوك يفرض على الضيف عدم تناول أكثر من ثلاثة فناجين في الجولة الواحدة، ويصبون القهوة مع رواسبها، وإذا تجمع كثير من رواسب القهوة في قعر الفنجان يقوم من يصب القهوة بتنظيفها بسبابته، أو يمسحها بإسفنجة سوداء قذرة[6]. وإذا أراد البدوي إكرام ضيفه بصفة متميزة فإنه يُقدم إليه القهوة ثلاث مرات أو أكثر، ولا يجوز له الرفض إلا بعد المرة الثالثة، إذا كان حريصًا على عدم إهانة المُضيف[7]. ومن يرفض تناول القهوة يرتكب في هذه الحالة «إهانة بالغة، يُمكن أن تجر عليه نتائج وخيمة»[8]. وتذكر آن بلنت أن رفض فنجان القهوة يُعد إهانة كبرى، لا تغتفر، وقد يعتبر إيذانًا بالحرب[9].

ويُمسك العربي دائمًا فنجانه الصغير بين إصبعي السبابة والإبهام لليد اليُمنى أثناء شرب القهوة، وعندما يُريد الإشارة إلى أنه اكتفى، فإنه يهز الفنجان بحركة دوران معصم يده هزات سريعة قصيرة يبلغ عددها ستًا. عندها يأخذ المُضيف الفنجان منه ليسكب فيه للضيف التالي الذي ينتظر دوره. بعد اكتفاء الجميع، يُعاد إناء القهوة إلى حافة الموقد بين

(1) مكي الجميل: **مرجع سابق**، ص 91.

(2) ماكس أوبنهايم: البدو، الجزء الأول، ص 89.

(3) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 85.

(4) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 177.

(5) ألويز موزيل: **مرجع سابق**، ص 62.

(6) ميهاي فضل الله الحداد: **مرجع سابق**، ص 36.

(7) ماكس فون أوبنهايم: **رحلة ماكس فون أوبنهايم**، ص 56.

(8) أدولفو ريفادينيرا: **مرجع سابق**، ص 144.

(9) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 317.

الرماد ليبقى دافئًا[1]. ويقول ويلفريد ثيسجر «بما أنني لا أعرف عادات العرب جيدًا، تناولت ثلاث مرات قبل أن أهز الفنجان هزة خفيفة لأبين له بأنني اكتفيت»[2]. ويُشير لوثر شتاين إلى أن القهوة كانت حقًا منعشة، وكان على الزائر أن يشرب ثلاثة فناجين في الدفعة الأولى، يُملأ الفنجان كل مرة حتى ربعه، ثم يُقدم القهواتي القهوة إلى الشخص الذي يلي، وهكذا يدور دورته في الخيمة حتى يشرب الجميع[3]. ونادرًا ما يزيد عدد الفناجين على الستة، وأقصاه عشرة، أو اثنا عشر فنجانًا، وإن بلغ عدد الضيوف المائة لا تُغسل الفناجين أبدًا أثناء تناول القهوة، ويتناول الضيوف فناجين القهوة من يد المُكلف بإحضارها الذي يصبها ويُقدمها بنفسه[4].

ويذكر دي لاروك أن البدو يشربون القهوة حال رفعها عن النار دون تركها تستقر أو تركد، ودائمًا دون سكر، وفي فناجين صغيرة جدًا. وهناك البعض منهم يلفون دلة القهوة بقماش مُبلل حين إبعادها عن النار، مما يجعل البن المسحوق يستقر في القاع، ويجعل القهوة أكثر صفاءً. وبالمثل تتجمع طبقة دُهنية على السطح، وحين تُسكب في الفناجين وتُنتج نوعًا من البخار يستمتعون باستنشاقه بسبب الخواص الطبية التي ينسبونها إليه[5]. ويُشير ديكسون إلى أن القهوة تُقدم قبل وبعد الطعام، وقهوة البدو فقيرة، إذ يغلب عليها الماء[6]. وتذكر الليدي درور أن البدو يجلسون صامتين عند تجهيز القهوة يضربون الأرض بعصيهم أو يخطون بها خطوطًا على الرمال. وعندما يرشفونها ويكونون قد سمعوا أخبار ينهضون الواحد تلو الآخر، ويذهبون لخيامهم[7]. وشرب القهوة له أصول رسمية، ولا يجب أن يتمّ على عجل[8]، وعندما يحتسي المرء القهوة في حسوة عاجلة ورشفة خاطفة يُسلّم الفنجان إلى جاره[9].

وتُشير جيرتروود بيل إلى أن المرأة البدوية تشرب القهوة، وأنها قُدمت لها أثناء

(1) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 174.

(2) ويلفريد فيسجير: **مرجع سابق**، ص 31.

(3) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 19.

(4) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 33.

(5) دي لاروك: **مرجع سابق**، ص 176.

(6) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 171.

(7) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 126.

(8) جمال محمود حجر: **الرحالة الغربيون**، ص 202.

(9) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 273.

زيارتها لبعض السيدات العربيات، وشربوا جميعًا من فنجان واحد، ثم تُعقب بأنها «كانت جيدة حقًا»[1]. أما لوثر شتاين فيقول إن عادة شرب القهوة المُرة مقتصرة على رجال قبيلة شمر الجربا وحدهم، أما نساؤهم فيشربن الشاي المُحلى[2].

القهوة رمز الضيافة عند البدو[3]. وكرم البدوي يُقاس بمقدار القهوة التي يُقدمها لضيوفه، وأدق عبارة تُقال عن الرجل الكريم «إن إناء القهوة عنده يظل دائمًا على النار»، إن شرب القهوة عند العرب هو الترف الوحيد[4]. والقهوة رمز الضيافة، التي اعتادوا على تقديمها لضيوفهم بكرم وسخاء[5]. فالقهوة رمز الترحيب البدوي[6]. ومن مظاهر الكرم اليومي عند البدو[7]. وتجري القهوة مجرى السيل إذا جاء ضيف جديد يستحق اكرامًا متميزًا[8]. ويكذب ظن أدولفو ريفادينيرا أن الشيوخ تزوره عند الشيخ فارس، شيخ قبيلة طيء، بُغية الحصول على هدية مقابل القهوة التي تناولها في خيمته[9]. وتمُنع قهوة الضيافة عمن يتقلد سيفه مُغيرًا طالبًا ثأره، ينفث غضبه، ولا يردون عليه التحية حين يُسلّم[10].

وعند المعدان بدو الأهوار لإعداد وشرب القهوة قواعد خاصة، إذ تُصنع القهوة بتحميص حبوبها على النار، ثم تُطحن بالهاون، وتُجرى هاتان العمليتان في حضور الضيف، ولا يُمكن لأحد أن يجرأ على تقديم قهوة سبق له أن أعدها قبل مجئ الضيف، وتُصب القهوة عند الموقد من وعاء إلى آخر أمام الضيف، ثم يقترب أحد الخدم منه حاملا الدلة في يد والفنجان في اليد الأخرى، وتُصب في الفنجان كمية قليلة في حجم ملعقة الشاي، يشربها الضيف دفعة واحدة، إذا استطاع لأنها تكون ساخنة جدًا، فإذا لم يرغب في المزيد، عليه أن يهز الفنجان بسرعة حالما يُعيده إلى الخادم، ومن غير اللائق أن يشرب المرء أقل من ثلاثة فناجين قبل أن يُعطي هذه الإشارة[11].

---

(1) ليدي بيل: **مرجع سابق**، ص 61.

(2) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 19، 20.

(3) ويلفريد فيسجير: **مرجع سابق**، ص 238.

(4) عوض البادي: **مرجع سابق**، ص 295.

(5) الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات**، ص 129؛ *Lady Anne Blunt: Op. Cit., P. 112.*

(6) لويس اثبيتيا دي مورس: **مرجع سابق**، ص 157.

(7) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 136، 137.

(8) ماكس فون أوبنهايم: **رحلة ماكس فون أوبنهايم**، ص 51؛ **رحلة إلى ديار شمر**، ص 25، 26.

(9) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 24.

(10) جواد أحمد العامل: **مرجع سابق**، ص 38.

(11) كافن ماكسويل: **مرجع سابق**، ص 36.

قواعد وأسس الزواج

تتكون الأسرة العشائرية في الأساس من الزوج والزوجة، تجمع بينهم أولا رابطة الحب، ثم الزواج، الذي يُثمر الحمل وما يترتب عليه من الأمومة، وإنجاب الأطفال والعناية بهم، والختان، وتنحل رابطة الأسرة العشائرية إما بالطلاق، أو بالموت. والزواج عند المرأة البدوية وسيلة لغاية هي إنجاب الأطفال[1]. والمرأة شأنها شأن زوجها، ترغب في أن ترى في بيتها فتيانًا أقوياء، وأن تسمع الناس ينادونها بـ «أم فلان» هو بالنسبة لها شرف تتلهف إلى تحقيقه، ويشتد احترام الرجل البدوي للمرأة بصفة متميزة عندما تنجب ولدًا، ولهذا الأمر الأخير، في نظرها، نفس الأهمية التي للأول[2]. وينظر الرجل البدوي للزواج باعتباره واجبًا، حتى إن أكثرهم زُهدًا لا يعتبر العزوبية فضيلة، والعقم يُعد من بواعث المهانة والإزدراء[3]. يقول ديكسون عن دوافع الزواج عند البدوي: «إنه بحاجة لمن تُنجب له الأولاد، فهو بدونهم نصف رجل»، ومن الواجب على البدوي أن يتزوج وينجب، فكلما كثر عدد أولاده، كلما ازدادت قوته، وهو يسيء إلى قبيلته إذا رفض القيام بواجب كهذا[4]. وتُضيف آن بلنت دافعًا آخر هو «الدعم السياسي»، معتبرة إياه «مشروع...، حيث ستُصبح عائلتها حليفته في الحرب»[5].

ترغب الفتاة بشاب متعقل، قوي العزيمة، لا يتوانى عن الأخذ بالثأر، كريم، غني، ذي شباب ونسب وعصبية، ولو شاع عن شاب أنه جبان، لن تقبل بالزواج به[6]. أما الشاب فإنه يطلب الفتاة لعفتها، ولكرم أهلها ونسبهم، ولكونها تُلم بأعمال الخدمة المنزلية. هذه الصفات الفردية تُجسد مصلحة العشيرة العُليا وتُعبر عنها، ولا تخرج عن سياستها، ومعظمها ليس له علاقة بذاتية الفرد بالمعنى الحصري، وهذا الواقع يؤكد أن

---

(1) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 154.

(2) جوسان وسافينياك: «أعراف قبيلة الفقراء (2)»، محمود سلام زناتي (ترجمة)، **مجلة العرب**، الجزء 11، 12، السنة 27 (نوفمبر -ديسمبر 1992)، ص 755.

(3) عمار السنجري: **مرجع سابق**، ص 15.

(4) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 125، 132.

(5) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 260، 261؛ علي عفيفي علي غازي: «رؤية آن بلنت للمرأة النجدية»، مجلة فكر الثقافية، العدد 7 (مايو- يوليو 2014)، ص

(6) ميهاي فضل الله الحداد: **مرجع سابق**، ص 26.

كيان القبيلة هو الكيان الوحيد الذي يعيه البدوي فلا يستطيع تجاوز إطاره حتى حين ينظر إلى نفسه[1]، فلا قيمة للفرد خارج إطار القبيلة.

تتزوج الفتاة البكر ما بين اثنتي عشر وعشرين سنة، والشاب ما بين أربع عشرة وخمس وعشرين سنة[2]، وتُسمى المرأة المتزوجة الشابة التي لم تنجب «بنت متجوزة»[3]. والزواج عن حب وحرية اختيار من جانب الفتاة شائع بين البدو[4]، وتأخر الشاب أو الفتاة في الزواج مما يؤخذ عليهما، فعدم الزواج لدى العشائري «علامة انحطاط كبيرة»[5]. والعائلات الجيدة لا تؤخر زواج أبنائها إلى ما بعد سن السادسة عشرة[6].

يحق لأي رجل في القبيلة أن يحجز أي فتاة لنفسه بعد أيام من ولادتها، ومنذ ذلك التاريخ تُصبح له، ولا يتزوجها أحد إلا بموافقته[7]. وابن عم البنت أحق من غيره بالزواج منها وله الأسبقية في طلب يدها[8]، حتى ولو لم يُعلن عن رغبته بها، وعليها أن تحصل على موافقته، إذا أرادت الزواج من غيره، أما إذا تنازل فلها أن تتزوج بمن تشاء. فحسب تقاليد البادية تبقى الفتاة تحت تصرفه، وعليها أن تنتظر سنوات حتى يختارها للزواج أو يعتقها[9]. وليس بإمكان أحد، بما في ذلك أبوه أو أبو الفتاة، أن يمنعه من ممارسة حقه هذا، فالفتاة البدوية تتعلم منذ نعومة أظفارها أن زوج المستقبل سيكون ابن عمها، إلا إذا تخلى عنها طوعًا وسمح لرجل آخر بالزواج منها وهذا ما يندر حدوثه[10]. وقد يحدث النزاع بين أبناء العم أيهم أولى بالزواج[11]، ولابن العم الحق في إقامة دعوى قضائية ضد من تزوجها دون موافقته على الزواج، وفي هذه الحالة يقضي العُرف البدوي ببطلان الزواج، أو أن

---

(1) زهير حطب: **تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة**، (بيروت: معهد الإنماء العربي، 1983)، ص 43.

(2) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 158.

(3) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 253.

(4) ويليام ب. سيبروك: **مغامرات في بلاد العرب**، عارف حديفة ونبيل حاتم (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للنشر والتوزيع، 2006)، ص 83.

(5) هنري بنديه: **رحلة إلى كردستان في بلاد ما بين النهرين سنة 1885**، يوسف حبي (ترجمة)، (أربيل: دار ئاراس للطباعة والنشر، 2001)، ص 68.

(6) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 258.

(7) عوض البادي: **مرجع سابق**، ص 395.

(8) ويلفريدفيسجير: **رحلة إلى عرب أهوار العراق**، خالد حسن الياس (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 253، 254.

(9) الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات**، ص 346؛ *Lady Anne Blunt: Op. Cit., P. 308.*

(10) ألويز موزيل: **في الصحراء العربية**، ص 145.

(11) حافظ وهبة: **جزيرة العرب في القرن العشرين**، (القاهرة: دار الآفاق العربية، 1956)، ص 113.

يدفع الزوج لابن العم مهر الفتاة[1]. وإذا طال العهد على الفتاة ولم تتزوج، جمع أبوها أبناء عمها الأقربين والأبعدين وأخطرهم إن كان لأي منهم رغبة بها، وإلا فهي حرة في أن تتزوج من تشاء. وفيما عدا حق ابن العم، فإن الفتاة البدوية حرة في أن تُحب وتتزوج من تشاء، ومن هنا فإن أكثر الزيجات عند البدو؛ هي زيجات حب حتى بين أبناء وبنات العم يتفاهم فيها الشاب والفتاة على الزواج[2]. ويرى ديكسون في التزام الفتاة بالزواج من ابن عمها، «عادة مُفيدة»، إذ إنها بذلك تضمن لنفسها زوجًا على الأقل حينما تبلغ سن الزواج[3]. كما أنه يُحقق التماسك الداخلي للقبيلة، والتضامن والتآزر بين أفرادها، وتأمين أسباب استمرار المعيشة. ونُشدانًا مُبكرًا لتعزيز روابط العصبية التي تُمكِّنها المصاهرة، ويوفق بين بقاء الأرث في عشيرة الأب والأم على السواء، ويجعل الانتساب إلى الأم أو الأب مُمكنًا، ويُحافظ على العائلة نقية[4].

تقضي العادة بأن تزوج الكبرى لدى البدو أولا[5]. كما أن زواج الأقارب هو المفضل[6]، ويقف الأصل والمحتد أحيانًا عائقًا أمام إتمام الزواج بالرغم من وجود الحب، فلا يستطيع البدوي نقي الدم أن يتزوج من بنات القبائل الأدنى منزلة، أو القبائل غير نقية الدم، أو ذات الدم غير النبيل، ويفضل رؤساء القبائل البدوية القوية الزواج من بنات أسر عريقة ينتمين إلى قبائل قليلة الشأن من حيث قوتها وعددها، لكنها تنحدر من أنساب نبيلة[7]، والمُخالف سيقتله أقاربه بحجة أنه سيُفسد نقاء دم القبيلة[8]، وعندما ترى النساء امرأة غريبة تأتي إلى الخيمة يشعرن بالإهانة، ويقُلن: «ألم يجد زوجه حلوه كفاية بيننا». وفي بعض الأحيان لا يستقبلن القادمة الجديدة استقبالا حسنًا. ونفس هذا الشعور الذي ينطوي على تعلق بالعشيرة يصرفهن عن التفكير في البحث عن زوج خارج العشيرة. ويُشير جوسان وسافيناك إلى أن السبب يرجع، كما ذكره لهما أحد أبناء عشيرة الفقراء، «لكي لا نقدم لهم الوسيلة التي تُمكنهم من أن يصيروا أكثر منا عددًا، وأعظم قوة، ونحن

---

(1) الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات**، ص 360، 361؛ *Lady Anne B.: Op. Cit., P. 322-323.*

(2) عدنان العطار: **مرجع سابق**، ص 29، 25.

(3) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 103، 104.

(4) زهير حطب: **مرجع سابق**، ص 18، 40، 41، 56.

(5) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 173.

(6) كارلو كلاوديو جوارماني: **نجد الشمالي، رحلة من القدس إلى عُنيزة في القصيم**، أحمد إيبش (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009)، ص 89.

(7) ماكس فرايهير فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الأول**، ص 82.

(8) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 99؛ ماكس فرايهير فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الثالث**، ص 626.

نتركهن في القبيلة لكي يلدن أولادًا يدافعون عنا»[1].

يُمكننا الاستنتاج مما سبق أن الزواج ليس شأنًا فرديًا خاصًا، يبحث فيه الفرد عن مصلحته. إنما هو وسيلة لتحقيق سياسة العشيرة ومطامحها، وعلى ضوء هذا الأمر يُفهم حرص العشيرة على أن يكون الزواج مؤسسًا على التقدير الشديد للنسب، مؤيدًا بعصبية قوية، ومتى وجدت العصبية وجدت القوة، وحين تتحقق القوة تؤدي إلى الغلبة والانتصار والتفوق على العشائر الأخرى[2]. والزواج في الإسلام عقد مدني، وليس سًرا مقدسًا، فبعد توقيع العقد أمام الشهود في خيمة والد العروس، تركب حصان العريس أو ناقته، مرتدية ثوبًا أحمر ومزينة بالأساور والخلاخل، مع قطع ذهبية مضفورة في شعرها، إذا كانت غنية، ويركب هو معها، ويجوسان الخيام حتى يمرا على الجميع، وبذلك يتمّ إخطار القبيلة كلها بالزواج[3].

(1) جوسان وسافينياك: «أعراف قبيلة الفقراء (2)»، ص 763.

(2) زهير حطب: **مرجع سابق**، ص 43.

(3) ويليام ب. سيبروك: **مرجع سابق**، ص 82.

طقوس وعادات الأعراس

تبدأ طقوس وعادات الأعراس عند البدو بالخطبة، بأن تقوم إحدى قريبات العريس بزيارة أم العروس، كي ترى الفتاة، وتعرف أخلاقها وشخصيتها، وإذا ما وافقت النتيجة الآمال المرجوة، فإنها تُدير الحديث في الاتجاه المرغوب حتى يُمكنها أن تنقل إلى العريس الأمل في نجاح خطبة رسمية، ويقضي العرف بألا تكون الفتاة الغرض من الزيارة، موجودة في مكان الاستقبال، وأن تُبدي الزائرة رغبة في رؤيتها، وتُدرك من الطريقة التي يُقابل بها الطلب ما إذا كان عليها أن تستمر في الموضوع أم لا. وفي نهاية الزيارة تقول للفتاة: «سنُصبح أقارب، إن شاء الله»، وترد السيدات الأكبر سنًا بإجابات تدل على الموافقة، بينما الفتاة تتظاهر بالخجل والطاعة. وبعد ذلك ترفع المرأة الرسول تقريرها إلى أسرة الشاب ليُصبح اتفاق المرأة «حديث رجال»[1].

تُحقق العشيرة الزيجات وتوافق على إتمامها عن طريق مجلس الشيوخ، وحين يذهب وفد آل الخاطب للخطبة، يتولى أحد أعيان القبيلة، ويكون رأس الوفد، وليس والد الخاطب، الطلب نيابة عن القبيلة ككل وباسم الشاب، ويعرض والد الفتاة، الذي يكون على علم سابق بنية عشيرة الخاطب، بسبب مشاركته أو مشاركة شيخ عشيرته في مناقشة الموضوع في مجلس أعيان القبيلة، على ابنته أمر الخطبة وينال موافقتها على قرار القبيلة، أما اللواتي تمنعن أو رفضن هذا القرار فقليلات، ويظهر بجلاء أن الزواج شأن قبلي، رغم أنه يتستر بموافقة جميع الأطراف حتى ليبدو وكأنه شأن شخصي، وقد يحدث ألا يكون الخاطب قد رأى الخطيبة بسبب منع الاختلاط، فيستعين عند ذلك بالأقرباء أو الجارات يخبرنه عما يريد أن يعرفه عنها، ثم يجري الاتفاق على المهر وتحديد يوم كتابة عقد الزواج[2]. وفي نظر البدو، يُعدّ مد يد العون لاختيار الزوجة عملا أخويًا يكرم كل من يقوم به[3]. «وقد تشترط الفتاة المخطوبة على خطيبها أن يأتي بمأثرة أو مفخرة، وقد اختصت بنات الشيوخ وحدهن بحق انتخاب الخطيب، وحق فرض الشروط عليه، ولذا ترى خطابهن

---

(1) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 254.

(2) زهير حطب: **مرجع سابق**، ص 45.

(3) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 35.

يقابلنهم أحيانًا بعمل من أعمال الفروسية الخالدة»[1]. وتقوم الفتاة البدوية بغزل الصوف لتحيك للشاب المرشح للزواج بها قميص ذا كم طويل من الصوف وسروال طويل يقيه البرد والمرض أثناء رعي الأغنام، وهذا إشارة من الفتاة بموافقتها على خطبتها[2].

تُجرى الخطبة في هدوء وتكتم، ولا يُسمح للخطيبين أن يتبادلا أكثر من بعض النظرات، وبعض الكلمات أثناء الطريق أو حول بئر، وانتخاب الفتاة المخطوبة تابع إلى حد ما إلى تقاليد وقيود، فالشيوخ أو أبناء الشيوخ لا يستطيعون أن يتزوجوا إلا بفتيات من طبقتهم وأمثالهم، وقد تتداخل الدواعي السياسية في هذا الانتخاب والزواج، لأن البدو يُحتّمون وجوب التماثل في الثروة والطبقة، ومن ثم كان الزواج محصورًا في الغالب بين أبناء الفخذ الواحد أو أبناء فخذين من العشيرة الواحدة، وإذا كانت العشيرة المطلوب مُصاهرتها بعيدة وجب أن تكون صديقة، وهكذا يستمر نمو العرق مُحتفظًا بالخصال الأصلية. وإذا تمّ التراضي يُدفع المهر إلى أبي المخطوبة أو أوليائها، أما هي فلا ينالها منه شيء، ولكن إذا كانت من عشيرة أخرى يعطونها نصف المهر، وفي مقابل المهر تحمل إلى بيت بعلها جهازًا متواضعًا مؤلفًا من سجادة وفرشة ووسادة وصندوق ثياب وأدوات زينة، ويندر أن يدفع البدو المهر نقدًا، بل يدفعونه من الإبل والغنم، ولا يمكن الشذوذ عن هذه القاعدة إلا حين التبادل، أي حينما يأخذ أحدهم أخت الثاني ويزوجه هو أخته، فيكونا قد تبادلا دون دفع مهر[3].

لا توجد مراسم خاصة بالزواج، ولا يوجد إعلان له، ولا تسجيل في سجلات رسمية. فالأهل يتفقون على مقدار مبلغ المهر الذي يقدمه الشاب[4]. ثم تأتي في البدء المراسم الدينية، وتتم في حضور «مطوع»، ويأتي الفتى مصحوبًا بأقاربه، ولا تظهر العروس بشخصها، فقواعد اللياقة لا تسمح بذلك، ولكنها تُكلف شخصًا بتمثيلها، وأداء الشعائر التقليدية نيابة عنها، ومراسم الزواج بسيطة: يسأل الشيخ الراغب في الزواج فيما إذا كان يقبل بالفتاة زوجة له، فيجيب العريس بنعم بحضور الشهود، ثم يسأل وكيل الفتاة، أبوها أو شقيقها فيما إذا كانت الفتاة تقبل الرجل زوجًا لها[5]. ويذهب الشاهد وأبي الفتاة إليها،

(1) عمار السنجري: **مرجع سابق**، ص 20.
(2) عدنان العطار: **مرجع سابق**، ص 17.
(3) عمار السنجري: **مرجع سابق**، ص 21.
(4) ميهاي الحداد: **مرجع سابق**، ص 89، 105، 106.
(5) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 126.

ويسألها «أنت رحبت بفلان؟»، فتقول: «إي». بعد ذلك يذهب الأب والشاهد بدون الفتاة إلى المطوع. يسأل المطوع عمّا إذا كانت الفتاة موافقة، فإذا كانت الإجابة « نعم»، يزوجها المطوع[1]. ويأخذ المطوع بيد العريس ويضعها في يد نائب العروس أو وكيلها، ويقول لهما هل تطيعان دين الله ورسوله؟ وعندما يجيبان بالإيجاب يواصل فلان بن فلان يريد الزواج من فلانة بنت فلان؟ وتأتي إجابة جديدة بالإيجاب فيتابع تملك بالمعروف، وتسرح بالإحسان[2]. وتجلس العروس أحيانًا خلف الخيمة تسمع كل ما يدور، ولكن هذا نادرًا[3]. ولتأكيد الإتفاق المُبرم يقرأ الرجال سورة الفاتحة، ولهذا يُقال عن الفتاة أنهم قرأوا فاتحتها، أي أنها على وشك أن تتزوج، وبذلك ينتهي دور المطوع، ويعود العريس إلى خيمته، حيث يُسرع في الحصول على ضحية: خروف أو ماعز، ثم يتوجه إلى خيمة زوجة المستقبل، وأمام بابها وفي حضورها يذبح الضحية[4]. وعند الشرارات لا يذبح الخاطب ذبيحة بل يُقابل خطيبته بعد أن يوافق والديها، ويضع في قبضتها اليُمنى بعضًا من القمح، وتطبق المخطوبة يدها، فيقول الشاب: أتقبليني لك رجلا على سنة الله ورسوله، فتجيب قبلتك، فيقول «بحق البُر وخالق البُر لا توق ولا نوق، هي سنة الله ورسوله، ورباط العيش أنا لك زوج، وأنت لي حليلة»[5].

يُرسل مهر العروس إلى أبيها قبل الزواج بأسبوعين أو شهر، ويقضي العُرف أن يُدفع المبلغ إلى العروس بعد أن يُضيف عليه مبلغًا آخر من المال بمساعدة أمها وأقاربها[6]، ثم تقوم الفتاة بتحويل هذه النقود إلى جواهر تسافر بصُحبة أمها إلى إحدى المدن لشرائها، وهذه لا تعدو أن تكون عملية استثمار المبلغ أو توفيره، فالفتاة تتزين بالحُلي وتبيعها إن احتاجت إلى المال. وفي الحال يتمّ اتخاذ ترتيبات الزفاف، فتُقيم النساء خيمة منعزلة في طرف المضرب، وسط الأغاني المرحة في مدح رجال العشيرة، ووصف لعفة العروس وجمالها[7]. ويذكر سيبروك أنه إذا كان العروسان من أبناء الشيوخ، فإن خيمة صغيرة مغلقة تقام إما قبالة جناح حريم الزوج، أو على بُعد بعض ياردات منه، وتكون هذه الخيمة هي حجرة

---

(1) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 251.

(2) جوسان وسافينياك: «أعراف قبيلة الفقراء (2)»، ص 760.

(3) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 126.

(4) ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد**، ص 173.

(5) عدنان العطار: **مرجع سابق**، ص 31.

(6) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 333.

(7) العزيزي: «بدو شرق الأردن وعاداتهم الغريبة»، **مجلة الإخاء**، العدد 7، السنة 6 (ديسمبر 1929)، ص 692.

الزفاف طيلة شهر، وتزين من الداخل والخارج بالبسط والأنسجة الموشاة[1].

يتألف جهاز العروس من الأشياء المتعلقة بسيدة البيت، كأواني الطبخ، والوسائد، والبطانيات، والإزارات، والأغطية من لحف وفرش، وثيابها. يضاف إلى ذلك كسوة جديدة للعروس، ولا تجلب لعريسها شيئًا، وعلى الرجل أن يُجهز عروسه بثوب أو بثوبين، يُسميان كسوة، وفراش يتألف عادة من لحاف أحمر لفراشه على الأرض، وهو أمر يُعتبر أساسيًا للرجل المُقدم على الزواج. وهدية العروس المشتملة على المال والأثواب وفراش الزواج تسمى «جهاز»[2]، وتحمل النسوة «الجهاز» إلى بيت العروس، وهن يزغردن في طريقهن[3].

تقوم النساء بتزيين العروس، ويرافقنها إلى الخيمة التي أُعدت لاستقبالها، وتنظف الفتاة جسدها، وتلبس الفتاة ثوب العرس، ويكون عادة من القماش الكشمير الحريري المزين بالنقوش الملونة بالأحمر والأصفر، وتلبس فوقه عباءة مقصبة تتدلى على كتفيها، وقبل ركوبها على الفرس يتقدم بدوي عجوز من رجال القبيلة المُسنين، ويُقدم لها الحمل الصغير الذي يُذبح بين رجليها كضحية بهذه المناسبة، ثم يُرسم وسم القبيلة على رقبة الفرس الكحيلة، ويُعطى الحمل موضوع الضحية إلى فتاة عذراء تيمنًا، ثم تركب العروس على الفرس لتطوف بين خيام العشيرة، حيث تقوم النساء والرجال المصطفين أمام خيامهم بإنشاد الأناشيد والأغاني والشعر. ولا يوجد بدوي لا يملك فرسًا دون أن يُعار أو يُؤجر له حتى تجلس عليها المحتفى بها، وتُقدم للفقراء بالمجان. وتضع العروس تحتها جلد خروف صغير أبيض دون شوائب، وذلك تعبيرًا عن عذرية الفتاه، حيث سيُجمع دم بكارتها ليلة الزواج على هذا الجلد. وعندما تصل الفتاة أمام خيمة زوجها يتقدم أحد أتباع الشيخ وهو يحمل خروفًا أو حملا فيدنيه إلى أقدام الفتاة ويذبحه ليُقدم كضحية لهذه المناسبة السعيدة[4].

يذبح العريس في مساء يوم العرس أمام خيمة العرس، قبل مجئ العروس خروفًا، يُسمى «ذبيحتن نزالة»، يليه أحيانًا تدخين النارجيلة مع شرب القهوة، أو تدخين السجائر والشاي، ثم يذهب ليُحضر عروسه ويصحبها إلى خيمته، حيث ينسحب الغرباء. ومن الممكن لها حتى في هذه اللحظة الأخيرة رفض الزواج، وتعود إلى خيمة أبيها، ولن يلومها

---

(1) ويليام ب. سيبروك: **مرجع سابق**، ص 82.

(2) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 126.

(3) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 334.

(4) عدنان العطار: **مرجع سابق**، ص 23، 32، 36.

أحد، فهي حرة، ولن يُمارس أي ضغط عليها[1]. وتزف العروس في موكب لبيت العريس يحف بها الغناء والرقص وإطلاق النار، ويطلق على هذا الموكب «الهوسة»، ويتبعه بعض أقارب العروس، من فرسان العشيرة إلى أن يصل الموكب إلى قرب مضارب خيام العريس، بعد ذلك يسير موكب العروس تتقدمه الفرس الكحيلة البيضاء، باتجاه خيمة العريس بعد تجواله على مضارب العشيرة[2]. وعند وصول العروس وأقربائها، يستقبلن بالزغاريد، أو ما يسمى في العراق «هلهولة»، وهي تعبير خاص عن الفرح، وتُطلق أم العريس الزغاريد فرحًا باستقبال العروس. وبعد التحيات يحيطون بالعروس، وينزلونها من على ظهر الفرس ويقودونها إلى خيمتها. وتُختتم مراسم العرس بوليمة باذخة كبرى من الأرز ولحم الضان والحلويات، وتمثل جزءًا مميزًا في الاحتفال، وكذلك إطلاق النار والغناء[3]. وبعد تناول الطعام يضعون صحنًا كبيرًا في وسط البيت، وتُرمى فيه الأعطيات، ويهتف صديق العريس لدى كل رمية « شوباش» منوهًا باسم المعطي[4]. وفي اليوم الثاني للعرس، يفرش أحد أقارب العريس قطعة من القماش ويقف صائحاً «شوباش»، فيتقدم الضيوف ويضعون الهدايا[5].

تُبدي العروس البدوية احتشامًا كبيرًا في ليلة زواجها الأولى، محاولة ألا تكشف عن وجهها أو رأسها أو جسمها، ودور الرجل ينحصر في أن يطلب منها برفق أولا أن تنكشف له، فإذا رفضت بإيماءة من رأسها عليه أن يجبرها على ذلك بأن يقوم برفع البُرقع عن وجهها، وخلع أجزاء من ثيابها. أما الفتاة نفسها فلا تستاء من عمل زوجها، ولكن عليها من باب الاحتشام أن تتظاهر بالمقاومة بكل قوة[6]. ويتم الزواج أحيانًا من دون أن يرى الزوج زوجته إلا ليلة الزفاف، ويكون ذلك خاصة بين العشائر المستقرة أو شبه البدوية «الشاوية»، وقد يحدث في تلك الليلة أن يستبدل الشيخ ابنته القبيحة المنظر بابنته الجميلة، وعندما يرفع العريس البُرقع عن وجهها يكتشف الخدعة. وفي هذه الحاله له أن يُطلقها أو أن يرضى بها كزوجة[7]. بالرغم من أن أوبنهايم يرى أن البدو يراعون ميول الفتاة

(1) جوسان وسافينياك: «أعراف قبيلة الفقراء (2)»، ص 760، 761.

(2) عدنان العطار: **مرجع سابق**، ص 35.

(3) ميهاي فضل الله الحداد: **مرجع سابق**، ص 105، 106.

(4) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 334.

(5) لوريمر ج. ج.: **دليل الخليج، القسم الجغرافي**، الجزء الثالث، (الدوحة: الديوان الأميري، 2002)، ص 41.

(6) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 146.

(7) ويلفريدفيسجير: **مرجع سابق**، ص 101.

التي لا تمنع من مخالطة خاطب ودها[1]. ومن الطبيعي أن تكون الفتاة قد استرقت النظر إلى الزوج المتوقع، أو تعرفت على الأقل على ملامح وجهه، إلا إذا كان ابن عمها ونشأت معه. وليس للعريس الحق في أن يرى زوجته المتوقعة، ولكنه إذا كان ذكيًا سيجد طريقة أو سببًا لاختلاس النظر إليها، والفتاة في هذه الحالة تُساعده راغبة لإشباع فضوله[2].

وعندما يدخل الرجل على زوجته ليلة الزفاف فمن المُستحسن أن تُقاوم للمحافظة على عُذريتها، فتصرخ وتشتبك معه لساعات أحيانًا، وليس من قلة التهذيب، إذا ما أنصت أقارب الفتاة قرب الخيمة أو خارج باب البيت لصراخها وعراكها مع زوجها. وبعدها يظهر العريس مرة أخرى ودشداشته ممزقة وعقاله غير موجود، في دليل على أن عروسه قد برهنت على أنها أصيلة[3]. وعند بعض القبائل بعد أن يدخل العروسان تهرب العروس، فيتعقبها الرجل في الخلاء حتى إذا ما ظفر بها اغتصبها، وقد يمر عليه أيام وأشهر وهو لم يهتد إليها، ولعل هذه العادة نشأت عن الاعتقاد السائد بأن المرأة التي تُغتصب اغتصابًا لا تلد إلا النُجباء، وبعكسها المستسلمة[4].

يُقيم العريس خيمة خاصة في الأسبوع الأول من الزواج تُسمى «حوفة»؛ تُفرش بالبسط والوسائط، وتُحاط بستائر تسمى «كنات»، والعريس هو الذي يُعدّ الخيمة، ثم تُزف العروس إليها ويوافيها بعد ذلك، لتكون بمثابة خيمة شهر العسل وتزود بالحلوى[5]. وتقوم النسوة من أقارب العروس باصطحابها إلى الحوفة، بينما يقوم أصدقاء العريس باصطحابه إلى الحوفة أيضًا، وهو مرتدي أجمل ثيابه، وفي هذه الخيمة تقضي «العريسة»[6] سبعة أيام بلياليها، لا تخرج منها، ولا يراها أحد أبدًا بينما يخرج الرجل بين الحين والآخر لاستقبال ضيوفه في المضافة، أو في خيمة مجاورة[7]، ولا يتم تقليد إنشاء الحوفة إلا إذا كانت العروس تتزوج للمرة الأولى، أما إذا كانت أرملة أو مطلقة، فتذهب إلى بيت زوجها مباشرة[8].

---

(1) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر**، ص 156، 157.

(2) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 126.

(3) ويلفريد فيسجير: **مرجع سابق**، ص 286–288.

(4) العزيزي: **مرجع سابق**، ص 693.

(5) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 329، 333.

(6) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 253.

(7) الليدي درور: **مرجع سابق**، ص 334.

(8) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 132.

وفي اليوم الثالث بعد الزواج يُعدّ والد العروس وليمة، «ويذبح على شرفهما حملا صغيرًا»[1]. ويتوافد المهنئون، وتقوم العروس بإطعامهم الحلوى مع الشاي، أو التمر مع القهوة، وتبلل ملابسهم بالعطور، وبعد انتهاء الأيام السبعة، تخرج العروس إلى عملها في اليوم الثامن، وتترك الخيمة إلى بيتها الجديد حيث تُباشر واجباتها المنزلية فتجمع الحطب، وتطحن الدقيق، وتعد الخبز، وتطبخ، وتغزل، وما إلى ذلك، فإذا كانت هادئة الطبع، كدودة في عملها، مقتصدة في مصروفها، أصبحت زوجة جيدة[2].

---

(1) الليدي آن بلنت: قبائل بدو الفرات، ص 345؛ *Lady Anne Blunt: Op. Cit., P. 308.*

(2) ويلفريد فيسجير: مرجع سابق، ص 288.

التحية البدوية

يتميز البدو بالترحيب وحُسن اللقاء، مُعبرين عن حبهم بأجمل علامات الشوق والود، يقول الرحالة البريطاني تايلور: «لم أشاهد في حياتي قط، تعبيرًا عن الفرح أكثر إخلاصًا وحرارة مما رأيته هناك. إن منظرًا كهذا كان جديدًا على أشخاص أوروبيين لقنوا منذ نعومة أظفارهم أن العرب شعب متأخر، فلقد بدا الواقع عكس ذلك، وكان المنظر مؤثرًا للغاية»[1]. ولاحظ دي أرفيو ذلك عن كثب: «عندما يذهب الإنسان إلى البدو وهو شديد الإيمان بهم، فهو يُلاحظ أشياء تضع جميع الأمم الأوروبية في الظل، وتُشعرهم بالخجل، حيث لا يستطيع الإنسان أن يعيش في أوروبا دون قوة المال، ولكن القضية تختلف عند البدو العرب فلا يكاد الغريب يصل إلى أحد أخبيتهم حتى يُدخلوه، ولا يوفرون شيئًا من الإكرام أو الترحيب أو الاحترام»[2].

تختلف عادات الاستقبال والضيافة بين البدو، فرجال قبيلة «الصخور» عندما يضمون الضيوف، يطبعون قبلا على وجوههم في حين تكون تلك القبلة في الهواء عند عشائر «التامير»[3]. يدخل البدو إلى قسم الرجال زرافات ووحدانًا من خلال باب الخيمة المرفوع، ثم يؤدون التحية بجدِّية، بعدها يخلعون نعالهم من أقدامهم، ويجلسون القُرفصاء. وعندما يقترب فارس من الخيمة، يترجل ويربط فرسه بكل هدوء وقوة بحبل الخيمة، ثم يدخلها مُلقيًا التحية البدوية[4]، وحسب العادات، قبل الدخول تحت الخيمة التي يستقر فيها شيخ القبيلة، أن يهتف المُضيف: السلام عليكم، فيرد الجميع معًا، وعليكم السلام. وعليه أن يقوم بحركة احترام للشيخ[5]. ويذكر ديكسون أنه إذا ما حييت بدويًا بقولك: السلام عليكم، وأجابك قائلا: وعليك السلام. فهذا يعني ضمانًا منه لاتفاق سلام بينك وبينه. كما لو أنك مالحته أو شربت في خيمته القهوة. وبذلك تستطيع أن تطلب حمايته كما

---

(1) تايلر: «رحلة تايلر إلى العراق»، ص 97، 98.

(2) بيتر برنيث: **مرجع سابق**، ص 76.

(3) كارلو جوارماني: **شمال نجد**، ص 40.

(4) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 19، 40، 41.

(5) أدولفوريفادينيرا: **مرجع سابق**، ص 139، 140.

لو أنك جار خيمته، وشاركته في الأخذ بثأر ما[1].

يُستحسن أن يقول الضيف أثناء عبوره عتبة المجلس «بسم الله»، ثم يتقدم في صمت، وعندما يصل إلى نحو منتصف غرفة القهوة يُلقي السلام على الحاضرين قائلا «السلام عليكم»، ونظره موجه نحو المُضيف، كل ذلك والجميع كُل في مكانه صامت دون حراك، عندئذ ينهض المُضيف ويرد التحية كاملة[2]، أو يقول مرحبًا، أو «أهلا وسهلا»، ولمثل هذه العبارات تنويعات لا حصر لها، وعندها ينهض الجميع ويردون التحية، ثم يتقدم الضيف نحو المضيف الذي يتقدم بدوره خطوة أو خطوتين، ويضع كفه في كف ضيفه بدون أن يُمسكها أو يهزها، وهو أمر لا يُعتبر مجافيًا لأحوال اللياقة إلا في النادر القليل. ويكرر الاثنان التحية مرة أخرى مصحوبة بعبارات مثل: «كيف حالك؟»، وكيف دنياك؟ وكلها تُقال بطريقة تُظهر الاهتمام، وتُكرر هذه العبارات ثلاث أو أربع مرات إلى أن يقول أحدهما الحمد لله، مما يعني التحول الملائم عن عبارات التحية الرسمية[3].

بعد تبادل التحية المعتادة، وبعد أن يُلقي التحية المألوفة وهي «السلام عليكم»[4] على الحضور، وقبل أي شيء آخر تُقدم من دلة القهوة الساخنة الموضوعة على جمر روث البعير فنجانًا من مشروب الضيافة[5]، ثم يجلس الضيف بجانب الموقد، وسرعان ما يُدعى إلى المشاركة في الطعام، فيجلس القرفصاء عند الصحن الكبير، ويكبح جماح جوعه، ثم يشرب القهوة التي تُقدم له بعد الأكل[6]، ويتبادل الجميع التحية وتُقدم القهوة، ثم توجه الأسئلة للضيف عن نتيجة رحلته[7]. ومن آداب الجلوس عند عشائر المعدان سكان أهوار العراق أن «كل رجل منهم يحذر ويتجنب أن يولي ظهره إلى الآخر لأن ذلك يُعتبر كما لو أنك تعرض باطن قدمك في وجهه»[8]. ينهال على الضيف بعد ذلك سيل من التحيات والترحيب مثل: أهلا وسهلا يا مرحبا. الله حيهم. الله يساعدكم. يا هلا يا مرحبا، ويجلس المُضيف قبالة ضيوفه وهو يُمطرهم بالمزيد من الترحيب والسؤال: كيف حالكم؟ كيف

---

(1) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 205.

(2) أحمد عبد الرحيم نصر: **مرجع سابق**، ص 82.

(3) عوض البادي: **مرجع سابق**، ص 65، 66.

(4) جمس بكنغهام: **رحلتي إلى العراق سنة 1816**،الجزء الثاني، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: مطبعة أسعد، 1968)، ص 177.

(5) ميهاي فضل الله الحداد: **مرجع سابق**، ص 71.

(6) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 26.

(7) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 52.

(8) كافن ماكسويل: **قَصَبة في مهب الريح**، صادق عبد الصاحب التميمي (ترجمة)، (بيروت: دار ومنشورات الحياة، د. ت.)، ص 44.

أنت؟ مخاطبًا أبرز الضيوف: يا مرحبا، كيف أنت[1]؟ أما عبارات التحية بعد غياب دام أيام قليلة: حي الله فلان ها الأيام، الجواب: الله يحييك الأيام كلها. ويُحيي الابن أباه بقوله: «يا يبه الله يرضى عليك»[2]. ويُرحب به كل شيخ، ويسأل عن أحواله، فلما ينتهي طقس الترحيب يصير له أن يتصرف على هواه[3].

يعرف البدو كذلك الكثير من تعابير التحية؛ فمثلا تحية البدو المعتادة هي قولهم «القوة» وهي اختصار للتعبير «ليمنحك الله القوة»، وتكون الإجابة بالقول «الله يقويك». وعندما يعود أحد الأقرباء أو الأصدقاء المقربين من رحلة فإن تحية التهنئة بوصوله هي «قرت عينك»، وجوابها هو «وجه نبيك». أما الغريب فيُحيي بقوله: السلام عليكم، إذا كان مارًا بمخيم للبدو، فيرد المُضيف التحية قائلا: عليكم السلام مضيفًا قوله: تفضل. يرد الغريب: دام فضلكم. وهي قلما تُستعمل، وفي أيام العيد يقولون بدل التحية: عيدك مبارك، أو العيد عليك مبارك، والثانية أكثر تداولا، ويرد عليها بالقول: أيامكم، أو يومكم سعيد، أو عساك من العائدين[4]. وعند اللقاء فجأة في البيداء فإن التحية البدوية تكون بأن يصيح أحدهم «يا حيوهم، مرحبا»، والتي تُعتبر بمثابة كلمات ترحيب[5].

لا يُحيي الشاب أباه بنفس الطريقة التي يُحيي بها أي رجل آخر، فعليه أن يُبدي احترامًا أشد، لاسيما بين الغرباء، إذ عليه أن يتخذ مجلسًا متأخرًا عن أبيه بحيث يلغي وجوده في حضرة أبيه. كما عليه إذا شاء الإشارة إلى أبيه في حديثه إذ يقول الوالد بدلا من أبي المستعملة في المدن، والتي يزدريها البدو. أما الرجل البالغ فيُخاطب أباه بقوله: يا طويل العمر إذا اضطر لذلك، أو يقول له يا حضرة الوالد. ويُخاطب العبد سيده بقوله يا عمي، وعليه أن يُحييه بتقبيل يده. أما السيد فلا يُحيي عبده بل يسأله عن حاله إذا كان قد غاب عنه مدة من الزمن. ويُحيي الرجل صغار أولاده بمزيد من الحنان والعاطفة، بينما يجري الأكبر منهم نحوه فيقبلهم ويداعبهم. كما لو أن الزوجة أرسلتهم للترحيب بالأب العائد من رحلة إلى البيت. أما الفتيات فلا يداعبهن الأب كما الصبيان فهن يأخذن مكانًا متأخرًا[6].

---

(1) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 175.

(2) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 270.

(3) ألويز موزيل: **في الصحراء العربية**، ص 62.

(4) علي عفيفي علي غازي: **بدو العراق والجزيرة العربية**، ص 273–283.

(5) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 12.

(6) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 206.

وإذا ما كان القادم شخص ذو مكانة، فإذا ما دخل خيمة الضيافة فإن الرجال يهبوا قائمين بمجرد دخوله، وفي وقار، لا يُمكن وصفه، يُدعى إلى الوسائد المستندة إلى الجدار الفاصل بين مجلس الرجال ومجلس الحريم، ويجلس المُضيف إلى جانبه لتبادل التحية المتكررة في لهجة رسمية[1]. ولا ينهض الرجل لتحية شخص أكبر منه، فهذا يُعتبر سلوكًا سيئًا، ويُظهره كما لو أنه يود أن يلفت النظر إلى نفسه، فالقاعدة هي أن على الرجل الأكبر أن يبدأ بالسلام على الرجل الأصغر، والماشي على الجالس، والراكب على الماشي أو الجالس، ومن الأدب أن ترد بقولك: عليكم السلام، واعتقد ديكسون أن ذلك «إجازة قرآنية»[2].

استُقبلت آن بلنت وزوجها في مُخيم شيخ شمر بابتسامة كانت تنطوي على شرف كبير ونية طيبة، وجلس الشيخ إلى جانبهم مُصغيًا إلى تحياتهم، التي رد عليها بأحسن منها، فانسابت تحياته رائعة من إنسان يعود لأصول نبيلة، سألهم بلطف عن كل مغامراتهم، وعلى الرغم من استخدامه للعبارات التقليدية، فإن آن بلنت تُشير إلى أن «كلماته تنطوي على صدق كبير في كل حرف ينطقه، وطريقته تختلف عن طريقة أي شخص قابلناه في البادية، لأنها كانت صريحة وقلبية من شخص يثق في نفسه، ومن مكانته في قومه، وقادر على التصرف دون إحراج أو تصنع كما يفعل البدو عندما يلتقون الغرباء، ويندر أن نجد رجلا بهذه الصفات إلا ذوي الأصل والنبلاء»[3]. واستقبل رجال عشيرة عنزة ميهاي الحداد «بمنتهى المودة»، والتقاه شيخ القبيلة «بترحاب واحترام، أحنى جسده وهو يضع يده اليمنى على قلبه، ثم جبينه، وفمه تعبيرًا عن مشاعره الصادقة من قلبه وعقله وفمه، تلى ذلك احتساء القهوة السوداء التقليدية»[4].

والتحية بالقُبلة «حِبّة»، على الخدين والرأس مألوفة جدًا بعد غياب طويل، فإذا ما غاب رجل فترة طويلة من الزمن يقبله على خديه عند عودته جميع أقربائه بمن فيهم النساء أيضًا. أما النساء ذوات القرابة البعيدة فيقبلنه من خلف النقاب. وأما المعانقة أثناء التقبيل فهي غير مألوفة[5]. ويصف دي مورس رجال عشيرة الفدعان من قبيلة السبعة بأنهم «يُسلِّمون على بعضهم كأنداد بوضع أيديهم على أكتاف أصدقائهم في الوقت الذي

---

(1) ماكس فون أوبنهايم: **رحلة ماكس فون أوبنهايم من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج**، ص 48.

(2) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 206.

(3) الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات**، ص 257؛ *Lady Anne Blunt: Op. Cit., p. 227, 228.*

(4) ميهاي فضل الله الحداد: **مرجع سابق**، ص 36.

(5) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق** ص 270.

يؤدون فيه قبلة متبادلة على كلا الخدين»[1]. وتختلف عادة التقبيل بين عشائر بني صخر والتعامرة، فهي لدى بني صخر تكون بطبع القُبلات على الوجه، بينما يومي التعامرة بها إيماءً[2]. وبنو حميد يحُيون أقاربهم وأصدقائهم ومعارفهم بقُبلات متكررة يطبعونها على الأفواه، وتكون القُبلة الأولى سريعة دون مباعدة الشفاه، أما القُبلات التالية فتكون على انفراد، واحدة بعد الأخرى، بحيث تستمر الواحدة منها مدة ثانيتين أو ثلاث ثواني[3].

يقول الرحالة الفرنسي لوثر شتاين عن الاستقبال البدوي للضيف عند عشائر شمر: «ما إن نزلنا من السيارة حتى أحاطت بنا مجموعة تهتف بحماسة «حيو ضيوفنا» ودوى بينها صوت الشيخ مشعان، الذي ألهب حماسة الاستقبال البدوي لتمتد نحونا دزينة من الأيادي المُصافحة، وليقوم الجميع الواحد تلو الآخر، بمعانقتنا حسب التقليد العربي، بتبادل ثلاث قبل على الوجنات «السلام عليكم»، «كيف صحتك؟»، «أهلا وسهلا»، «كيف كانت الرحلة»، «تفضل إلى الخيمة»، «يا مجيد، القهوة»[4].

يرصد جيمس ريموند ويلستيد تعابير التحية المستعملة لدى قبائل عمان، فيذكر أنه عندما يقول أحدهم للآخر «السلام عليكم». يرد الآخر: «وعليكم السلام». وتستعمل هذه العبارة حين يدخل شخص على مجموعة ما تجلس في مكان ما، ويأتي للجلوس معهم، أو حين يمر في طريقه بجماعة ما. ومن التعابير المماثلة الأخرى: «صباح الخير»، «مساء الخير»، «في أمان الله»، «الله يحفظك». وتستعمل هذه التعابير المذكورة في الزيارات،سواء إن كانت عادية أو رسمية. وحين يدخل الضيف إلى مجلس ما يقوم كل الجالسين للرد على تحيته، ولا يجلسون حتى يجلس. أما حين يحُيون شيخًا أو حاكمًا فإنهم يُضيفون لقبه إلى التحية، كما يُقبلون يده أحيانًا. وعندما يتقابل اثنان من المعارف بعد غياب طويل فإنهما يتصافحان[5].

بين الأقارب[6]، أو عند تحية شيخ أو رجل ذي شأن يحُيي البدوي التحية المعتادة وهي: السلام عليكم، ويزيد عليها بقبلة على الأنف أو على الوجنتين. ويُشير ديكسون

(1) لويس. اثبيتيا دي مورس: **مرجع سابق** ص 227.

(2) كارلو كلاوديو جوارماني: **نجد الشمالي**، ص 35.

(3) كارلو جوارماني: **شمال نجد**، ص 30.

(4) لوثر شتاين: **مرجع سابق**، ص 18.

(5) جيمس ريموند ولستد: **تاريخ عمان**، ص 208.

(6) عند بدو سيناء إذا التقى بدوي ببدوية من أقاربه أحنى لها رأسه فتُقبله في جبينه وتصافحه، وإذا دخل على صديق له في مجلس وقف له، ثم أدنى رأسه من رأسه حتى يمس حاجبه الأيمن، ويقبله في الهواء، ثم يجلسان على الأرض ويدور بينهما السلام بخجل، ويسأله عن حاله وصحته وعن أولاده. رفعت الجوهري: **مرجع سابق**، ص 56، 57.

إلى أن الطريقة الأولى هي الأكثر انتشارًا. وإذا قابل البدوي أخته في الصحراء، أو زوجة صديق حميم فيُحييها بقُبلة على رأسها، أو يُقبلها على وجنتها فوق البُرقع، إلا أنه لا يفعل ذلك بحضور الغرباء لئلا يُقال عيب أو غير لائق. والنسوة يُحيين بعضهن بقُبلة بعد رفع البُرقع، وهذا مسموح به حتى بوجود الرجال[1]. ومن حق القادم من سفر أن يزوره أصدقاءه ومعارفه، وعند لقائهم يُقبل الأصغر أنف أو جبهة الأكبر أو كتفه، وعادة الكتف في البحرين والكويت، والأنف والجبهة في نجد، أما تقبيل اليد فغير معروف إلا في الحجاز[2].

وإذا ما هدد بدوي آخر أمام خيمة الضيافة أو خيمة الشيخ، فإن الشيخ يأمر «القهواتي» بألا يُقدم له شيئًا من القهوة، كما يطلب إلى الحضور ألا يردون عليه التحية حين يُسلِّم، ويؤنب الشيخ هذا القادم الذي جاء مُغيرًا مُتقلدًا رمحه، ينفث غضبه، ويطلب ثأرًا في محفل وموئل وملاذ العشيرة. مُتجاهلا حُرمة المُضيف[3]. وعلى نفس الأساس لا تُقدم القهوة في مضايف عشائر المعدان بمنطقة الأهوار بجنوب العراق، للذين يقترفون جرائم منكرة، ولابد لصاحب المُضيف أن يُبيِّن السبب الذي يحدو به إلى الامتناع عن تقديم القهوة لهم حتى يُصلحوا ما اتهموا بالتقصير فيه، فإن لم يكن لدى صاحب المُضيف سبب داع يُبرر امتناعه عن تقديم القهوة لأولئك الرجال فلهم أن يطالبوه بتعويض «حشم» عن هذه الحالة. أما أبسط أشكال التحية عند المعدان فهي أن يضع الشخص يده على قلبه، بعد المُصافحة، ويعتبرون اليد اليُسرى نجسة، وتُستخدم فقط للأمور القذرة، والأشخاص الذين يستخدمون اليد اليُمنى للأعمال النظيفة يعزون عن عدم إشراك اليُسرى في القيام بالأعمال كمتممة وملحقة باليُمنى[4].

وتتبادل النسوة البدويات نفس التحية التي يتبادلها الرجال، ويزيدون عليها ثلاثة أسئلة يحق لهن تداولها، وهي السؤال عن صحة الزوج، وصحة أهله، وصحة بقية زوجاته إذا كان لديه أكثر من واحدة، بينما لا ذكر لهذه الأسئلة بين الرجال ما لم تكن هناك معرفة جيدة بين الرجلين عندها يُمكن طرح السؤال: «كيف حال الي وراك (وراءك)؟»[5].

---

(1) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 205.

(2) يوليوس أويتنج: **مرجع سابق**، ص 29، 30.

(3) جواد أحمد العامل: **مرجع سابق**، ص 38.

(4) كافن ماكسويل: **مرجع سابق**، ص 33، 45.

(5) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 205.

شهر رمضان في كتابات الرحالة تشارلز داوتي

يجوس الرحالة الغربيون، منذ بداية القرن السادس عشر، الفيافي والقفار في الجزيرة العربية، بهدف الكشف عن مجاهيلها، ومعالمها، وآثارها، ومعرفة عادات وتقاليد سكانها، وأخبار وأحوال ناسها، متحملين بصبر وجلد شظف العيش، وقسوة الصحراء. وعلى مدار أربعة قرون امتدت حتى منتصف القرن العشرين شهدت الجزيرة العربية زيارة قافلة من الرحالة والمغامرين الأوروبيين الذين سجلوا رحلاتهم، وما توصلوا له من نتائج، الأمر الذي يجعل من كتاباتهم مصدرًا مهمًا لا غنى عنه لكل من يتصدى للكتابة عن تاريخ المنطقة وجغرافيتها وآثارها الحضارية والجيولوجية والطبوغرافية، وكذلك عادات وتقاليد مجتمعها، ذلك أن الأوضاع السكانية ومعيشة البدو في بيدائها القاحلة كانت هي الأخرى موضع اهتمام من قبل أولئك الرحالة والمستكشفين والمبعوثين السياسيين، وبالرغم من أن العديد منهم زاروها بدوافع سياسية أو استغلالية، إلا أن كتاباتهم ستظل لها أهميتها كمصدر تاريخي.

ولا ريب أن الكتاب الذي وضعه تشارلز داوتي *Charles Doughty*، أحد رواد قافلة المداد الغربية، عن رحلته في شبه الجزيرة العربية يُعدّ سفرًا ضخمًا وفريدًا من نوعه، إذ قضى سنتين (1876–1877) متجولا في صحرائها، بين مدائن صالح وتيماء والعلا، وجبل شمر وبريدة ،وعنيزة وخيبر والطائف إلى أن وصل أخيرًا إلى جدة ومنها إلى الهند، ثم عكف بعدها على إعداد الكتاب الذي ظهرت طبعته الأولى عام 1888، وقام المركز القومي للترجمة التابع للمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة بنشر ترجمة له أعدها صبري محمد حسن، وراجعها وقدمها الدكتور جمال زكريا قاسم، بعنوان: ترحال في صحراء الجزيرة العربية، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، وما سجله داوتي بكل المقاييس أفضل وأشمل دراسة عن كل ما يتعلق بحياة البدو ومعيشتهم، التي تميزت بالقسوة والقحط لقلة مواردهم، وتحدث باستفاضة عن مضارب البدو وخيامهم وطرقهم في استخراج المياه من الآبار، والمهن التي يمارسونها. والخلاصة أنه لم يترك شاردة ولا واردة لاحظها أو

سمع عنها إلا وسجلها وفق أسلوب سهل بسيط بعيد عن التكلف. وهدفنا في هذا المقال هو رؤية عادات وتقاليد شهر رمضان بعين تشارلز داوتي، وكيف رصدها وسجلها ذلك الرحالة الذي تجول في صحراء الجزيرة العربية مُعلنًا مسيحيته، وكيف نظر إلى المسلمين وهم يقاسون الصيام في طبيعة الحياة القاسية من حرارة الطقس نهارًا، وبرودته ليلا، وقلة المياه، وجدب المعيشة، وهي أمور يتحملها البدو بصبر وإناة. وسوف نكتفي بوضع رقم الصفحة بين قوسين في نهاية كل اقتباس.

يُلاحظ تشارلز داوتي استعداد بدو الجزيرة العربية لشهر رمضان مُبكرًا، وذلك بتهيئة نفوسهم روحيًا، فيقول: «كان رمضان، شهر الصوم، على وشك الدخول، وهذا الشهر يشغل أرواح المسلمين، بما في ذلك الأعراب الذين يعيشون في البادية، ويُضفي على تلك الأرواح المزيد من الورع والتدين، هؤلاء البدو يُحاكون ما يحدث في الحضر، ذلك الذي شاهدوه في المدينة المنورة، وهم يخرجون من بيوتهم في مواقيت الصلاة، ويقفون على شكل صفوف، ويستمعون إلى الإمام، ويحنون جباههم الخالية ثم يسجدون، والشيخ مطلق عندما يكون هناك لا يُصلي بالناس إمامًا، ولكنه يقف مثل واحد منهم، والمسلمون جميعًا يتساوون في الدين والعبادة، وأي درويش بوسعه أن يؤنب أميره ويوجه إليه اللوم فيما يتعلق بمسألة الدين، ويتعين على ذلك الأمير قبول ذلك التأنيب واللوم بصبر لا ينفد... قلة قليلة من حريم البدو هن اللائي يصلين أمام بيوتهن في شهر رمضان، ويندر في غير شهر رمضان أن ترى امرأة تصلي». (ص 317).

يُفاجأ هلال شهر رمضان البدو، إذ يشاهدون الهلال في اليوم الثالث من الشهر، وهنا يثور الجدل، و«راح الناس يتساءلون فيما بينهم حول إذا ما كانوا قد جرحوا صيامهم في ذلك اليوم، الذي حدده بعض شيوخ هؤلاء البدو على أنه اليوم الأول من شهر الصوم، ولكن محسن المتحرر، قال إنه لا ذنب على من أكل إلى أن يرى الهلال الجديد، وغالبًا ما تكون تلك الرؤية في مساء اليوم الثالث من الشهر، وبعدها يصوم الناس الشهر اعتبارًا من ثبوت تلك الرؤية، بعض آخر ردوا عليه: «الناس في المدن يعتمدون على الهندي (المقصود علم الحساب الهندي) وهم يقولون إن ذلك الحساب دقيق ولا يُخطئ مطلقًا، ولكن ما الذي نعرفه نحن البدو، استطعنا في دجنة الليل مشاهدة القمر الجديد عند الغروب، وعمره ثلاثة أيام». (ص 331).

يتجاوز البدو أخيرًا الجدل حول ثبوت هلال شهر رمضان، ومدى صحة بدء

صيامهم، «وراح البدو يُحيون تلك العلامة السماوية بشيء من الأدعية الدينية، وبخاصة أن تلك العلامة جلبت لهم شهر التدين والتقوى، سكان الصحراء يصومون كل شهور حياواتهم، وهم يلتزمون بذلك الصيام اليومي ويراعونه بدقة بالغة في ذلك الشهر الفضيل، ولكن رمضان عند البدو عبارة عن إرهاق غير عادي يشيع فيه تأوهات هؤلاء البدو وشكاواهم، إذ يُصبح من الصعب على هؤلاء البدو الامتناع عن الشرب وعن تدخين التبغ لحين غروب شمس الصيف، بل إن المتزوجين يفترقون عن زوجاتهم طوال أسابيع الصوم، والبدو الرحل هم والقرويون يقولون إن شهر الصوم الكبير الذي يتعين الحفاظ عليه نظيفًا وطاهرًا، يتحول إلى موسم للشر والخبث، إذ تنساب فيه رذائل الطبيعة البشرية. والذين يراعون الصيام والصلاة خلال هذا الشهر، من بين البدو لا يزيد عددهم على النصف بأي حال من الأحوال، أما بقية البدو فمن الجُهّال، بمعنى أنهم لا يعرفون كيف يؤدون الصلاة، ومع ذلك فهم يحتفظون في داخلهم بقليل من التطرف والتشدد، وهذا نوع من الحقد الوطني أو إن شئت فقل: شكل من أشكال الوطنية السامية، وبالنسبة للرعاة الذين تشويهم طول النهار حرارة الصحراء، يصعب ويستحيل عليهم أن لا يشربوا الماء إلا بعد أن ينطفئ فرن الشمس عند غروبها، المسافرون عليهم القضاء، القرآن يُرخص لهم أن يقضوا الأيام التي عليهم عندما يعودون إلى ديارهم». (ص 331).

يحظى البدو بشفقة تشارلز داوتي لمعاناتهم محنة الصيام في ذلك الجو القائظ، فيعترف أن «هؤلاء العرب الذين يُعانون معاناة شديدة من العطش في الأيام الأولى من شهر رمضان، يستلقون على صدورهم يتنهدون ألمًا طوال ساعات النهار التي تمر بطيئة عليهم، ويروحون يركزون أبصارهم وأفكارهم على ضوء النهار إلى أن تغرب «عين الشمس» مبتعدة عنهم، وبعد انقضاء خمسة أو ستة أيام من أيام شهر رمضان، يكون هؤلاء العرب قد اعتادوا على الابتعاد عن حرارة وضوء النهار، ويحاولون استغلال الليل إلى أبعد الحدود. وإذا ما صادف شهر الصوم موسم حصاد القمح، أو حصاد محصول التمر، فإن العاملين في جمع هذه المحاصيل يتعين عليهم تحمل العطش البالغ من أجل الدين،والمعروف أن القرويين في شهر رمضان يتنازلون عن كل العمل الجاد باستثناء مسألة إدارة بئر الماء، التي يجب أن لا تتوقف مطلقًا. كان القسم الأكبر من أنواع التمور التي ينتجها أولئك القرويون قد نضجت وطابت مع انتصاف شهر الصوم، ومع ذلك ترك أولئك القرويون تلك التمور معلقة على أشجارها،... همس لي أحدهم: هذا به ألم للرجال الذين يهدهم العطش والجوع». (ص 334).

يلاحظ تشارلز داوتي أن العاملين في جني المحصول أو في أعمال أخرى «لا يعملون في شهر الصوم إلا مدة نصف اليوم فقط». (ص 339). ويقر أن كل من صادفوه «تعجبوا عندما رأوني آكل دونما اعتبار للصيام العام، ولكني استرضيتهم عندما قلت: أما أنا مسافر، بمعنى أنا على سفر». (ص 340). ولكن ترى هل كان الجميع متقبلا إفطار داوتي في نهار رمضان، يجيبنا هو بقوله: «في الوقت الذي كان البعض فيه مستاء من النصراني لأني لم أراعي حرمة صيامهم، كان هناك بعض آخر يدافع عني، ولكن لماذا يتعين علينا أن نقسوا عليه، في الوقت الذي بالله عليكم لا يصوم فيه نصف البدو، الذين تقول عنهم إنهم مسلمون، خليل مولود في إطار دين غير ديننا، وهم يصومون في أوقات أخر... وبينما كنت أجلس وأروح أتحدث معهم، كانوا يقدمون إليَّ التمر، وفي البداية ارضاءً لضمائرهم كانوا يسئلوني هل أنت مسافر». (ص 354). ولم يمنع ذلك من أن يسأله البعض عن صيامه، فكان جوابه «إن النصارى من عادتهم أن يصوموا يومًا واحدًا في الأسبوع، وهم يداومون على صيام شهر الصوم الكبير، بعض النصارى يصومون شهرين أو أكثر من شهرين، وكيف يكون صيامهم إلى حين غروب الشمس، لا ليس الأمر كذلك، ولكنهم يمتنعون عن أكل اللحوم، والبعض منهم يصوم عن كل ما يخرج من اللحم مثل الحليب والبيض، ولا يأكلون سوى الثمار التي تخرج من الأرض مثل الخبز والسلطة وزيت الزيتون، وما إلى ذلك، وطوال فترة الامتناع هذه يكون بوسعهم أن يأكلوا عندما يريدون ذلك، آه ها ها وهل تسمي أنت ذلك صيامًا؟ لا والله يا خليل أنت تضحك وتنكت،ولكنهم يحسبون ذلك حمية صيامية، مثل الموت في تلك البلدان الغنية أن يأكل الإنسان مثل هذه الأشياء الضعيفة ومثل هذا الطعام الضعيف، الله قادر، حسن ذلك كان صيامًا جيدًا، وصاحوا جميعًا بين الضحك والدهشة، يا ليت الله يكتب علينا مثل هذا الصيام كل يوم». (ص 359).

يواصل تشارلز داوتي إبداء شفقته على هؤلاء البدو الصائمون الذين يتحملون الجوع والعطش في نهار قائظ، فيحاولون قضاء جزء من نهارهم في النوم، وجزء آخر في تسلية أنفسهم ببعض الألعاب فيقول: «كان محسن رجلا مريضًا، وكان الصيام مُتعب له تمامًا، إذ كان الصيام يحول بين البدو بين غلايينهم طوال نهار اليوم، كما كان يمنعهم أيضًا عن قراب الماء طوال النهار أيضًا، وكان من عادة هؤلاء البدو في شهر الصوم أن يناموا اعتبارًا من طلوع الشمس، ولا يغيرون أماكن نومهم إلا بحثًا عن الظل ويستمر ذلك النوم إلى ما قبل العصر بفترة وجيزة...، كان البدو يصحون من نومهم عنددخول وقت

الظهر لأداء الصلاة، حيث يستشعرون شيئًا من الارتياح على إثر وضع الماء على أيديهم وعلى أذرعهم وأرجلهم أثناء عملية الوضوء...، وكانوا أيضًا يستعملون الماء في ترطيب ألسنتهم، نظرًا لأنهم يتمضمضون بالماء ويخرجونه من أفواههم مرة ثانية، وبعد أن ينتهوا من أداء الصلاة يتجمعون في أسفل الجدار الغربي العالي، الذي بدأت تنكسر عليه ظلال المساء، ويجلسون في ذلك المكان ليمارسوا لعبة البيطة التي يمكن القول عنها إنها لعبة من ألعاب الداما، والرقعة التي يُمارسون عليها تلك اللعبة عبارة عن صفين في كل صف سبعة حفر أو إن شئت فقل بيوت ترى، من الذي يُقاسي أشد الآلام في ذلك الصيام؟ زوجة محسن بكل تأكيد هي التي تُكابد مثل هذا الألم، لأن لها طفلا تُرضعه من ثديها، وبقوة العزيمة والمثابرة حافظت شقيقة زيد على شهر الصوم، ولم تكن تشرب أو تأكل إلا بعد غروب الشمس. من أجل هذا سمعت نساء البلدة وهن يمتدحنها ويثنين عليها، كانت مثلا للبدوية البسيطة التي تحظى بإعجاب الجميع، النساء المتدينات الحوامل تصمن أيضًا، وفاء بتعاليم دينهن، وهن يجبرن أطفالهن الصغار على الصيام أيضًا، كانت زوجة محسن، امرأة طيبة، وأمًا جيدة أيضًا، وربة بيت جادة ومثابرة، وكانت كلها حب وخدومة ومشاركة لزوجها المسكين في متاعبه». (ص 355، 356).

ينتظر البدو نهاية نهار رمضان في شوق كثير، بعد أن يكون قد هدهم الجوع والعطش، وخارت قواهم، ولكنهم رغم ذلك أول شيء يفكرون فيه بعد تناول بعض تمرات يكسرون صيامهم، هو شرب القهوة، ثم ينصرفون أولا إلى إقامة الصلاة، فيقول داوتي: «بعد غروب الشمس، وفي قرى نجد، يرى الناظر إلى وجار القهوة مجموعة كبيرة من دلال القهوة منها الكبير، ومنها الصغير...، وهم جالسون، وأمعائهم خالية، وكلهم يراقبون ضوء الشمس، الذي يختفي رويدًا رويدًا خلف أعراف النخيل، إلى أن سمعنا صوت المؤذن، وهو يرفع الأذان لأداء الصلاة، عند هذه المرحلة فقط يُصبح بوسع الشخص المتدين أن يضع في فمه لقمة من الطعام ويقوي نفسه، وعلى الفور بدأ تقديم القهوة، وبعد أن تناول كل واحد منهم فنجالا واحدًا بدأ يفرد عباءته أمامه في اتجاه القبلة، وراح يؤدي الصلاة، بعد أداء الصلاة، يجرى تقديم الوجبة الأولى التي يطلقون عليها اسم الفطور، أو إن شئت فقل الإفطار، كان الإفطار في منزل خلف عبارة عن عساليج من التمر الطازج الذي جرى إحضاره من النخلة، تناولوا الطعام، بالرغم من أنهم كانوا يُعانون من العطش طوال النهار، ولم يشربوا ماء طوال تناول الطعام، وبعد التمر وضعوا أمامنا شرائح من بطيخة كبيرة». (ص 344). ينام

المخيم، ليستيقظ مرة أخرى بعد منتصف الليل بقليل «لتناول وجبة السحور، كانت تلك الوجبة عبارة عن تمر ليس إلا، وبعد تناول السحور عاد العرب مرة أخرى إلى النوم على الأرض في براد النجوم إلى أن طلع نهار صوم اليوم التالي، وعندها نهض الأعراب لأداء الصلاة». (ص 345).

ينتهي شهر رمضان، فتعم الفرحة كل المخيم، ويبدأ الاحتفال بعيد الفطر من قبل غروب شمس آخر يوم في شهر رمضان، في ذلك يقول تشارلز داوتي: «أخيرًا غربت شمس آخر أيام شهر الصوم، معلنة انتهاء شهر رمضان، ومع طلوع اليوم التالي مشيت مع محسن إلى تيماء لتناول طعام الإفطار هناك، هيا يا خليل اليوم عيد وسوف تفرح وتمرح، الحمد لله، قال محسن إن شهر الصوم قد انتهى، أنت تشبه شخص أطلق سراحة من السجن، صدقت والله، فأنا أبدو مثل رجل خارج من السجن، وأنا من حقي الآن أن أشعل غليوني، أنا ذاهب لتناول طعام الإفطار مع بعض معارفي، ألا تعرف تقاليدنا وعاداتنا التي تبيح لنا أن نأكل شيئًا من كل دار صديقة. سيأكل الناس اليوم حتى الشبع، وأمامنا اليوم سبيلين، إما التجوال وتناول الأفطار مع من تعرفهم، وهنا يتحتم عليك أن تقول عيدك مبارك، في أي مكان تدخله، أو هيا بنا أنا وأنت نتحرك سويًا لتناول الأفطار معًا. كان الانتعاش يبدو على وجوه القرويين في هذا اليوم من أيام العطلات، وبخاصة أثناء شروق الشمس، لقد اكتسبوا جميعًا فوائد الصيام ومزاياه، وهاهم اليوم يرتدون ثيابهم الجديدة، الكثيرون منهم يعطرون غتر رؤوسهم، ولحاهم وعباءاتهم، وذلك بوضعها فوق الدخان المتصاعد من المبخرة، البعض منهم يتعطر أيضًا بماء الورد، هؤلاء هم المعيدون يخرجون من كل الأبواب، ويدخلون من كل الأعتاب، وهم يتزاورون ويحيون بعضهم بعضَا من بيت إلى بيت، وحيثما يدخل الرجال، يُقدم لهم طبق العيد الذي يحتوي على الخبز المحلى، وهذه جحافل من الذباب البشري تنهال جالسة على ركبها من حول ذلك الطبق، في التو واللحظة، والكل يرفع اليد اليمنى مملوءة بالخبز، في اتجاه الفم، ويتكرر ذلك، مرة واثنتان وثلاث مرات، إلى أن يظهر قاع الطبق المعدني، وعندها ينهض الجالسون لينتقلوا إلى تناول الإفطار في البيت التالي، ثم البيت الذي يليه، إلى أن يمروا على كل منازل المنطقة، وبعد ذلك، وبعد أن تمتلئ بطونهم، يتجمعون ويدخلوا بيتًا من البيوت الصديقة لتناول القهوة ، وحيثما يدخل هؤلاء الناس يقولون: عيدك مبارك، والناس هنا يردون على هذه التحية بقولهم: عدي علينا، وحنا عايدين، بمعنى ونحن أيضًا نحتفل بالعيد. ويمضي الناس

النهار بطوله يتجولون هنا وهناك، في ملابسهم الجديدة والمزينة بخطوط حريرية بغدادية ذهبية اللون، ومعها خيوط قطنية وردية اللون، وهذا المنظر يكون له بريقه في هذا البلد الذي لا لون له. وقد رأيت اليوم رجلا يرتدي ثوبًا قام هو بتلوينه، وكان يقف وسط الشارع الطيني ويلبس عباءة قرمزية اللون». (ص 385، 386). ويذكر تشارلز داوتي أن «احتفالات العيد تستمر ثلاثة أيام، ولكني شاهدت القرويين في اليوم الثاني وهم يخلعون ملابسهم الجديدة، ويذهبون لاستئناف عملهم في الحصاد، هذا هو التمر، تجاوز موعد نضجه، وراح يتساقط من النخيل». (ص 388).

التطير (التفاؤل والتشاؤم)

تُشكِّل كتابات الرحالة رافدًا مهمًا للدراسات التراثية، فبين ثنايا سطورها الكثير من العادات والتقاليد والقيم، المعتقدات الشائعة، العلاج الروحي، الاعتقاد بالسحر والحسد، حماية الدخيل، نظام المرعى والديرة والقبلية، التنقلات السنوية، حياة البدوي الشاقة، الخيمة ولوازمها، نظام البدو الاجتماعي، الضيوف وتقاليد الضيافة والكرم، تسامح البدو، حرمة النساء، الزواج والطلاق، الختان، ملابس الرجال والنساء، الأدوية والعلاج البدوي، الوشم، العبارات المستخدمة في المواقف المختلفة كالعزاء والزواج أو عند الأكل، عادة التقبيل على الأنف بين سكان الصحراء، لهجات القبائل، طقوس إعداد القهوة، العيد بين البدو، الفصول البيئية والرياح والأمطار، معرفة البدو أسماء البروج والكواكب، الموت والدفن، اعتقاد البدو في العالم الآخر، التيمم والوضوء للصلاة، فلسفة التوكل على الله عند البدو، الإيمان بالقضاء والقدر، رواية القصص، الصيد بالصقور، إعلان الحرب وصيحاتها، الثأر، الأدلاء واقتفاء الأثر، والإبل والخيول أنواعها وسلالاتها، الرق، الطيور البرية وأنواعها، عداوة الدم، الخاوة أو الخوة، وأخيرًا التطير والتفاؤل والتشاؤم من أيام أو ألوان أو حيوانات، ومعتقدات أيام السعد وأيام النحس[1].

التطير هو التنبوء بملاحظة حركة الطيور، والتشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم، وسبب تسميته أن العرب في ما قبل الإسلام كانوا إذا خرج أحدهم لأمر قصد عش طائر فيهيجه؛ فإذا طار جهة اليمين تيمن به ومضى في الأمر، وإذا طار جهة اليسار تشاءم به ورجع عمّ عزم عليه. قال تعالى «إن تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسّنكم منا عذاب أليم. قالوا طائركم معكم أين ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون» (سورة يس الآيتين 18، 19). يلعب التفاؤل والتشاؤم دورًا كبيرًا في حياة البدو، فلكي يُعين البدوي يوم سفره أو يقدم على أمر أو يعرض عنه فإنه يُغلق عينيه ويرفع يديه وراحتيه في مقابل وجهه، ويجعل إصبعين منهما متقابلين ويحاول أن يلاقي الإصبعين فإذا التقى طرفاهما يُقدم على

(1) عمار السنجري: **البدو بعيون غربية**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2008)، ص 98، 99.

الأمر، وإلا فإنه يترك تنفيذ ذلك إلى فرصة أخرى. وإذا ما أكل البدوي التمر؛ فإنه يُلقي بالنوى على كتفيه معتقدًا أن كل نواة تعني جملا آخر يُضاف إلى قطيعه[1].

يعتقد البدو في الإصابة بالعين أو الحسد، ولذلك فهم يعلقون الخرز الأزرق في أعناقهم وأطفالهم وإبلهم وخيلهم العزيزة عندهم لدرء العين الشريرة. وبعض شبانهم يعلقون الخرز الأزرق في مرائرهم لدرء العين. وهم يتشاءمون من رغاء الإبل. وعواء الكلب في بطنه، ومن صياح الأجرود، ومن السفر أو الغزو يوم الأربعاء؛ إذا اتفق أنه آخر أربعاء في الشهر، ويوم الخميس إذا أتفق أنه الخامس في الشهر. ومن السفر أو الغزو إذا كان القمر في برج واحد مع العقرب. ويتفاءلون بفلج الأسنان والسفر يوم الجمعة أو الاثنين[2]. ويؤمن البدو بقوة العين الشريرة والجن، والسحر إلى أبعد حد، كما تزور نسائهم المزارات وقبور الأولياء، فلهم في باديتهم قبور أولياء يحترمونهم الاحترام الديني، ويعتقدون أن المرض يأتي عن طريق الروائح على اختلافها، ويأخذون الطفل المريض، أو الرجل العليل إلى إحدى الأماكن ذات الروائح الكريهة، ويطلب إليه أن يشم هذه الروائح؛ كي يطرد المرض منه إلى غير رجعة، وذلك لاعتقادهم أن مرضه عن طريق الجان، وأنهم لا يحبون الروائح الكريهة[3].

يتشاءم البدو كذلك باللون الأسود،ويعتبرونه رمزًا للبلاء، والإثم والغم وسوء الطالع، ويقول الرحالة الأمريكي ويليام سيبروك *William Seabrook*، الذي قام بمغامراته في بلاد العرب بين عامي 1934-1935، أن هذا التشاؤم ليس في جوهر السواد، وهو لا يتصف بأي صفة سحرية، ولا يمثل عارًا ملازمًا، فمع أنهم يقولون قلب أسود، أي شرير، ووجه أسود، أي شائن؛ فإن خيامهم ذاتها سوداء، وعباءات الرجال سوداء في الغالب، والعقال أسود، ولباس نسائهم العام أسود من أعلاه إلى أسفله[4]. ويُمكن أن نجد عند البدو آراء مسبقة عن الألوان والعلامات في الخيول، فيعتبرون بعضها جالبًا للحظ، وبعضها الآخر جالبًا للنحس، وتذكر الرحالة البريطانية آن بلنت *Lady Anne Blunt*، التي قامت بالترحال في شرقي الجزيرة العربية وبوادي الشام والعراق بين عامي 1878-1879، أنها لم تجد بين البدو «من يرفض حيوانًا جيدًا لأسباب وهمية أو خيالية،

---

(1) مكي الجميل: **البدو والقبائل الرحالة في العراق**، (بيروت: دار الرافدين للطباعة و النشر والتوزيع، 2005)، ص 199.

(2) علي عفيفي علي غازي: **بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة**، (بيروت: دار الرافدين، 2016)، ص 162.

(3) رفعت الجوهري: **شريعة الصحراء عادات وتقاليد**، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،1961)، ص 53، 54.

(4) ويليام ب. سيبروك: **مغامرات في بلاد العرب**، عارف حديفة ونبيل حاتم (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للنشر والتوزيع، 2006)، ص 94.

ولا تجد عند البدو أيامًا للنحس أو أيامًا لحسن الطالع، وهم لا يتطيرون لطير في الجو، ولا لحيوان في السهل، ولا يحلمون، ولا يرون المنامات والأشباح، ولكنهم يلبسون أطفالهم اللون الأسود، ويبقونهم في حالة اتساخ خشية العين الشريرة»[1].

يبدو التفاؤل والتشاؤم لدى البدوي أكثر وضوحًا في الحصان، فيقول الرحالة والمستشرق والمبعوث الدبلوماسي المجري ميهاي الحداد، الذي أتى في بعثة دبلوماسية إلى بلاد الرافدين وعراق العرب بين عامي 1901-1902، إن البدوي لا يهتم كثيرًا بلون حصانه، أما لو كانت على جبهة الحصان مثلا خصلتان من الشعر، يعمل على بيعه بأسرع ما يمكن، لأنه يعتبر أن هذا الحصان يحمل نعش صاحبه على ظهره، وحتى لو كانت الخصلة إلى الأسفل قليلا، على الرأس، وليس على الجبهة، فذلك لا يعني فألا حسنًا، ولا يعتبر الخصلة علامة جيدة، إلا إذا كانت على جهة اليسار عاليًا في الرأس، وهذا الحصان أعلى قيمة، ويجب أن تكون قوائم حصانه الخلفية بيضاء من الأسفل، أي محجل الرجلين، كذلك إذا كانت القائمتين الخلفيتين واليُسرى الأمامية مُحجلة من الأسفل، أي محجل الثلاث مطلق اليُمنى. ويبيع الخيول التي عليها شيات غير ملائمة بسرعة، حتى ولو كانت من أفضل الأنساب وأنقاها، أما الحصان الذي يتميز بشيات ملائمة فهو عنده أكثر قيمة[2].

يُشير الرحالة والمستشرق التشيكي ألويز موزيل *Alois Musil*، الذي قام برحلته في شمال شبه الجزيرة العربية بين عامي 1908-1905، إلى أن البدوي يتفاءل إذا ما رأى الثعلب في بداية الرحلة، فبينما كان يقوم ومرافقوه بتجهيز الميرة والزاد لبدء الرحلة، برز ثعلب وجرى عبر الدرب. فحياه مرافقه البدوي بسرور وترحاب وناداه، فلما قيل له أن يدع الثعلب وشأنه، والاهتمام بالأرانب، لأنهم بحاجة للحم طازج، رد قائلا: «ثعلب واحد أفضل من عشرة أرانب، لأن الثعلب فأل خير لرحلتنا، وقد أرسله الله تعالى بداية رحلتنا إشارة بأنه لن يصيبنا ضير، وسنعود سالمين بمشيئة الله». ثم يشير إلى أنه أثناء الرحلة شاهد مرافقوه ثعلبًا رماديًا أبيض البطن يمر هاربًا أمامهم. فراحوا يحيونه فرحين، وكأنه فأل حسن للمسافر[3].

---

(1) الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات عام 1878**، أسعد الفارس؛ نضال خضر معيوف (ترجمة)، (دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، 1991)، ص 448. *Lady Anne Blunt: Bedouin Tribes of the Euphrates, (New York: Harpers & Brothers Publisher, 1879), P.404*

(2) ميهاي فضل الله الحداد: **رحلتي إلى بلاد الرافدين وعراق العرب**، ثائر صالح (ترجمة)، (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2004)، ص 81.

(3) ألويز موزيل: **في الصحراء العربية، رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب 1908-1915**، عبد الإله الملاح (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010)، ص 42. 183.

يعتقد البدو كذلك في النباتات، ومن أطرف ما ذكره الإيطالي الروماني بيترو ديلافاليه *Petro Della Valle*، الذي قام برحلته بين عامي 1616-1621، أنه عثر لدى خروجه من كربلاء على شجرة من الصريم، تُسمى شجرة المنتهى يتشاءم منها العراقيون عندما تعترضهم في السفر، فألقى عليها صبي كان في رفقة قافلته، بأحجار لكي يُبطل الشر الموجود في هذه الشجرة، كما تتخيله العامة[1].

يتشاءم البدو من بعض الأيام، وهي عادة قديمة، وكان شائعًا بين عرب الجاهلية، يدل على ذلك الحديثان الشريفان «لا تعادوا الأيام فتعاديكم»، والثاني «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر». ويتفاءل بدو العراق رجالا كانوا أو نساءً ويتشاءمون من بعض الأيام، فيحجمون عن إتيان عمل في بعضها جلبًا للخير فتراهم يرغبون في السفر يوم الاثنين، ويأخذون الدم، فيما يُعرف بالحجامة يوم الثلاثاء، ويقضون حوائجهم يوم الخميس[2].

يذكر جوهن جاكوب هيس، الذي كتب عن عادات وتقاليد بدو وسط الجزيرة العربية، أن البدو لا يقومون بأي عملية غزو في «ليلة الأربعاء» ولا في «نهار الأربعاء» ولا في نهار العشرين، ولا في ليلة الواحد والعشرين من الشهر. في المقابل يعتبر يوما الاثنين والخميس أو كما يُطلقون عليهم «غب الاثنين» و«غب الخميس» مناسبين بشكل خاص للقيام بالغزو. أما «ربع الصرماه» أي الوقت من ظهر الثلاثاء حتى ظهر الأربعاء، فإنه يُعد يوم نحس، تفشل فيه الغزوات، ولا يُسافر المرء فيه ولا يحتفل بعرسه ولا بعملية ختان. والرجل الذي يريد الخروج للسلب والنهب أو المشاركة في غزوة، لا يحق له الأكل من «القران»، أي الأضحية التي تُذبح في عرس الأرملة، وإلا فإنه لن يكسب أي شيء من الغزوة[3].

يُعد خسوف القمر خلال شهر رمضان من طوالع النحس عند البدوي، ومن طوالع النحس أن يرى المرء القمر وقد علته حمرة خلال شهر رمضان، شهر الصوم، إذ تذكر الرحالة والمستشرقة البريطانية الليدي درور، أو أثل ستيفانا ستيفنس *Ethel Stefana Stevens*، أنها استيقظت في أحد أيام رمضان على جلبة القوم، وقرع الصفائح، ونفخ الأبواق، وإطلاق العيارات، وأصوات أخرى، «فلقد اصطبغ القمر باللون الأحمر، وهو في نظرهم مسبب عن اقتراب الحوت منه ساعيًا لالتقامه، فإن تمّ ذلك بقيَّ رمضان أبد الدهر، وذلك شيء مروع

---

(1) جليل العطية: «كربلاء في عيون الرحالة الغربيين»، بكتاب: **دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري**، (الكويت: مؤسسة الزهراء الخيرية، 1996)، ص 115.

(2) أحمد حامد الصراف: «الأيام في المعتقدات»، **مجلة لغة العرب**، الجزء 8 من السنة 5 (1928)، ص 467.

(3) جوهن جاكوب هيس: **بدو وسط الجزيرة (عادات- تقاليد- حكايات وأغان)**، محمود كبيبو (ترجمة)، محمد سلطان العتيبي (تقديم)، (بغداد: دار الوراق للنشر المحدودة، 2010)، ص 136، 255، 256.

حقًا، وإن الصرخات والقرعات والنفخات والإطلاقات، التي سمعناها يُراد بها تخويف الحوت لئلا يُقدم على فعلته النكراء، وعساه أن يولي الأدبار[1].

يقول شارل هوبير *Charles Huber*، الذي قام برحلته في الجزيرة العربية الوسطى بين عامي 1878-1882، أنهم أثناء رحلته كانوا «شهود ظاهرة شهابية غريبة، فقد ظهر نيزك رائع قطره ظاهريًا طول قطر برتقاله كبيرة، كرة نارية حقيقية، قرب ألفًا النسر، واجتازت الفضاء في الجنوب ومرت على أوريون، واختفت وراءنا إلى اليسار، وقد أضاءتنا خلال سبع إلى ثماني ثوان بنور ساطع شبيه بنور بؤرة كهربائية. وبعد خمسين ثانية بلغنا صوت انفجار شبيه بإطلاق عدة مدافع». وكان أحد رجاله «يصيح طيلة مدة الظاهرة بأعلى صوته وبنبرة تنم عن هلع كبير: الله أكبر، الله أكبر، السلام على سيدنا محمد» وكرر هذه الجملة عشر مرات، ثم قال إن هذه العلامة تنذر بنهاية سيئة لرحلتنا، «أليس كذلك يا بيه»، قالها متوجهًا إليَّ (هوبير)، وأجبته «نعم لو كان هذا قد حصل في بداية رحلتنا، أما الآن فهذا الأمر لا يعنينا، وآسفاه على الذين رأوا هذه الإشارة وسيصرون على بدء رحلة غدًا». لكن شرحي لم يطمئنه إلا جزئيًا»[2].

(1) الليدي درور: **على ضفاف دجلة والفرات**، فؤاد جميل (ترجمة)، (لندن: شركة الوراق للنشر المحدودة، 2008)، ص 278.

(2) شارل هوبير: **رحلة في الجزيرة العربية الوسطى** 1878-1882، إليسار سعادة (ترجمة)، (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2003)، ص 154.

الجن في المخيلة البدوية

تعج مخيلة بدو العراق والجزيرة العربية بالكثير من الاعتقادات، التي تذهب إلى أن الصحراء آهلة بأحياء لها طبائع وحشية؛ يُسمونها «الجن والعفاريت» أو «أهل الأرض»، توجد في كل مكان، ويُشخصون فيها أهوال البيداء وآفاتها، وحيواناتها البرية المخيفة، فهم نوع من الكابوس المفزع لنفوسهم، وهي تحمل الدمار إلى كل ما ينفع البدوي، وتكاد أحوالهم ومعيشته تتوقف على مدى يقينهم في هذه المعتقدات. فالغول سبع من سباع الجن، تراوغ المرء، وتتزيا له بأزياء مختلفة حتى توقع به فتأكله[1]. كما قد يأتي الجني بهيئة إنسان إلى البشر لكي يُخيفهم، ولهذا يرهب البدو العفاريت، ويعلقون التمائم والتعاويذ، مثل العظام، وقرون الغزال، وقطع الخزف المكسورة، وعظام الموتى. والجن والعفاريت موجودة في كل مكان، فتأتيهم من باطن الأرض، أو فوهات الينابيع، وتسكن دائمًا الأماكن المهجورة، والخرائب التي لا يطرقها إنسان، ولها أرواحًا شريرة مؤذية تتقمص أحيانًا في أشكال الحيوانات؛ كالماعز والبقر والحمير، وإذا ما قابلت إنسانًا تأخذ في الكبر والارتفاع حتى تبلغ أبواب السماء. ويرون أنهم كثيرون، وباستطاعتهم أن يتكاثروا يوميًا، فمنهم جن ذكور، وجن إناث، وهم يتزوجون وينجبون، ولا يعرف أحد كيف يعيشون؛ لكن الله يُطعمهم. ويوقنون بأن الجن ليسوا أعداء ألداء للإنسان، إلا أن إيذاءهم له أكثر من نفعهم إياه. فالجن يضربون بلا شفقة البدوي، الذي يُزعجهم أثناء راحتهم[2].

يعتقد جميع البدو بلا استثناء في وجود الجن والعفاريت، وهم سادة بعض الأقاليم، التي يجب عدم الاعتداء عليها، فهم يسكنون، على سبيل المثال، في المقابر، وسوف يؤذون أذى شديدًا كل من يبلغ به التهور حد المجازفة بالذهاب إلى هذه النواحي ليلا،فهي موضع رهبة شديدة في الصحراء، ولهذا لا يسير رجل بمفرده بل دائمًا في جماعات، وهناك نواحي وجهات لا يُمكن أن يمروا بها أو يطوفونها ليلا مهما كلفهم ذلك من عناء. ينقل ديكسون عن ضويحي بن خرميط أحد أفراد قبيلة العوازم، أنه كان يُحاول على الدوام تجنب المرور

(1) فيليب حتى (وآخرون): **تاريخ العرب**، (بيروت: دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، 1986)، ص 144، 145؛ علي عفيفي علي غازي: **بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة**، (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2016)، ص 184-191.

(2) رفعت الجوهري: **شريعة الصحراء عادات وتقاليد**، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،1961)، ص223، 224.

بالأماكن التي يتم فيها دفن الموتى، لاسيما أثناء الليل، وكان يُبرر اعتقاده هذا، ويقول: إنه خلال الظلام، وبخاصة حوالي منتصف الصيف، تخرج الأرواح غالبًا من القبور، وتجلس عليها، وتتحادث الأرواح المجاورة مع بعضها البعض، وقد يُصادف أن يمر أثناء هذه المحادثة؛ فيتسبب في إزعاج تلك الأرواح، وقد يتسبب في أن تقطع حديثها، وستناديه عندئذ للمجيء إليها، وإلا فإنها ستسيء إليه إن لم يستمع لما تطلبه، وقد تُلقي عليه بعض الحجارة، وتُسبب له الأذى، وقد تُعيقه عن متابعة سيره، وقد يفقد عقله[1].

يعرف البدو من الجن أنواع، منها: «السعرة»، وهو جني يسرق الأطفال، ويفترس ثدي النساء وهن نائمات، ويخطف صغار الإبل. و«معصير» الجمع معاصير، وهو جني شرير يقتلع الخيام، وعندما يأتي «يتنحنح» المرء، ويقول «سميله (بسم الله) الرحمن الرحيم» ثم يقول في الخيمة أرواح طيبة «أجواد»، عندئذ ينتهي الإعصار. و«السويدا»، وهي روح شريرة سوداء أنثى «جنية» تأتي مرة واحدة في العام، وإذا ما دخلت في إنسان لا تخرج منه أبدًا حتى يموت.

تعرف قبيلة قحطان الجن باسم «سكن»، المفرد سكني. وينقل جوهن جاكوب هيس عن أحد القحاطين أن هذه الأرواح لها شكل الأفعى أو الأرنب، أو الغزال، وهي دومًا شريرة، و«يدخلون في بني آدم»، وإذا ما أصيب شخص بهذه الأرواح، أي أصيب بالجنون، يأخذونه إلى المطوع، الذي يقرأ عليه. وهناك أرواح تخرج عندئذ من الممسوس، وأخرى لا يُمكن طردها. ويسمى الممسوس، أي المصاب بمس من الجنون «به جن»، أو «ممرود». ووصف هذا القحطاني عملية طرد الجن كما يلي: يقول المطوع للسكني: أنت سيئ لماذا دخلت في الرجل «إنت شين لي تدخل في الرجال». يُجيب السكني: جلس على رأسي فغضبت ودخلت فيه «قعد على رأسي وحمست منه ودخلت فيه». فيقول المطوع: اخرج منه من دبره «اظهر مع المكوة». السكني: ألا تخجل من نفسك «ما تستحي». فيرد المطوع: أنا مستحي أنت إلي ما تستحي، اظهر مع المكوة. ويغضب المطوع، فيربط يدي وقدمي الممسوس، ثم يأخذ القليل من قرن حصان ويضعه على الجمر، ثم يدير وجه الممسوس باتجاه الدخان المتصاعد. فيبكي السكني، ويقول: من فضلك والله إني اضهر منه ولا أجي. فيقول الحضور: «يا مطوع سامحه ها المرة ولا هوب جايه مرة تانية». فيرد المطوع: «طيب أبا اسامحه هالمرة وإن جاء ثاني مرة عزرته». وبعد ذلك يفك المطوع الحبال

---

(1) ديكسون: **عرب الصحراء**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1996)، ص 493، 494.

ويشد يد المريض إلى الأرض، ثم يغرز اصبعه الصغيره حتى الفقرة الأولى بحركة مرتجفة في الرمل. فيخرج السكني من الرجل من إصبعه الصغير، بينما لا يزال مغمضًا عينيه.

تعرف قبيلة عتيبة الجن باسم «الأرواح»، أو «هل الأرض». وقد تحدث أحد العتبان إلى جوهن جاكوب هيس فذكر أنها أنواع منها الزار، وهو جن يدخلون في البشر، ويشوشون لهم عقلهم، فيصرخ المصابون، ويدخلون في النار؛ فيُبعدهم البدو عنها لكي لا تلتهمهم. وهم يُحبون الرقص، ويقولون للبدو ارقصوا، وعندما يرقصون يُلقي الممسوس ثيابه فوق رؤوسهم ويلعب ويقفز في الهواء ويضرب نفسه. وبعد وقت قصير يتعب ويسقط على الأرض، ثم يفيق بعد قليل من الوقت. بعدئذ يسأله الناس قائلين: ماذا تريد. فيجيب الزار من فم الشخص المصاب، ويطلب لنفسه خاتمًا أو غطاء رأس من الحرير وثيابًا جميلة، وإذا ما أعطوه ما طلبه يخرج الزار من الإنسان ويرحل. وبعدما يتحرر الممسوس من الزار لا يسمح له أهله بالذهاب إلى الرقص؛ لأنهم يخشون أن يعود إليه الزار مرة أخرى. لكن الزار لا يبقى فترة طويلة بعيدًا عن «صاحبه»؛ بل يعود إليه مرة أخرى، ويأتي في أغلب الأحيان إلى النساء(1).

يذكر الرحالة الهولندي سنوك هورغرونيه أن الزار نوع من الأرواح، التي تُسبب المتاعب لكل النساء تقريبًا، والزار الحقيقي في لغة الواقع يعني أن بعضه أشكال معينة من الجنون، وبعضه نوبات هستيرية، وهم يطلقون على من لديها زار لفظ «مجنونة» (مملوكة للجن) من دون أدنى أية فكرة عن عمل الأرواح، وتسمع المرأة منذ نعومة أظافرها قصصًا كثيرة تحكي عن الزار لدرجة أنها عندما تُهاجمها الأمراض المذكورة تعتقد أن هذه الأمراض تأخذ في الغالب شكلا يُسيطر فيه الزار على إرادتها، فترمي نفسها أحيانًا، وفي حالات معينة، على الأرض، وتستلقي في خلوة لساعات، وتبدو أحيانًا أخرى كأنها تقاسي من مرض يهجم عليها فجأة بين الحين والآخر، ويتركها شاحبة اللون، جاحظة العينين، مجهدة. وفي بعض الأحيان تبدو المريضة أثناء نوبات الزار متوحشة متهيجة. ويتم استدعاء الشيخة للعلاج، فيدور بينها وبين الزار حوار، وفي بعض الأحيان يكون الحوار في لغة سائدة يفهمها المشاهدون، ويكون في أغلب الأحيان في لغة الزار، التي لا يفهمها أحد من دون تفسير شيخة الزار. ويُعلن الزار أنه على استعداد لمغادرة جسد المريضة، في يوم معين عند أداء الاحتفالات المعتادة، ولكنه يشترط شروطًا معينة، فهو يطلب فستانًا

---

(1) جوهن جاكوب هيس: **مرجع سابق**، ص 290-293.

جميلا، وحلي ذهبية، أو فضية، وغيرها. وبما أن البشر لا يرون الزار فإن رغبته يُمكن أن تُلبى بخلع ما يطلب من على جسد المريضة الذي يحل فيه. ومن الغريب أن الزار يأخذ في اعتباره عند الطلب أعمار النساء اللواتي يتملكهن وأذواقهن ومتطلباتهن. وفي اليوم الذي يفترض فيه أن يُغادر الزار تأتي صديقات المريضة، وتقدم لهن القهوة والشاي والطعام في أغلب الأحيان. ويقدم ذلك أيضًا إلى شيخة الزار وفتياتها الإماء اللائي يبدأن التحضير لعملهن بضرب الطبول والغناء[1].

يعتقد بدو الجزيرة العربية أن الجن تسيطر على البراري والقفار، وأنها كثيرًا ما تغوي الإنسان، وأن الصخور هي مأوى الجن. يقول ألويز موزيل: «لقد شهد الكثير من المسافرين أن الجن والعفاريت تسكن صخور العفايف، لأنها تؤثر الصخور الجرداء»[2]. كما يعتقدون في حراسة الجن لشجرة العوسج، ولذا فإن من يقترب منها أو يتسبب في أذاها، فإن الجن سيردون بالدفاع عنها، ولهذا لا يستطيع أحد من هؤلاء الاقتراب منها، أو لمسها حتى لو كانت أغصانها مرمية على الأرض، كما يعتقدون أن من يحاول إلحاق الضرر بتلك الشجيرة سيلقى عقابًا صارمًا من الجن، وسيُلاحق على الدوام كما سيُعذب عذابًا شديدًا، لاسيما إذا اقترب أحدهم من تلك الشجرة ليلا، ولهذا إذا شوهد أحد البدو يقترب من شجيرة العوسج تراه يستعين بأسماء الله الحسنى، ويدعو الله أن يحميه من شرور الجن، ويقرأ الأدعيات، ولا غرابة أن ترى الحجارة مكومة حول تلك الشجيرة بسبب رميهم لها بتلك الحجارة؛ ليتجنبوا أذاها من جهة؛ وليدافعوا عن أنفسهم ضد هؤلاء الجن[3].

يتمثل العمل الأساسي للجن، وفق اعتقاد ابن الصحراء، في الاستحواذ على الإنسان، فهو يدخل في جسده ويسرق روحه. وحالات المس الجني في الصحراء كثيرة، ولهن في هذا الموضوع حكايات وروايات طوال، أورد الرحالة الغربيون بعضًا من حكاياتهم في هذا الشأن منها: يروي الفرنسيان جوسان وسافينياك أن الجني قد استحوذ على ابنة الشيخ مطلق الفقيري، وعذبها دون ما هوادة، وحملها على إتيان أفعال غريبة، وللحيلولة دونها، وأن تلحق بنفسها أذى، ربطوا بشدة معًا إبهامي يديها. وإبهامي قدميها، ثم جعلوا المريضة تستنشق دخان الكبريت والرماد لطرد الجن، لكن العلاج بدا غير فعال. وعندئذ

---

(1) أحمد عبد الرحيم نصر: **التراث الشعبي في أدب الرحلات**، (الدوحة: مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1995)، ص 236-239؛ سنوك هورخرونيه: **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ)، ج2، ص.

(2) ألويز موزيل: **في الصحراء العربية**، ص 71.

(3) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 494.

استدعي معالج استخدم كل إمكانيات فنه؛ فتلا صيغًا سحرية، وأدى رقصاته المألوفة، وضرب المريضة بالعصا، ونفخ بقوة في منخريها، وناشد الجن الخروج، لكن هذا الأخير رفض أن يترك مكانه، وعندئذ اتجهوا إلى معالجة مشهورة أدت نفس التعزيمات، وشعرت المريضة بتحسن ملحوظ، وانتهزوا فرصة هذا التحسن لأخذها إلى قرية العلا، حيث يقوم دجال ماهر بإعداد تعاويذ ناجعة، وبفضل حجاب صيغ بصورة جيدة، شفيت تمامًا من الروح الشريرة، وأنجبت ابنًا، غير أنها بعد ولادته بقليل، صارت مرة أخرى فريسة للجني الذي عذبها بقسوة وانتهى بقتلها[1].

ينقل ديكسون قصة تدور بين البدو، حيث يُقال إن علي الشويربات شيخ مشهور لفخذ البرزان أحد فروع قبيلة مطير، سحر من قبل زوجته، فأثر السحر فيه؛ فهام بتلك الزوجة حبًا وغرامًا، إلا أن تأثير السحر أخذ يشتد عليه، وكاد أن يقتله من شدة تأثيره، وجاؤوا به إلى مدينة الكويت، وكان وضعه سيء للغاية، وقد مات على الرغم من المحاولات التي قيل عنها لكسر تأثير السحر عليه، إلا أنه لم يزده الأمر إلا سوءًا، ولم يجده ذلك نفعًا، وقضى نحبه، خاصة بعدما رفض مبدأ المعالجة؛ لاعتقاده أن لا جدوى منها بفك السحر، وقد قتلت الزوجة بعد موت زوجها على أيدي أخيها؛ لأنها تسببت في موت زوجها باستخدام السحر ضده[2].

يحكي الفرنسيان جوسان وسافينياك أن الجني قد تلبس أحد أفراد قبيلة الفقراء، يُدعى محسن بن جبل، وانتابته تشنجات غريبة، وأخذ يأتي بأفعال شاذة، إذ يحفر في الرمل حفرة يضع نفسه فيها، وكما روى بعد شفائه، لم يكن يشعر بشيء من الراحة إلا في هذا المخبأ الصغير بعيدًا عن أي نظرة بشرية، وبعيدًا عن كل ضوء، وكان يخشى أن تأتي طيور السماء تفقأ عينيه، أو تقضم فمه وأنفه، وبعد أن استعان أقاربه بوسائل العلاج العادية من دون طائل، أخذوه وتوجهوا إلى العلا عند ابن سوير، الشهير مروض الجن «حشار الجن». وبينما كانوا في طريقهم قدم مغربي أخذته الرأفة به عندما رآه يتمرغ بأغلاله فوق الرمل، فقال لمن يحرسون هذا التعس: أوقدوا نارًا. وعندما لم تترك الأغصان المحترقة سوى جمرة متقدة، وضع في هذا المحرق نعلين قديمين وشواهما، ثم سحقهما وجعل منهما دقيقًا، وخلط هذه الفضالة بقليل من الملح، وقليل من الطحين، وعجن الكل في الماء، وتمخضت عنه عجينة

---

(1) جوسان وسافينياك: «أعراف قبيلة الفقراء (5)»، محمود سلام زناتي (ترجمة)، **مجلة العرب**، الجزء 5، 6، السنة 28 (مايو - يونيه 1993)، ص 369، 370.

(2) ديكسون: **مرجع سابق**، ص 491، 492.

بنية اللون سدت بها أنف المريض وأذناه، ودهنت بها الرأس بالكامل، وأرقد المريض على الرمل، وكان يشعر طيلة الليل بآلام مبرحة، فكان يحس كما لو كانت ثمة أشواك تخرج من جبهته وصدغيه، وفي صباح اليوم التالي وجد نفسه بريئًا معافى[1].

يروي ألويز موزيل أن بعض المسافرين صادفوا عند سفح إحدى التلال قنفذًا هائلا يستدفئ تحت أشعة الشمس. فنزل أحدهم والتقط هذا القنفذ، ووضعه في خرجه الفارغ يريد ذبحه وشيه في المحطة التالية، ويجعل منه وجبة شهية، ولكن لم يمض إلا بعض الوقت حتى سمع امرأة تنوح وتقول: «وينك يا منصور؟!» فلما التفت الرجل رأى عجوزًا تجري في إثرهم، وهي لا تنقطع عن النداء، وفي النهاية سمع صوت القنفذ يقول: «منصور بوسط الخرج مصرور». وقد بلغ الرجل من الذهول مبلغًا عظيمًا، فما كان منه إلا أن رمى بالخرج إلى الأرض، وإذا بالقنفذ يتحول إلى رجل ويركض نحو المرأة»[2].

يروي جوسان وسافينياك أن زيد بن جبل كان ينام ليلا تحت خيمته، واستيقظ مذعورًا ليرى إلى جواره امرأة جالسة تقول له: أريد الزواج منك. فقال لها زيد: من أنت؟ وعندما نظر إليها رأى وجها أسود، تلمع فوقه عينان مفتوحتان بصورة مفرطة، وأدرك، أن محدثته تنتمي إلى «أهل الأرض»، فقال لها: أنت تريدين الزواج مني، لكنني أرجو الله أن يخلصني منك. وفي الحال اختفت المرأة[3].

(1) جوسان وسافينياك: **مرجع سابق**، 370.

(2) ألويز موزيل: **مرجع سابق**، ص 71، 72.

(3) جوسان وسافينياك: **مرجع سابق**، 370.

دلائل التوقيت

ترتبط الشمس والنجوم بحياة البدو في شبه الجزيرة العربية كثيرًا، إذ يستدلون بالشمس للتوجه في النهار، والنجوم للتوجه في الليل، ولا يشعرون بالحاجة إلى البوصلة أو الساعة أو أي وسائل أخرى، فبواسطة النجوم يستطيعون أن يُحددوا التوقيت ليلا، ومن خلال ذلك يُحددون الصلوات الليلية، الرعي، الإغارة، الحراسة، النوم ، الاستيقاظ، الصوم. إذ يذكر الرحالة الإيطالي جورجو غوتشي *Giorgio Gucci* أنهم «يمتنعون عن الطعام والشراب النهار بأكمله من الفجر وحتى ظهور النجمة الأولى، وعند رؤية النجوم يأكلون ويشربون»[1].

يُدرك البدو أمور كثيرة بالسليقة، فالبدوي ذكي فطن حاذق؛ مُلم كل الإلمام بباديته، قادر على استكناه الغوامض، التي قد يعصى فهمها. والبدو يعرفون طبيعة الصحراء، وطرقها ومغاورها، بالرغم من تشابهها، فحياة التنقل والترحال الدائمة دفعتهم لمعرفة دروب البيداء، ومعرفة النجوم للاستدلال بها في أسفارهم، ولديهم معرفة وخبرة بالفلك والنجوم؛ ومطالعها وأفولها، وتأثيرها على الإنسان والحيوان، وأثرها في تقلبات الجو، وطول النهار وقصره، وظهور الأعشاب والنباتات وتغير الفصول، فظهور نجم معين يفهمون منه حلول فصل الربيع أو الخريف؛ مما يستعينون به على معرفة اتجاههم، ويُراقبون سير النجوم، ويتخذون منها أدلة في رحلاتهم[2]. يؤكد ذلك الرحالة الدنماركي كارستن نيبور *Carsten Niebuhr* بقوله: «حاول بعض الرحالة إقناعنا أن العرب البدو يستعينون بالبوصلات خلال رحلاتهم في الصحراء؛ غير أنني لم أجد ما يُثبت ذلك. فحين رأوني أحملها سألوني عن سبب استعمالي لها، فأجبتهم إنه ساعة تُحدد موقع القبلة، أي مدينة مكة (المكرمة)، ولهذا السبب، كانوا يقصدون منزلي للاستعلام عن وجهة القبلة كلما أرادوا الصلاة. فهؤلاء العرب، يتنقلون دومًا في الصحراء ويعرفون الطرقات جيدًا، ويستعينون

---

(1) جورجو غوتشي: **رحلة إلى المشرق العربي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي**، شيرين إيبش (ترجمة)، أحمد إيبش (تحرير وتعليق)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010)، ص 61.

(2) مكي الجميل: **البدو والقبائل الرحالة في العراق**، (بيروت: دار الرافدين للطباعة و النشر والتوزيع، 2005)، ص 54 ، 55؛ شفيق عبد الجبار الكمالي: **الشعر عند البدو**، (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2002)، ص 42.

ليلًا بالنجوم، فلهذا السبب لا يحتاجون للبوصلة أبدًا»[1].

يذكر الرحالة الدبلوماسي الفرنسي لوي جاك روسو *Louis Jacques Rousseau* أن البدو يعرفون جيدًا السير في هدى النجوم، واعتبرهم من هذه الزاوية أفضل الراصدين للطبيعة، إذ أخبروه مقدمًا أكثر من مرة عن تغيير الأجواء بدقة، كما يُشير إلى أنهم يعرفون ساعات الليل استدلالا من ظهور النجوم وغيابها، وكذلك ساعات النهار بأن يُمسكون باليد اليُمنى عودًا بين الإبهام والسبابة بشكلٍ عمودي، بينما تكون الكف ممتدة أفقيًا باتجاه السماء، فيقع ظل النبات على مفاصل الأصابع فيقدّرون عدد الساعات، التي مضت منذ شروق الشمس[2]. يُشير الرحالة الفنلندي جورج والين *George Wallin* إلى أن أهل منطقة الجوف، يقومون بري البساتين ومزارع النخيل ليلا، ويُخصص لكل بستان عدد من الساعات وفق مساحته، يجر فيها الماء إليه، وهذه الحصة تُحددها في النهار مواقيت الصلاة، وتُحدد في الليل بواسطة النجوم[3]. ويحُاول الدكتور الرحالة الهولندي ليونهارت راوولف *Leonhart Rauwolf* تفسير سبب براعة البدو في معرفة الفلك والنجوم؛ بأن ذلك يرجع إلى نومهم في الفضاء الصحراوي المفتوح، في العراء من دون سقف يحميهم، وهو ما يجعلهم يتمعنون بتأمل فيما تحفل به السماء، وبهذا أصبحوا يعرفون من مشاهدة النجوم ساعات الليل، والوقت الذي ينبغي لهم أن يستيقظوا فيه[4].

يقسّم البدو النهار حسب مواقع الشمس إلى عدد من المقاطع الزمنية، فيبدأ يومهم بالغبشة أو الجهمة، وهي قبل طلوع الفجر، فإذا ما بزغ الضوء، ولا تزال جميع النجوم ظاهرة، يُسفر الصبح؛ فيقولون: «شق عمود الفجر»، فإذا ما ظهر الشفق الأصفر، ولا تزال نجوم المرزم والسهيل والظهرة تبدو في الأفق، فإن النور قد شع، وتُسمى نهاية هذا المقطع الزمني «وقت تمييز الذئب عن الكلب»، وإذا ما شعت الشمس، يُسمى هذا الوقت «صلاة العاجز»، تليها «صفرة الصبح». وإذا ما أشرقت الشمس على الديرة تُسمى «طلعة

(1) كارستن نيبور: **رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها**، الجزء الثاني، عبير المنذر (ترجمة)، (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2007)، ص 181.

(2) لوي جاك روسو: **رحلة إلى الجزيرة العربية سنة 1808**، بطرس حداد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010)، ص 61.

(3) سمير عطا الله: **قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية والخليج**، (بيروت: دار الساقي، 1994)، ص 182، 183؛ عوض البادي: **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية (منطقة الجوف ووادي السرحان) 1845-1922**، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2002)، ص 23.

(4) ليونهارت راوولف: **رحلة المشرق إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين**، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1977)، ص 210.

الشمس»، فإذا ما ارتفعت رمحًا، يقولون «الشمس طول الرميح»، فإذا ما بلغت رمحين، تُسمى «شريق»، وما قبل الظهر يُسمى «أضحية»، ويليه وقت الضحى، وقرب الظهيرة يُسمى «سنود القايلة»، وتليه القايلة أو الظهيرة، وبعد الظهر فترة ما بين الصلاتين: الظهر والعصر، أما وقت العصر فهو الوقت الممتد من بعد العصر، الذي يكون فيه طول الظل ضعف صاحبه، وحتى اقتراب الشمس من المغيب، أما وقت الغروب فهو وقت صلاة المغرب، فإذا ما ولد نجم الزهرة، سُميت الصفرة، وإذا ما اختلط الظلام بالضوء تظهر النجوم الكبيرة، فإذا ما غاب وقت الشفق، تدخل العتمة، ويبدأ وقت العشاء، ونهاية هذا المقطع الزمني «العشا العتيم»، أي قبل منتصف الليل، ويطلقون على الجزء الأخير من الليل «تال الليل»[1].

يعرف البدو عدد من النجوم، وهي الثريا، والدبران، والجوزاء أو الميزان، والبربارة، والشعرى، والسماكان، والمرزم، والسماك البرامح أو الأعزل، وسُهيل، والسعّالة، أي نجمة الصُبح، والزهرة، والعقرب. ويقول البدو: تطلع الثريا أولا أول الصيف قبل الفجر، وبعد ذلك بأربع عشرة ليلة تطلع البربارة، وبعد ذلك بخمسة وعشرين ليلة تطلع السماكان والمرزم، وبعد طلوع البربارة بأربع عشرة ليلة، أي في أول الخريف يطلع سُهيل من الجنوب، وتدوم هذه الانجم في الفلك عشرة أشهر قمرية، وعشرين يومًا، إلى أواخر الربيع، ثم تبدأ في الغياب الواحد بعدالآخر، فتغيب 40 يومًا، ثم تعود إلى الظهور بالترتيب السابق بدءًا بالثريا. أما العقرب عندهم فأقسام، وتُعرف بأسمائها من الغرب إلى الشرق: التربية، اليدان، خشم العقرب، القلب، ذيل العقرب، الشولة، وهي آخر الذيل[2].

يعتقد الرحالان الفرنسيان جوسان وسافينياك أن معلومات البدو عن النجوم «بدائية للغاية»، فهم يعرفون المجموعة النجمية «العقرب»، وتتكون من عدة نجوم يعبرها القمر، وتكون فيها للقمر منازل أو محطات. وفي الليلة السابقة يوجد القمر في «الشولة»، وهو الاسم الذي يُعطى للنجمين اللذين يوجدان في الذيل. ويقول البدو: عند ظهور الشولة «التنهدات أكثر قوة تحت الخيام، ويتفرق العربان». وعند خروجه من العقرب يعبر القمر البلدة، وهي فضاء خال تُحيط به دائرة من النجوم. أما المجموعة النجمية «الثريا» فإنها تتكون من خمسة نجوم كبيرة، وعدد من النجوم الصغيرة، ويتبعها نجم يُسمى

(1) جوهن جاكوب هيس: **بدو وسط الجزيرة (عادات، تقاليد، حكايات وأغان)**، محمود كبيبو (ترجمة)، محمد سلطان العتيبي (تقديم)، (بغداد: دار الوراق للنشر المحدودة، 2010)، ص 133،135-.

(2) رفعت الجوهري: **شريعة الصحراء عادات وتقاليد**، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،1961)، ص40.

«التويبع»، وهو يُماثل «الدبران» في مجموعة الثور. ويحزن البدو عند ظهوره، حيث تجف الغدران، وتُصبح الحرارة غير محتملة، وتهب الريح الساخنة، والنجم رقيب «الدبران» هو القلب. أما المجموعة النجمية المعروفة باسم «الجوزاء» فإنها تحمل النجوم الثلاثة، التي تُشكِّل الرأس اسم «هقعة»، وهي إحدى منازل القمر، ورقيب الجوزاء هو «الشولة». أما المجموعة النجمية «الشعري»، فهي معروفة لدى البدو، وكذلك «العذراء»، وله نوء يستمر عشرة أيام، وهو أول المطر، وثمة مثل بدوي يقول: «عندما يأتي السماك (العذراء) يختفي اللكاك (الريح المحرقة) السهيل»[1].

ترتبط معرفة البدو بالنجوم والفلك، بموسم الأمطار، إذ يُشير الرحالة الألماني مارسيل كوربر شوك، إلى أن مرافقه كانت لديه أنباء عظيمة، ذلك أن النجم «الخامس من النجوم السبعة في الدب الكبير شوهد فوق الأفق في نهاية الليل، وكان ذلك يعني أنه في غضون 25 يومًا سيطلع «الوسمي»، أو انتشار نجوم سُهيل والثريا والجوزاء: إنه الخريف العربي. وإذا كان هناك مطر غزير، وخاصة وقت ظهور الثريا، فإن عُشب الصحراء، والنباتات الحولية تبلغ ذروة تفتحها، ويُمكن للإبل أن ترعى في الحقول حتى قبل أن يبدأ الشتاء. وأمطار الخريف ضرورية؛ لأن أمطار الشتاء الوفيرة وحدها لا تكفي، في هذه الحالة يذبل العُشب في شمس الربيع الحارة قبل أن يكتمل نموه»[2]. ويبدأ موسم الترحال السنوي عند البدو من أواخر شهر أكتوبر، حيث يحل موعد المطر، وتبدأ الغيوم الصغيرة بالتجمع، ومرة أخرى يدب النشاط في حياة البدو، إذا يُصبح نجم سُهيل ممكن الرؤية عند الأفق الجنوبي، وهذا يعني نهاية صيف رهيب بالنسبة للبدو، وتقل حاجتهم وحاجة مواشيهم للماء[3].

يعتقد البدو أن الهلال هو الذي يجلب المطر، فحالما ينتهي موسم المطر يمتص الهلال الماء من البحر العظيم في قطرات متناهية الصغر، ويصف الهلال هذه القطرات صفوفًا متماثلة، ويصوغ منها أبخرة وسحبًا خفيفة (غيم) في موضع ما بعيد، ثم لا يكاد النجم سُهيل يبدو في الأفق في الخريف، حين لا يكون لدى البدو ماء لهم، ولا مرعى

(1) جوسان وسافينياك: «أعراف قبيلة الفقراء (6)»، محمود سلام زناتي (ترجمة)، **مجلة العرب**، الجزء 7، 8، السنة 28 (يوليو – أغسطس 1993)، ص –500 501.

(2) مارسيل كوربر شوك: **البدوي الأخير، القبائل البدوية في الصحراء العربية**، عبد الإله النعيمي (ترجمة)، (بيروت: دار الساقي، 2003)، ص 45.

(3) ديكسون: **عرب الصحراء**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1996)، ص 41–43.

لقطعان ماشيتهم، فيُرسل الله الملك إلى الغرب الأقصى، فيأمر القطرات أن يلتئم بعضها مع بعض، وهكذا تؤلف السُحب الداكنة، فيجرها إلى الشمال حيث يُصفدها بالسلاسل، ثم يُضيف إلى هذه السُحب سُحبًا صغيرة (غيم) أكثر فتضحى السُحب كثيفة، وأخيرًا يستاقها أمامه، وهو قابض على العصا (المحجان)، الذي يسوق به مطيته فوق أراضي البدو، ويأمرها أن تُسقط أمطارها على الصحراء، التي سفعتها الشمس بأشعتها، وإن قاومت أي سحابة هذا الأمر، ضربها الملك بمحجانه مُحدثًا البرق والرعد، فتتخلى السحابة الوجلة عندئذ عن كل ما تحمله من مياه، ثم تتبدد وتتلاشى. وأحب الغيوم إلى البدو ما يُسمى «السحابة» أو «السحاب»، وهي رمادية كثيفة يصفر لونها، لا تتبدد حتى تُمطر. و«المزنة» صغيرة بيضاء، تنضم إليها سحب كثيرة أخرى شبيهة بها، فترتفع السحابة الكبيرة الناتجة عن ذلك، وتسود بعض أجزائها، وتلمع البروق في حواشيها، وتزمجر بالرعود، ثم تثمر مطرًا غزيرًا. وعندئذ يقول البدو: «أنت مزنة الغرا اللي غشانا هللها، وأهلي بك هلوتين، هلوة الأرض ببلاها». أي: أنت أيتها المزنة الغراء، التي قد أدهشنا مطرها، نرحب بك ترحيبين؛ كترحيب الأرض ببللها[1].

تبدأ السنة عند البدو مع أول مطر غزير بعد ظهور النجم «سُهيل» في أوائل أكتوبر، ويقولون: «طلعة السُهيل نشرّق»، أي لقد أرانا سهيل نفسه؛ فلنمض إلى الصحراء الداخلية، بعد أن يبرحوا حدود المناطق المأهولة والمزروعة مع ما يملكون انتجاعًا للكلأ والمراعى. ومُدة سُهيل أربعون ليلة، وبعدها الثُريا، ومدتها خمس وعشرون ليلة، ثم تتبعها الجوزاء ومدتها كمدة الثريا. ويُسمى هذا الفصل «الصفري»، ثم تدخل الشعرى، وتلبث أربعين ليلة، وهذا الفصل يُسمى الشتا، وبعده يدخل السماك ويظل خمسين ليلة، ولكن في منتصف أبريل ينتهي حكم النجوم، ثم يدخل الصيف، الذي يستمر حتى بداية يونيه تقريبًا، ثم يخلفه الفصل الجاف «القيظ» ممتدًا أربعة أشهر حتى نحو أوائل أكتوبر. وهكذا يعرف البدو للعام فصولا خمسة: الصفري: تسعون ليلة «من أول أكتوبر إلى أول يناير». والشتا: أربعون ليلة إلى نحو من 20 فبراير. تتبعه فترة تُسمى أحيانًا الجزء الثاني من الشتا، وتنتهي في الرابع من مارس تقريبًا، ثم السماك: خمسون ليلة، أي تمتد إلى منتصف أبريل. فالصيف إلى أول يونيه، ثم أشهر القيظ الأربعة[2].

---

(1) ألويس موزل: «أخلاق عرب الرولة وعاداتهم»، محمد بن سليمان السديس(ترجمة)، **مجلة الدارة**، العدد الثاني، السنة 10 (المحرم 1405)، ص135-138.

(2) ألويس موزل: **مرجع سابق**، ص 139.

يقسّم البدو الأمطار إلى: الوسم الشتوي، والسماك الصيفي، ويتضمن الأول أمطار السهيلاوي، والثروي، والجوزاوي، أي أمطار سُهيل، والثريا، والجوزاء. وحالما يظهر سُهيل يُغادر البدو مخيماتهم المقامة في الأودية، وفي بطون الشعاب الواسعة الجافة. وبعد سقوط أمطار وفيرة في أعالي الأودية، يندفع الماء عبر القنوات، حاملا معه المخيمات، ومفرقًا الجماعات: البدو وماشيتهم، فيقولون: «ليا طلعت السهيل؛ لا تأمن السيل، وتلمس التمر بالليل»، لأن التمر يكون ناضجًا، ولا حاجة للانتقاء. وإذا تشربت الأرض بالمطر «أرض موسومة عليها الخرفي» فإنها تتفتق عن وريقات النباتات الحولية الصغيرة ذات الخُضرة الشاحبة. وإذا كان الوسم الثروي، أو مطر الثريا وفيرًا؛ فإن النباتات تبلغ أقصى نمو لها، وترعى الإبل عشبًا جديدًا حتى قبل حلول الشتاء. والوسم الثروي أهم الأمطار، فهو العامل الحاسم للرعي، ويضمن المطر الجوزاوي الوافر الممتد على مناطق واسعة نمو الأعشاب والأشجار، ويطرد شبح الجوع، ويأتي أحيانًا بعده مطر يُدعى «التويبع» في وقت ظهور الدبران، فيتم الخصب الذي جلبته أمطار الجوزاء. ولا يضمن المطر الشتوي، الذي يُسمى النقضان، نموًا جيدًا للأعشاب، إن لم تكن قد نبتت بعد أمطار الوسم الشتوي[1].

(1) المرجع السابق، ص 140.

خلخال المرأة البدوية

تهتم المرأة منذ بدأ الإنسان يدب بقدميه على سطح الأرض بالحلي، وتتخذ في العصور الحجرية من الأحجار والعظام والخرز ونحوها حليًا، وتصنع من عظام الحيوانات والطيور وفقار الأسماك ما يشبه العقود والأساور والخواتم، وتحلي الشعر بالتيجان، والعصابات، والآذان بالأقراط من خلال ثقب الأذنين لتعلق خلالهما طلبًا للتزين، وعرفت حلي الأنف، وتحلي جيدها بالأطواق والقلائد، وصدرها بالعقودد الثمينة من العقيق أو البلور الصخري أو الشست أو الياقوت أو الزجاج المعتم أو الشفاف. أما أشهر أنواع الحلي التي تحلت بها المرأة فهي الأساور من العاج أو العظام أو الزجاج، وكانت الخواتم من بين حلي الأصابع، حيث كانت تُصنع من الحديد والنحاس والفضة، وتُزين بالأحجار الكريمة، وزينت ساقيها، لإبرارز جمالها، بالخلخال أو الحجل من الذهب أو الفضة، وقد يملأ بالقار ليبدو غليظًا، وتعلق به بعض الحلقات التي تصدر رنينًا[1].

ترتدي المرأة البدوية في ساقيها الخلخال، وهو حلية من حلي المرأة البدوية، تلبسه كي تتزين به، غالبًا في الساق[2]. ويُسمى الخُلخال الذهبي عند المرأة البدوية «حجل وحجول»[3]. ويذكر الرحالان الفرنسيان جوسان وسافينياك، الذين زارا قبيلة الفقراء وكتبا عن أعرافها، أن المرأة في عشيرة الفقراء تُحب الحُلي بكل أنواعها «القلائد والأساور والأقراط. ويحمل بعضهن الزمام، وهو حلقة الأنف»[4]. بينما يرى جوهن جاكوب هيس، الذي كتب عن عادات وتقاليد وحكايات وأغاني بدو وسط الجزيرة العربية أن الخلخال

---

(1) رحمة بنت عواد السناني: «حلي المرأة في الجزيرة العربية القديمة»، **مجلة الدارة**، السنة 34، العدد الرابع، (شوال 1429هـ)، ص 159-192؛ **زينة المرأة القطرية**، (الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث، د. ت.).

(2) ضيف الله بن يحيى الزهراني: «ملامح من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مكة المكرمة من خلال كتاب رحلات في شبه الجزيرة العربية لمؤلفه جون لويس بوركهارت»، في كتاب دارة الملك عبد العزيز: **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، الجزء الثاني، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2000)، ص 651؛ ابن منظور، **لسان العرب**، عبد الله علي الكبير وآخرون (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، 1981)، ج11، ص 221.

(3) عبد العزيز سليمان نوار: «آل محمد بيت الرئاسة في عشائر شمر الجربا، دراسة في الزعامة العشائرية العراقية في القرن التاسع عشر»، **المجلة التاريخية المصرية**، المجلد الخامس عشر، (1969)، ص 147.

(4) جوسان وسافينياك: «أعراف قبيلة الفقراء (4)»، محمود سلام زناتي (ترجمة)، **مجلة العرب**، الجزء 3، 4، السنة 28 (مارس -أبريل 1993)، ص 185، 186.

حلية غير مستعملة عند قبائل عتيبة[1].

يرى الرحالة العالم والطبيب الهولندي ليونهارت راوولف *Leonhart Rauwolf*، الذي قام بجولته من سوريا إلى الخليج العربي؛ لأجل جمع النباتات في عام 1573، أن النساء تلبسن أساور في أقدامهن وأيديهن، وبكميات كثيرة أحيانًا، حتى إذا ما تحركن أو خطون راحت تلك الأساور تعلو وتهبط في أيديهن وأرجلهن مُحدثة أصواتًا مسموعة[2].

يُشير الرحالة الإنجليزي ريتشارد بيرتون *Richard Burton*، الذي قام برحلة حج إلى مكة والمدينة المنورة عام 1853، إلى أن حلي المرأة البدوية تتمثل في الأساور والقلائد وحلق الأذنين والزمام، وهي من الذهب أو الفضة أو مطلية بها. والنساء الأكثر فقرًا يلبسن حول أعناقهن عقودًا من عملات فضية[3]. أما الرحالة التركي خورشيد باشا الذي قام برحلته لأجل ترسيم الحدود بين الدولة العثمانية وإيران عام 1878، فيرى أن النساء البدويات تتزين بتعليق الكردان على رؤوسهن، والحلي على صدورهن، وتعليق حلق على الأنف، وخاتم في الإصبع، وخلخال في القدم. وترتدي نساء عشيرة كعب على رؤوسهن وصدورهن الحُلي من الذهب والفضة، كما يتحلون بالخاتم، وتقوم بعض النساء بثقب الأنف، ويُعلقن به شيئًا من الذهب والفضة يسمونه «القرنفلة» لأنه يُشبه القُرنفل، أو يُعلقن به حلقة، يُطلق النساء عليها لفظ «عراق»، ومنهن من تُعلق حلقة تُشبه الهلال على الشفة السُفلى، ويرتدين الخلخال على كعوب أقدامهم[4].

تُشاهد الأديبة والرحالة الفرنسية مدام ديولافوا *Mme Dieulafoy*، التي قامت برحلتها من المحمرة إلى البصرة وبغداد عام 1881، النسوة يلبسن الخلخال، وتُعرفه بأنه «حلية للقدم»[5]. ويشير الرحالة الألماني البارون ماكس فون أوبنهايم *Max Von Oppenhiem*، الذي قام برحلته من البحر المتوسط إلى الخليج العربي في صيف عام 1893، إلى أن حلي المرأة

---

(1) جوهن جاكوب هيس: **بدو وسط الجزيرة (عادات-تقاليد-حكايات وأغان)**، محمود كبيبو (ترجمة)، محمد سلطان العتيبي (تقديم)، (بغداد: دار الوراق للنشر المحدودة، 2010)، ص 246.

(2) ليونهارت راوولف: **رحلة المشرق إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين**، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1977)، ص 150.

(3) أحمد عبد الرحيم نصر: **التراث الشعبي في أدب الرحلات**، (الدوحة: مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1995)، ص 37.

(4) خورشيد باشا: **رحلة الحدود بين الدولة العثمانية وإيران**، مصطفى زهران (ترجمة)، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009)، ص 77، 99.

(5) مدام ديولافوا: **رحلة مدام ديولافوا من المحمرة إلى البصرة وبغداد 1881م/ 1299هـ**، علي البصري (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007)، ص 41.

البدوية تتمثل في أساور لليد، وخلخال للقدم من الزجاج الأزرق، أو الأخضر «معدد» عند المرأة الفقيرة، ومن الفضة أو الذهب «سوار، أسوارة» عند نساء الأعيان، ويُسمى حُلي القدم «حجال» للصغير منها، أو «خزام». أما نساء الشيوخ ذوي الثروات فيحملن معلقات في الأنف تسمى «عران» تثبت في الجانب الأيمن أو الأيسر من الأنف[1].

يُعرف الرحالة الفرنسي إميل أوبليه، الذي قام برحلته إلى العراق والجزيرة العربية عام 1916، الخلخال بأنه عبارة عن حلقة كبيرة من الذهب أو الفضة تُلبس حول أسفل الساق. ويرى أن حلي المرأة البدوية تشتمل على الخواتم والأساور وأقراط الآذان والخزامة، وهي عبارة عن حلقة للأنف...، والأقراط في الآذان، كما يلبسن حول أسفل الساق حلقة كبيرة من الذهب أو الفضة الخالصة تُدعى خلخال[2]. ويذكر الرحالة الألماني الأكاديمي المتخصص في علم الأجناس لوثر شتاين، الذي قام برحلته إلى شيخ قبيلة شمر مشعان الفيصل الجربا سنة 1962، أن الحُلي والمجوهرات ملك للزوجة، وهي زينة وخزينة لأوقات الشدة في الوقت نفسه[3]، فقد زاد موقف صفوق الفارس، شيخ عشائر شمر الجربا، تدهورًا، بعدما أضنت الطبيعة على مراعي شمر بالأمطار لمدة عامين متتاليين حتى أصبح نفسه في عوز شديد؛ لدرجة أنه اضطر إلى بيع خُلخال زوجته ليشتري به قمحًا[4].

---

(1) ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة**، محمود كبيبو (مراجعة وتدقيق)، (بغداد: دار الوراق للنشر، 2007)، ص 151.

(2) وليد كاصد الزيدي: **بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين**، (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، 2009)، ص 44، 45؛ وليد كاصد الزيدي: **بغداد في مذكرات رحالة فرنسيين مطلع القرن العشرين**، (أبو ظبي: نادي تراث، الإمارات، 2013)، ص 24.

(3) لوثر شتاين: **رحلة إلى شيخ قبيلة شمر مشعان الفيصل الجربا سنة 1962**، قسم الترجمة في المؤسسة (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2011)، ص 28.

(4) عبد العزيز سليمان نوار: **مرجع سابق**، ص 147.

مظاهر الاحتفال
بالمولد النبوي الشريف

يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يوم الثاني عشر من ربيع الأول كل عام هجري بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، ويحظى مكان المولد المبارك في مكة المكرمة باهتمام الأمة الإسلامية عبر أربعة عشر قرنًا؛ ليظل صورة مشرقة من التاريخ الإسلامي تراه الأجيال الحالية واللاحقة رأي العين، وتستعيد به الذكريات الخالدة، وتتذكر في ربوعه وجنباته سيرة صاحب الخُلق العظيم، ويستمد هذا الموضع أهميته التاريخية والدينية والثقافية والحضارية من الأحداث التي مرّت به عبر التاريخ، فقد ولد فيه من قال عنه الله عزّ وجل: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (سورة الأنبياء، الأية 107).

في مكة المكرمة

يُشير الرحالة الهولندي سنوك هيرجرونجي *Snouk Hurgronge*، الذي قام برحلته إلى مكة المكرمة في عام 1885، وقضى بها ستة أشهر كتب عنها كتابه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» المنشور في عام 1888، إلى مناسبة المولد النبوي الشريف، فيذكر أن المسلمين يحتفلون في يوم الثاني عشر من ربيع الأول بالمولد النبوي، وهو يوم انتقال النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى الرفيق الأعلى. ولهذا اليوم في مكة المكرمة، كما يقول هيروجرونجي، تقاليد خاصة به، إذ يُعد له الفقهاء قبل حلوله بعدة أيام، فيبدأون بالقاء المحاضرات في حلقات الحرم، ويقرأون السيرة النبوية. وفي اليوم السابع من شهر ربيع الأول يُعلن في مكة رسميًا بدء إحتفالات المولد النبوي، وذلك بإطلاق قذائف المدفعية إعلانًا لهذه المناسبة. وفي اليوم الثاني عشر يتوافد إلى المسجد الحرام الكثير من المسلمين، وتأتي نساء مكة وهن يرفلن في ملابس الإحتفالات إلى الحرم، ويتجمعن فيه بأعداد وافرة على غير عادتهن في سائر الأيام. ويلفت انتباه رحالتنا «الحلي والزينة التي تتحلى بها النساء»، وكذلك «ملابس الأطفال المتعددة الألوان، التي تتوهج بحلي من الذهب والفضة، والتي تفوق تلك الحلي الباهظة الثمن التي تزين ملابس النساء جمالًا». يأتي هؤلاء الأطفال إلى المسجد برفقة أمهاتهم، ومعهم الحلوى اللذيذة؛ فتسود في ساحة المسجد، خاصة في المنطقة المخصصة للنساء، جلبة

وضوضاء وصخب يُحدثها الصغار من أولاد وبنات بتلك السلاسل التي يُعلقونها عليهم، ويجعلون فيها التعاويذ ذوات الأجراس، ويُبدي العديد من المؤمنين الورعين إنزعاجهم من تلك الأصوات التي لا تناسب جلال المكان. أما شباب مكة فيتوافدون إلى المسجد وهم في قمة الاناقة. وفي الطريق إلى المسجد، حيث شوارع السوق تفيض بعبق الإحتفالات، وتعكس مظاهرها، ترى العربات الخشبية الصغيرة لصانعي الحلويات، وقد إزدانت منذ الظهيرة بأكسية جديدة أُعدّ بعضها خصيصًا للإحتفال بهذه المناسبة.

يؤدي إماما مذهبي الحنفية والشافعية صلاة مغرب يوم الثاني عشر من ربيع الأول، ثم تبدأ الإحتفالات، بأن تُضاء مصابيح المسجد الزيتية، التي تزداد أعدادها في هذا الليلة أكثر من المعتاد. ويظل الناس في حركة دائبة في المسجد يُحيون بعضهم بعضًا، ويستعرضون أناقة ملابسهم، ويستمر هذا المشهد قرابة نصف ساعة. ولا ينتبه إلا القليل جدًا من هؤلاء المحتشدين إلى ما يحدث في هذا الوقت عند بهو الأعمدة قرب باب «دريبة»، حيث يجلس الإمام يقرأ المولد على منبر خشبي، جاعلًا ظهره إلى الكعبة، وهو في مواجهة الحضور، ليتمكن المنصتون له، الواقفون والجلوس، من أن يوجهوا أنظارهم تجاه الكعبة، ذلك المبنى المقدس. وعلى منصة الشرف، التي وضعت عند هذا المكان يجلس شريف مكة والوالي العثماني؛ كلاهما بكامل بزته الرسمية مع حاشيتهما، إلا إذا كانت الظروف السياسية تمنع مثل هذا اللقاء الحميم بين هذين المسؤولين. أما خدم المسجد فيديرون القهوة والحلوى على الجالسين. ويحرص السواد الأعظم من جمهور الناس على الحضور، على الرغم من أن هذه المناسبات، نادرًا ما يعي المرء منها شيئًا أو يسمعها.

يُسمي العامة ما يُقرأ في مثل هذه المناسبات خطبة بالخطأ. فالخطبة، وفق اعتقاد هيرجرونجي، لا تكون إلا في صلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وبعض المناسبات الدينية القليلة الأخرى. ويرى أن ما يُقرأ في هذه المناسبة يُشبه الخطبة في الظاهر، وقلّ أن تتسع صدور العامة للإصغاء إلى مثل هذه الموضوعات الطويلة، وإن أنصتوا، فإنهم لا يفقهون شيئًا مما يُقال، إلا ما ندر. وما إن ينتهي الإمام من القراءة حتى تعمّ الجلبة، ويتسابق الجميع لمشاهدة موكب الشريف، ورجال الحكومة، وخدم المسجد الذين يسيرون خلفهم مجتمعين بخطى وئيدة، في مسيرة تستضيء بالمشاعل عبر الشوارع والأسواق إلى القبة الموجودة في شارع الشعب، حيث ولد النبي ﷺ. وقد أخذت هذه الإحتفالات شكلها هذا قبل أكثر من ثلثمائة عام (من زيارة هيرجرونجي لمكة المكرمة في 1885). ومنذ ذلك التاريخ

أبدى المتشددون من المسلمين معارضتهم للإحتفال بالمولد، بدعوى أن مثل هذا الموكب، وهذه التجمعات التي تغيب عنها الرقابة، والتي تزخر بالعديد من النساء اللائي هجرن منازلهن لحضوره، يثير الريبة، ويستثير سوء الخلق أكثر مما يستثير التدبر في التقوى، ولا يزال الخلاف مستشريًا بين المكيين.

يتقدم «الريس»، أو كبير مؤذني الحرم، وهو ينشد الأناشيد في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه، وكذلك فلكي المسجد الحرام، هذا الموكب، وعندما يصل الجمع إلى مكان ميلاد النبي، صلى الله عليه وسلم، يدخلونه، ويقرأون شيئًا مختلفًا عمّ كانوا يقرأون وهم في الطريق إليه، من سيرة الرسول الكريم، ثم يُصلي جميعهم على النبي، وما يلبث هذا الجمع أن يتفرق بسرعة، ليهرع إلى المسجد لأداء صلاة العشاء. وتنظم التجمعات البهيجة، وحفلات السمر، واللقاءات الاجتماعية، بعد ذلك ليلًا ، إذ يُمكن أن ترى مجموعات من الرجال، وأخرى من النساء، في حركة دائبة، تضرب في الشوارع من دون إختلاط. وتروج أيضًا تجارة المقاهي، التي تغصّ في هذه الليلة بمن فيها، أما الفقهاء والأتقياء فيجلسون وأصدقائهم في دوائر يقرأون البردة، قراءة جماعية، كما يقرأون الهمزية ، ويرددون أناشيد أخرى في ذكر النبي، صلى الله عليه وسلم[1].

في القاهرة

يصف مظاهر الاحتفال بالمولد النبو ي الشريف في القاهرة المستكشف الفنلندي جورج أوغست والين *Gorg August Wallin*، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة هلسنكي، والذي قام برحلته إلى الشرق في عام 1843، وعاد إلى فنلندا عام 1850، حيث عاش مدة طويلة في القاهرة، وزار القسطنطية والإسكندرية والقدس وبيروت ودمشق والبصرة وبغداد وشيراز، فيذكر أنها تبدأ في يوم الثاني عشر من ربيع الأول بقيام أربعة دراويش هم: رفاعي وسعدي وأحمدي وبيومي بإقامة الذكر بعد صلاة العصر مباشرة، حيث يُشكلون دائرة كبيرة مقسّمة إلى مقصورات، ويمدون أياديهم ببطء إلى الأمام، ثم يسحبونها ببطء، ويجمعون بعضها مع بعض ثم يُصفقون، ويصيحون طول الوقت «لا إله إلا الله». ويرون أن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يفعلون هذا عندما يخرجون للمعركة. ثم يضع

(1) سنوك هورخرونيه: **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1999)، ج2، ص 362-365؛ عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: **روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية**، الجزء الثاني 1850-1880، (بيروت: دار الساقي، 2013)، ص 312-314.

الدراويش أيديهم على أكتاف بعضهم البعض، ويهزوا رؤوسهم وأجسامهم، وهم يصيحون من أعماق الحلق «الله»، ويُكررون ذلك بالتدريج إلى أن تردد الحلقة كلها ذلك. ويرى جورج والين أن من المثير للاهتمام أن تنظر في وضح النهار إلى وجوههم، التي تحمل تعابير غريبة من فرط النشوة، وإلى عيونهم المغمضة، وإلى ملامحهم المفتولة في أغلب الأحيان. إذا كنت تريد أن تقتنع بأن العرب لا يزالون يتمتعون بالكثير من القوة، ولا يزالون قادرين على الإحساس بالنشوة الحقيقية، فلابُد من مشاهدة هذا الذكر والاستماع إليه. فالعربي يثور مثله في ذلك مثل البحيرة العميقة الهادئة عندما تُحركها العاصفة، فهي لا تهدأ بسهولة.

يتمشى والين في قلب الاحتفال بالمولد طويلا، بهدف التفرج على الدوسة، التي تُعقد كحُسن ختام للمولد النبوي، حيث يوجد حشد غفير من الرجال والنساء والأطفال، ووصل الموكب بأعلامه المرفرفة، وبصفير صفاراته، وبقرع طبوله، واستلقى الدراويش على بطونهم على الأرض. كانت الحشود تزدحم بشكل رهيب، وكان الجنود والعبيد الزنوج يضربون الناس بصورة عشوائية بعصيهم فمرة يصيبون رأسًا، ومرة يصيبون وجهًا غير آبهين بالمكان الذي تقع عليه عصيهم. وقد حظي رحالتنا بضربة صغيرة على عمامته الكبيرة، ويذكر أنه فضل تحملها من دون تذمر ولا نزاع. وأخيرًا تقدمت مجموعة من الناس بدا عليها الفقر، ويرتدون ملابس شديدة التواضع. وانبطحت على بطونها في نظام شديد، ثم جاء شيخ عجوز على رأسه عمامة خضراء، وهو يمتطي صهوة حصانه القوي، الذي كان يقوده رجلان من الجانبين، وتصيح الحشود المحيطة به بصوت جهوري «الله». وبعد مرور الشيخ بحصانه على ظهور المنبطحين على الأرض؛ هرع المتفرجون إليهم لمساعدتهم على القيام، حيث كانوا مرتبكين. ويشير والن إلى أن ذلك الارتباك ليس سببه ألم دوس الحصان عليهم، وإنما بسبب النشوة الدينية، حقيقة أم مفتعلة. ويذكر والن أنه ساعد أحد المنبطحين كي يقف على قدميه، ودعمه بذراعه طويلا فوقع بوزنه كله عليه، وكان فاقدًا للوعي، فحاول عدة مرات إيقاظه، لكنه لم يستجب له. وعندما تعب أخيرًا تركه وشأنه، ولكنه لم يقع على الأرض مرة أخرى كما توقع والن؛ بل وقف على قدميه، وترنح ببطء، ثم ذهب إلى حال سبيله.

تقف عربات الفرنجة (الأجانب) على مشارف المولد، وهي تغص بكثيرين يتزاحمون وسط الحشود لأجل الوصول إلى الأمام من دون أن يُسيء إليهم أحد، ومن دون أن يتعدى عليهم أحد. إذ يذكر رحالتنا الفنلندي أن صديقه الإنجليزي هاملتون

الذي التقى به في وقت لاحق، أخبره بأن الباشا (محمد علي والي مصر 1805–1848) قال للمُشرف العام على المولد: «من الأرجح أن يأتي الكثير من الفرنجة للتفرج، ولكن لو جاءتني شكوى بإصابة واحد منهم بأذى فإنني سأفصل رؤوسكم عن رقابكم». بعد انتهاء الدوسة ذهب الشيخ ومعظم الحشد إلى منزل الشيخ البكري، حيث أقيمت دوسة أخرى، ولكن والن لم يوفقه الحظ في رؤيتها؛ إذ يذكر أنه وصل بعد فوات الأوان؛ فلم يتمكن من رؤية أي شيء. ورغم ذلك ذهب إلى الفناء الذي كان غاصًا بالناس، بينهم الكثير من الفرنجة (الأجانب)، ولم يُصب أي منهم بأي أذى على الإطلاق. ووضعت أرائك خشبية كبيرة في حديقة البيت الواسعة؛ لكي يجلس عليها الناس للذكر، أو ربما للترفيه، وكان من بين الحاضرين عدد من شيوخ القاهرة، وأهم رجالاتها. ويختتم والن وصفه بأنها كانت «أمسية من أروع ما يُمكن». ورغم أن الدوسة تختم الاحتفال بالمولد، إلا أن بعض مراسيم الاحتفال تتواصل إلى المساء، مثل الذكر وقراءة القرآن، حيث أقيم مساء اليوم ذكرًا في ضريح الشيخ العشماوي، «متميزًا على وجه الخصوص»، ووضعت أمام قبره إضاءات وضاءة للغاية، ويذكر والن أنه عرج على ضريح الشيخ العشماوي للتعبد، بأن تجول فيه، وقرأ سورة الفاتحة، وجلس في ركن من أركانه يهز رأسه، ويتظاهر بقراءة سورة «يس»، وقام بتوزيع الماء على العطشى عند باب الضريح[1].

(1) كاي أورنبيري: **عاشق الصحراء جورج أوغست والن، حياته ومذكراته**، مارية باكلا (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2012)، ص 449–450.

المصادروالمراجع

باللغة العربية ومعربة

1. ابن منظور: **لسان العرب** ، عبد الله علي الكبير وآخرون (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، 1981).

2. أحمد تيمور باشا: **لعب العرب**، (القاهرة: مطبعة دار التأليف، 1948).

3. أحمد عبد الرحيم نصر: **التراث الشعبي في أدب الرحلات**، (الدوحة: مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1995).

4. أحمد عيسى: **ألعاب الصبيان عند العرب**، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013).

5. أدولفوريفادينيرا: **من سيلان إلى دمشق**، صالح علماني (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2009).

6. أسعد عيد الفارس: «الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية أهدافهم وغاياتهم»، في كتاب دارة الملك عبد العزيز: **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2000).

7. الليدي آن بلنت: **قبائل بدو الفرات عام 1878**، أسعد الفارس؛ نضال خضر معيوف (ترجمة)، (دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، 1991).

8. الليدي درور: **على ضفاف دجلة والفرات**، فؤاد جميل (ترجمة)، (لندن: شركة الوراق للنشر المحدودة، 2008).

9. الليفتنانت كولونيل لويس بيلي: رحلة إلى الرياض، عبد الرحمن عبد الله الشيخ (ترجمة)، (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، 1991).

10. ألويز موزيل: **في الصحراء العربية، رحلات ومغامرات في شمال جزيرة**

العرب 1908-1915، عبد الإله الملاح (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010).

11. إليزابيث بيرغوين: **جيرتروود بيل من أوراقها الشخصية 1914-1926**، نمير عباس مظفر (ترجمة)، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2002).

12. أنطوان نعمة (وآخرون): **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، (بيروت: دار المشرق، 2000).

13. انيغريت نيبا وبيتر هربسترويت: **رحلة عبر الخليج العربي من البصرة إلى مسقط من خلال صور نادرة للرحالة الألماني هرمان بورخارت**، أحمد إيبش (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009).

14. باركلي رونكيير: **عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل**، منصور محمد الخريجي (ترجمة)، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1999).

15. بول هنري - بوردو: **ساحرة الصحراء الليدي إيسترستانهوب في الشرق**، إزدهار متوج ومحمد وليد الجلاد (ترجمة)، (دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، 1992).

16. بيتر برنيث: **بلاد العرب القاصية، رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب**، خالد أسعد عيسى؛ أحمد غسان سبانو (ترجمة)، (بيروت: دار قتيبة للنشر والتوزيع، 1990).

17. تايلر: «رحلة تايلر إلى العراق»، بطرس حداد (ترجمة)، في كتاب **رحالة أوروبيون في العراق**، (لندن: دار الوراق للنشر المحدود، 2007).

18. جمس بكنغهام: **رحلتي إلى العراق سنة 1816**، الجزء الأول، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: مطبعة أسعد، 1968).

19. جمس بكنغهام: **رحلتي إلى العراق سنة 1816**،الجزء الثاني، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: مطبعة أسعد، 1968)،

20. جمال محمود حجر: **الرحالة الغربيون في المشرق الإسلامي في العصر الحديث**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008).

21. جون لويس بوركهارت: **ترحال في الجزيرة العربية**، الجزء الأول، صبري محمد حسن (ترجمة)،(القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2007).

22. جوهن جاكوب هيس: **بدو وسط الجزيرة (عادات- تقاليد- حكايات وأغان)**، محمود كبيبو (ترجمة)، محمد سلطان العتيبي (تقديم)، (بغداد: دار الوراق للنشر المحدودة، 2010).

23. جوينتي مايترا، عفراء الحجي: **قصر الحصن تاريخ حكام أبو ظبي 1793 – 1966**، (أبو ظبي: مركز الوثائق والبحوث، 2001).

24. جي. رسي. ولكنسون: **الأفلاج ووسائل الري في عمان**، محمد أمين عبد الله (ترجمة)، (مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2003).

25. جيمس بيلي فريزر: **رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1834**، جعفر الخياط (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006).

26. جيمس ريموند ولستد: **تاريخ عمان رحلة في شبه الجزيرة العربية**، عبد العزيز عبد الغني إبراهيم (ترجمة)، (بيروت: دار الساقي،2002).

27. جيمس ريموند ولستيد: **رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا**، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: مطبعة ثويني، 1984).

28. حاتم عبد الهادي السيد: **ثقافة البادية: ملامح الشعر البدوي في بادية سيناء**، (القاهرة: مركز الحضارة العربية، 1998).

29. حافظ وهبة: **جزيرة العرب في القرن العشرين**، (القاهرة: دار الآفاق العربية، 1956).

30. حسام حسن علي غالب: **التصنيف النباتي والوصف المورفولوجي والتركيب التشريحي لنخلة التمر**، (أبو ظبي: دائرة بلدية أبو ظبي وتخطيط المدن، 2003).

31. حسام مهدي: «تحليل للمصالح النفطية وأعمال الرحالين الغربيين»، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور**، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996).

32. خالد بن محمد بن غانم بن علي آل ثاني: **الحلي الداني في سيرة الشيخ علي آل ثاني**، (الدوحة: المؤلف، 2009).

33. خالد محمد القاسمي: **التاريخ الحديث لدولة الإمارات العربية المتحدة**، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999).

34. خورشيد باشا: **رحلة الحدود بين الدولة العثمانية وإيران**، مصطفى زهران (ترجمة)، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009).

35. ديكسون: **عرب الصحراء**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1996).

36. دي لاروك: **رحلة إلى العربية السعيدة عبر المحيط الشرقي ومضايق البحر الأحمر**، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1999).

37. رفعت الجوهري: **شريعة الصحراء عادات وتقاليد**، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،1961).

38. راشد شاز: **الطريق إلى الجزيرة العربية**، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007).

39. روبن بدول: **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**، عبد الله أدم نصيف (ترجمة)، (الرياض: المترجم، 1989).

40. روث وهيلين هوفمان: **الليالي العربية مذكرات سيدتين أمريكيتين في العراق وقبيلة شمر**، عبد اللطيف السعدون (ترجمة)، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2004).

41. زهير حطب: **تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة**، (بيروت: معهد الإنماء العربي، 1983).

42. سبستياني: **رحلة سبستياني، الأب جوزيبه دي سانتا ماريا الكرملي إلى العراق سنة 1666**، بطرس حداد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006).

43. س. ب. مايلز: **الخليج بلدانه وقبائله**، محمد أمين عبد الله (ترجمة)، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، 1983).

44. سعد العبد الله الصويان: **محاضرات في أدب الصحراء العربية**، (الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث – كتاب المأثورات الشعبية، 2013).

45. سلمى النعيمي (وآخرون): **القرنقعوة**، (الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2014).

46. سمير عطا الله: **قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية والخليج**، (بيروت: دار الساقي، 1994).

47. شفيق عبد الجبار الكمالي: **الشعر عند البدو**، (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2002).

48. صلاح بحيري (وآخر): **جوانب من جغرافية قطر**، (الدوحة: مطابع الجمعية العلمية الملكية، د. ت.).

49. عباس العزاوي: **النخل في تاريخ العراق**، (بغداد: مطبعة أسعد، 1962).

50. عبد الباسط عوده إبراهيم: **البعد التراثي والحضاري لنخلة التمر في سلطنة عمان**، (بحث ديجيتال من موقع 2014، *www.iraqi-datepalms.net*).

51. عبد الجبار البكر: **نخلة التمر ماضيها وحاضرها**، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2002).

52. عبد الخالق المفضل أحمدون: «الرحلة الحجازية الصغرى لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت 1239هـ/ 1823م) قيمتها العلمية والتاريخية»، في كتاب دارة الملك عبد العزيز: **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2000).

53. عبد العزيز أحمد المطاوعة (وآخر): **ألعاب الأطفال الشعبية القطرية**، (الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2015).

54. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: **روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية**، الجزء الأول 1500–1840، (بيروت: دار الساقي، 2013).

55. عبد عون الروضان: **موسوعة عشائر العراق، تاريخ، أنساب، رجالات،**

مآثر، الجزء الثاني، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2003).

56. عبيد علي بن بطي: **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور**، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996).

57. عدنان العطار: **تقاليد الزواج الدمشقي: البدوي والريفي والحضري**، (دمشق: دار سعد الدين للنشر والتوزيع، د. ت.).

58. علي عفيفي علي غازي: **نخيل الخليج العربي في دليل لوريمر**، (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر، 2015).

59. علي عفيفي علي غازي: **بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة**، (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2016).

60. عماد محمد ذياب الحفيظ: **نشاة الحضارة وتطورها في الخليج والجزيرة العربية**، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2011).

61. عمار السنجري: **البدو بعيون غربية**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2008).

62. عوض البادي: **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية (منطقة الجوف ووادي السرحان) 1845-1922**، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2002).

63. فاطمة حسن الصايغ: «الساحل المتصالح في كتابات المنصرين»، في كتاب عبيد علي بن بطي (تحرير): **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور**، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996).

64. فيليب ليبنز: **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية**، محمد محمدالحناش (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1999).

65. قطر، **الكتاب السنوي 1981-1982**، (الدوحة: وزارة الإعلام، 1982).

66. كارستن نيبور: **رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها**، الجزء الأول، عبير المنذر (ترجمة)، (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2007).

67. كارلو جوارماني: **شمال نجد، رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم في العام 1864**، صبري محمد حسن (ترجمة)، (القاهرة: دار الهلال، 2010).

68. كارلو كلاوديو جوارماني:**نجد الشمالي، رحلة من القدس إلى عُنيزة في القصيم**، أحمد إيبش (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009).

69. كافن ماكسويل: **قَصَبة في مهب الريح**، صادق عبد الصاحب التميمي (ترجمة)، (بيروت: دار ومنشورات الحياة، د. ت.).

70. كلوديوس جيمس ريج: **رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام 1820 إلى بغداد وكردستان وإيران**، اللواء بهاء الدين نوري (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2008).

71. كونستانس ألكسندر: **بغداد في الأيام الخوالي**، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2001).

72. لوثر شتاين: **رحلة إلى شيخ قبيلة شمر مشعان الفيصل الجربا سنة 1962**، قسم الترجمة في المؤسسة (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2011).

73. لوريمر ج. ج.: **دليل الخليج، القسم الجغرافي**، الجزء الثالث، (الدوحة: الديوان الأميري، 2002).

74. لوي جاك روسو: **رحلة إلى الجزيرة العربية سنة 1808**، بطرس حداد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010).

75. لويس. اثبيتيا دي مورس: **البحث عن الحصان العربي، مأمورية إلى الشرق: تركيا.. سورية.. العراق.. فلسطين**، عبد الله بن إبراهيم العمير (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1428).

76. ليدي آن بلنت: **رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية**، أحمد إيبش (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2005).

77. ليدي بيل: **رسائل جيرتروود بيل 1899–1914**، رزق الله بطرس (ترجمة)، (بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008).

78. ليونهارت راوولف: **رحلة المشرق إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين**، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1977).

79. مارسيل كوربر شوك: **البدوي الأخير القبائل البدوية في الصحراء العربية**، عبد الإله النعيمي (ترجمة)، (بيروت: دار الساقي، 2003).

80. ماكس أوبنهايم: **من البحر المتوسط إلى الخليج: لبنان وسوريا**، محمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008).

81. ماكس أوبنهايم: **رحلة إلى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة**، محمود كبيبو (مراجعة وتدقيق)، (بغداد: دار الوراق للنشر، 2007).

82. ماكس فون أوبنهايم: **رحلة ماكس فون أوبنهايم من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج**، عبد الكريم الجلاصي (ترجمة)، (أبو ظبي: مركز الوثائق والبحوث بديوان رئيس الدولة، 2002).

83. ماكس فرايهير فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الأول: ما بين النهرين «العراق الشمالي» وسورية**، مشيل كيلو ومحمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2007).

84. ماكس فرايهير فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الثالث: شمال وسط الجزيرة العربية والعراق الجنوبي**، محمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2007).

85. ماكس فرايهير فون أوبنهايم: **البدو، الجزء الرابع: خوزستان- إيران «عربستان»**، محمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2007).

86. مجموعة من المؤلفين: **شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق الأدنى القديم**، أسامة سراس (ترجمة)، (دمشق: دار علاء الدين، 1993).

87. محمد شريف الشيباني: **إمارة قطر العربية بين الماضي والحاضر**، الجزء الأول، (الدوحة: دار الثقافة، 1962).

88. محمد شفيق أفندي مصطفى: **رحلة في قلب نجد والحجاز سنة 1926**، محمد محمود خليل (تحقيق)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010).

89. محمد فاتح عقيل: **الجزيرة العربية في كتابات بعض الرحالة الغربيين**، (الإسكندرية: مكتبة دار نشر الثقافة، 1962).

90. محمود الأمين: **شريعة حمورابي**، (بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، 2007).

91. مدام ديولافوا: **رحلة مدام ديولافوا من المحمرة إلى البصرة وبغداد 1881م/ 1299هـ**، علي البصري (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007).

92. مصطفى مراد الدباغ: **قطر ماضيها وحاضرها**، (بيروت: منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر، 1961).

93. مكي الجميل: **البدو والقبائل الرحالة في العراق**، (بيروت: دار الرافدين للطباعة و النشر والتوزيع، 2005).

94. موزة سلطان الجابر: **التطور الاقتصادي والاجتماعي لقطر 1930-1973**، (الدوحة: مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، 2001).

95. ميهاي فضل الله الحداد: **رحلتي إلى بلاد الرافدين وعراق العرب**، ثائر صالح (ترجمة)، (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2004).

96. نبيل راغب: **أصول الريادة الحضارية، دراسة في فكر الشيخ زايد**، (أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي، 1995).

97. نواب حميد يار جونك بهادر: «رحلة إلى بغداد»، كاظم سعد الدين (ترجمة)، في كتاب **بغداد بأقلام رحالة**، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2007).

98. هشال بن عبد العزيز الخريصي: **قبيلة شمر متابعة وتحليل**، (بيروت: دار الساقي، 1998).

99. هنري بنديه: **رحلة إلى كردستان في بلاد ما بين النهرين سنة 1885**، يوسف حبي (ترجمة)، (أربيل: دار ئاراس للطباعة والنشر، 2001).

100. وليد كاصدالزيدي: **بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين**، (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، 2009).

101. ويلفريد فيسجير: **رحلة إلى عرب أهوار العراق**، خالد حسن الياس (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006).

102. ويليام ب. سيبروك: **مغامرات في بلاد العرب**، عارف حديفة ونبيل حاتم (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للنشر والتوزيع، 2006).

103. يحيى عبد الرؤوف جبر: «شمال شبه الجزيرة العربية في مصنفات الرحالة»، في كتاب دارة الملك عبد العزيز: **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية** الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2000).

104. يوليوس أويتنج: **رحلة داخل الجزيرة العربية**، سعيد بن فايز السعيد (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1999).

مقالات في دوريات

1. إبراهيم سليمان عيسى: «الحشرات التي تصيب النخيل في قطر»، **مجلة الريان**، العدد العاشر، (فبراير 1985).

2. أحمد بن سالم بن شامس الحجري: «النخيل في سلطنة عمان»، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 68، (يوليو 2003).

3. أحمد علي الحاج محمد: «أغاني الأطفال الشعبية ومضمونها التربوي في مملكة البحرين»، **مجلة الثقافة الشعبية**، العدد الخامس، (ربيع 2009).

4. «الألعاب الشعبية تراث له مكانته لدى أهل الكويت»، **صحيفة الأنباء**، (30 أغسطس 2010).

5. «الألعاب الشعبية.. عبق الماضي الجميل»، **صيفة الراي**، (5 يونيو 2014).

6. «الحابول أداة جني الرطب الصامدة»، **صحيفة الاتحاد**، (13 يوليو 2010).

7. «الحابول وسيلة بدوية تساعد على تسلق النخلة»، **صحيفة البيان**، (21 فبراير 2010).

8. «ألعاب شعبية أردنية»، **وكالة الأنباء الأردنية**، (دون تاريخ).

9. العزيزي: «بدو شرق الأردن وعاداتهم الغريبة»، **مجلة الإخاء**، العدد 7، السنة 6 (ديسمبر 1929).

10. ألويس موزل: «أخلاق عرب الرولة وعاداتهم»، محمد بن سليمان السديس (ترجمة)، **مجلة الدارة**، العدد الأول، السنة 13 (شوال 1407).

11. آمنة سلطان المالكي: «من حدائق قطر إلى العالم» **صحيفة الشرق**، (14 نوفمبر 2012).

12. أميرة عبد الحافظ: «رمضان الإمارات ذكر وتكافل منذ القدم»، **صحيفة الخليج، ملحق تراث**، (26 يونيو 2014).

13. تايلر: «رحلة تايلر إلى العراق سنة 1789-1790»، بطرس حداد (ترجمة)، **مجلة المورد**، المجلد 11، العدد الأول (ربيع 1982).

14. جمال محمود حجر: «الأرمن في رحلة نيبور»، **مجلة أريك**، العدد الثاني، (مايو 2010).

15. جوسان وسافينياك: «أعراف قبيلة الفقراء (2)»، محمود سلام زناتي (ترجمة)، **مجلة العرب**، الجزء 11، 12، السنة 27 (نوفمبر -ديسمبر 1992).

16. حسن حافظ: «الألعاب الشعبية فرحة البسطاء وبهجة الأطفال.. تواجه الإندثار»، **مجلة آخر ساعة**، (6 سبتمبر 2011).

17. حسن ناصر: «سائح يطوف العراق بصحبة زوجته الميتة»، **جريدة الشرق الأوسط**، العدد 9028، (الأحد 18 جمادى الثاني 1424هـ/ 17 أغسطس 2003م).

18. حسين محمد حسين: «نظام الأفلاج والثقب أو قنوات الري تحت الأرضية»، **صحيفة الوسط**، العدد 2631، (19 نوفمبر 2009م/ 2 ذي الحجة 1430ه).

19. دلال جويد: «الرطب احتفالية في المقايظ وأخرى في المهرجانات»، **صحيفة البيان**، (30 أغسطس 2009).

20. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي: «مكانة النخلة في التراث العماني وأهم منتجاتها الصناعية»، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 68، (يوليو 2003).

21. سليمان محمود حسن: «خوص النخيل في التراث العربي»، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 44، (أكتوبر 1996).

22. «سوق واقف يحتفل بليلة القرنقعوه»، **مجلة الريان**، العدد 90، (أغسطس 2015).

23. صادق يلي: «عمان بلاد النخيل والنارجيل»، **مجلة العربي**، (سبتمبر 1987).

24. عبد الله عبد المحسن الشايب: «النخلة مدخل من خلال الأمثال في الإحساء»، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 68، (يوليو 2003).

25. علي الظاهري: «الألعاب الشعبية.. إبداع داخل البيئة»، **صحيفة البيان**، (21 يوليو 2013).

26. علي بن الملا حسن المقيلي: «الطرق التقليدية في كناز التمور في واحة القطيف»، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 68، (يوليو 2003).

27. علي دخيل: «ألعاب تنعش الذاكرة الشعبية وأخرى مهددة بالإندثار»، **صحيفة الصباح**، (21 يوليو 2013).

28. علي عفيفي علي غازي: «الثقافة والتاريخ في فكر الشيخ زايد»، **مجلة تراث**، العدد 127، (مارس 2010).

29. علي عفيفي علي غازي: «الجمل في كتابات الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 172، (فبراير 2014).

30. علي عفيفي علي غازي: «الحصان العربي في كتابات الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 174، (أبريل 2014).

31. علي عفيفي علي غازي: «شهر رمضان في كتابات الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 177، (يوليو 2014).

32. علي عفيفي علي غازي: «احتفالات البدو بعيدي الفطر والأضحى كما رصدتها كتابات الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 178، (أغسطس 2014).

33. علي عفيفي علي غازي: «طقوس وعادات الأعراس في الجزيرة العربية»، **مجلة تراث**، العدد 202، (أغسطس 2016).

34. علي عفيفي علي غازي: «رحالة زاروا الإمارات – كارستن نيبور»، **مجلة الإمارات الثقافية**، العدد 46، (يونيو 2016).

35. علي عفيفي علي غازي: «ألعاب الأطفال الشعبية الرمضانية»، **مجلة تراث**، العدد 200، (يونيو 2016).

36. علي عفيفي علي غازي: «الفروسية وألعاب القتال عند البدو بعيون الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 198، (أبريل 2016).

37. علي عفيفي علي غازي: «العراقي الأرمني ميناسيان يصف قطر في منتصف القرن العشرين»، **مجلة عيالنا**، العدد 24، (أبريل 2016).

38. علي عفيفي علي غازي: «سباقات ومزاينات الإبل والخيل عند البدو كما رصدها الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 196، (فبراير 2016).

39. علي عفيفي علي غازي: "فريا ستارك.. هل كانت رحالة أم جاسوسة»، **مجلة الكويت**، العدد 387، (يناير 2016).

40. علي عفيفي علي غازي: "الإبل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية «تاريخيًا– آثاريًا– أدبيًا (عرض كتاب)»، **مجلة المقتطف المصري التاريخية**، العدد الرابع، (يناير 2016).

41. علي عفيفي علي غازي: «الصيد بالصقور في كتابات رحالة إلى شبه الجزيرة العربية»، **مجلة تراث**، العدد 194، (ديسمبر 2015).

42. علي عفيفي علي غازي: «التضحية البدوية بعيون الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 193، (نوفمبر 2015).

43. علي عفيفي علي غازي: «عادات وتقاليد شهر رمضان في بعض الدول العربية»، **مجلة تراث**، العدد 189، (يوليو 2015).

44. علي عفيفي علي غازي: «موسم «الصرام» حصاد التمور في قطر»، **مجلة الدانة**، العدد 42، (يونيو 2015).

45. علي عفيفي علي غازي: «موسم «الخراف» حصاد التمور في الإمارات»، **مجلة تراث**، العدد 188، (يونيو 2015).

46. علي عفيفي علي غازي: «الشعر البدوي في كتابات الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 187، (مايو 2015).

47. علي عفيفي علي غازي: «الإبل في كتابات الرحالة»، **مجلة التراث الشعبي**، العدد الأول (2015).

48. علي عفيفي علي غازي: «نخيل الإمارات في دليل الخليج (3-3)»، **مجلة الشجرة المباركة**، المجلد 7، العدد الأول، (مارس 2015).

49. علي عفيفي علي غازي: «نخيل الإمارات في دليل الخليج (2-3)»، **مجلة الشجرة المباركة**، المجلد 6، العدد الثاني، (ديسمبر 2014).

50. علي عفيفي علي غازي: «احتفالات البدو بعيدي الفطر والأضحى كما رصدتها كتابات الرحالة»، مجلة تراث، العدد 178، (أغسطس 2014).

51. علي عفيفي علي غازي: «شهر رمضان في كتابات الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 177، (يوليو 2014).

52. علي عفيفي علي غازي: «الحصان العربي في كتابات الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 174، (أبريل 2014).

53. علي عفيفي علي غازي: «نخيل الإمارات في دليل الخليج (1-3)»، **مجلة الشجرة المباركة**، المجلد 6، العدد الأول، (مارس 2014).

54. علي عفيفي علي غازي: «الجمل في كتابات الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 172، (فبراير 2014).

55. علي عفيفي علي غازي: «نخيل العراق في كتابات الرحالة (2-2)»، **مجلة الشجرة المباركة**، المجلد 5، العدد الثاني، (ديسمبر 2013).

56. علي عفيفي علي غازي: «نخيل العراق في كتابات الرحالة (1-2)»، **مجلة الشجرة المباركة**، المجلد 5، العدد الأول، (مارس 2013).

57. علي عفيفي علي غازي: «الأرمن في كتابات رحالة أوروبيين إلى العراق»، **مجلة أريك**، العدد 18، السنة الثانية، (نوفمبر 2011).

58. علي عفيفي علي غازي: «إقليم الأحساء وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية 1871-1913»، (عرض كتاب)، **مجلة تراث**، العدد 140، (مايو 2011).

59. علي عفيفي علي غازي: «رؤية آن بلنت للمرأة النجدية»، **مجلة فكر الثقافية**، العدد 7 (مايو- يوليو 2014).

60. علي عفيفي علي غازي: «الجن في مخيلة بدو الجزيرة العربية»، **مجلة تراث**، العدد 205، (نوفمبر 2016).

61. علي عفيفي علي غازي: «التطير عند بدو شبه الجزيرة العربية من خلال كتابات الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 205، نوفمبر 2016)

62. علي عفيفي علي غازي: «دلائل التوقيت عند بدو شبه الجزيرة العربية كما رصدها الرحالة»، **مجلة تراث**، العدد 204، (أكتوبر 2016).

63. علي عفيفي علي غازي: «طقوس وعادات الأعراس في الجزيرة العربية»، مجلة تراث، العدد 202، (أغسطس 2016).

64. عبد العزيز رفعت عبد العزيز: «خصائص ألعاب الأطفال الشعبية القطرية»، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 77 (يناير 2012).

65. عادل محمد علي الشيخ حسين: «الخيل في المكتبة العربية»، **مجلة عالم الكتب**، العدد الأول والثاني، المجلد 23، (رجب- شعبان/ رمضان - شوال 1422هـ/ أكتوبر - نوفمبر/ ديسمبر 2001م- يناير 2002م).

66. عمر أحمد: «معرض وشجرة»، **صحيفة الاتحاد**، (18 ديسمبر 2014).

67. فاطمة ماجد السري: «المقيظ.. ارتحال جماعي إلى النخيل والنسيم العليل»، **صحيفة البيان**، (14 أغسطس 2012).

68. مادة وثائقية: «موسيقى الطنبورة في الخليج»، **مجلة الماثورات الشعبية**، العدد 53، 54، (يناير - أبريل 1999).

69. محمد رجب السامرائي: «رمضان والعيد في البحرين.. عادات وتقاليد متوارثه»، **مجلة الثقافة الشعبية**، العدد 21، (ربيع 2013).

70. محمد محمود الصياد: «الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر»، **مجلة الدارة**، العدد 3، (شوال 1397هـ).

71. مريم إسحاق: «الحابول عماد الخارف في موسم الرطب»، **صحيفة البيان**، (1 سبتمبر 2010).

72. «نظام الري في عُمان ما زال يعتمد على الأفلاج القديمة»، **صحيفة الوسط**، العدد 2002، (29 فبراير 2008م/ 21 صفر 1429هـ).

73. هناء الحمادي: «خرف الرطب تباشير الصيف وفرحة الفرجان»، **صحيفة الاتحاد ملحق دنيا**، (15 يونيو 2014).

74. هناء الحمادي: «خرف الرطب مهنة ترفض التقاعد وتتحدى الحداثة والتطور»، **صحيفة الاتحاد ملحق دنيا**، (5 يونيو 2013).

75. وفاء محمود العلي: «ظل الأرض»، **صحيفة الاتحاد**، (3 أغسطس 2005).

76. ياسين السليمان: «الألعاب الشعبية في الخليج.. تراث وتاريخ تخطه ريشة الطفولة»، **الخليج أونلاين**، (23 أغسطس 2015).

77. «يعود تاريخه إلى ما قبل الميلاد، والهيلي أهم مواقعه، الأفلاج.. نظام ذكي للري»، **صحيفة البيان**، (23 نوفمبر 2013).

باللغات الأجنبية

- **AnnegretNippa, Peter Herbstreuth: Along the Gulf from Basra to Muscat, Photographs by Herman Burchardt, (London: Verlag Hans Schiler, 2006).**
- **Lady Anne Blunt: Bedouin Tribes of the Euphrates, (New York: Harpers & Brothers Publisher, 1879).**

فهرس المحتويات